



الامانة العامة
لـ العتبة الحسينية المقدسة

مهرجان تراتيل سجادية العاشر

رحلة حقوقية في رسالة الحقوق

للإمام زين العابدين عليه السلام

الجزء الأول

تأليف
إبراهيم سلمان بوخمسين

دار الوارث للطباعة والنشر

عنوان الكتاب : رحلة حقوقية في رسالة الطريق للإمام زين العابدين عليه السلام
إعداد : إبراهيم سلمان بوخمسين
الناشر : الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة - مهرجان تراتيل سجادية العاشر
الإشراف والتنسيق والمتابعة : السيد جمال الدين الشهريستاني
المطبعة : دار الوارث للطباعة والنشر
الطباعة : الأولى
سنة النشر : ٢٠٢٤ م - ١٤٤٦ هـ
عدد الصفحات : ٤٢٤

مُحْفَظَةٌ جَمِيعَ أَحْقَوْقَ



دار الوارث لطبع ونشر
DARALWARITH Printing & Publishing

العراق - كربلاء المقدسة
المكتب الرئيسي: سيف سعد حلف المغارزن العذيبة
٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٣ - ٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِاللَّهِ نَسْتَعِينَ وَعَلَيْهِ نَتَوَكِّلُ

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدي، وعلم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلة،
والسلام على خير من مشى على الأرض، وسيد الأنام أبي القاسم محمد، وعلى آله البدور
الّـ تمام....

وبعدُ...

فبفضل الله عز وجل، ومنه وصلنا إلى النسخة العاشرة من مهرجان (تراث سجادية)
المخصص في سيرة الإمام السجاد، وحياته، وتراثه، ولكل سنة شعار، ومشاركون جدد،
ومطبوعات جديدة، وباحثون يقدمون بحوثهم على قاعات الأمانة العامة للعتبة الحسينية
المقدسة إن قيمة الصحيفة السجادية (زبور آل محمد) واضحة في أعداد الشروح التي
تناولتها، والأعلام الذين اشتغلوا بها، وعليها، والصحيفة هي من نتاج حياة الإمام علي
بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)؛ فكان التركيز من قبل علمائنا، وكتابنا،
وأدبائنا على هذا الإرث الثري بالتفوّق، والعلم، والأدب، والهداية.

إن ما يثير الدهشة، والانتباه وفي لقاءاتنا مع المفكرين، وعلماء الأديان الأخرى، ولا سيما
المسيحيون وجدت لديهم الاهتمام الكبير بالصحيفة السجادية، والمناجاة الخمس عشرة،
ورسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام).

ونحن نقدم لكم هذا الكتاب مشاركةً، ودعماً لمكتبة الإمام زين العابدين علي بن
الحسين (عليه السلام) علماً أن الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، وبتكليفها إدارة
المهرجان لاستقبال كل ما يصدر من جديد في الإمام زين العابدين السجاد (عليه السلام)،
وطوال العام.

السيد جمال الدين الشهري

رئيس اللجنة التحضيرية

مهرجان تراث سجادية



إهداه

إلى زين العابدين وسيد الساجدين

إلى صاحب زبور آل محمد

إلى صاحب رسالة الحقوق التي لا مثيل لها

إلى المغلول بسلاسل الطغاة وواضع الأغلال عن أنعاق العباد

إلى سليل الحسين وعلي ومحمد الإمام علي ابن الحسين

إلى القارئ الكريم، إلى كل متطلع إلى حياة كريمة عِمَادها صلة الله وصلة الناس

على ما جاء في هذه الرسالة العظيمة.

إلى روح أبي وأمي

إلى فتاة الواحتين الصابرة والمشجعة لواصلة طريق البحث والكتابة

أهدي هذا العمل المتواضع



تخييس قصيدة الفرزدق في الإمام زين العابدين

للشاعر / ناجي بن داود الحرز

تكرم علينا الشاعر الكبير ناجي بن داود الحرز صاحب منتدى الينابيع الهمجورية بتخييس قصيدة الفرزدق في الإمام زين العابدين، والحق يقال فإنه قد اجاد وأفاد، اذ ان هذا الضرب من فنون الشعر التي لا ينالها لأي أحد الخوض فيه والإجادة إلا من كانت لديه ملكة شعرية قوية حتى كأنك لا تكاد تفرق بين أصل القصيدة وبين تخييسها.

وأناأشكره كل الشكر ولقت رأيت ان اجعلها في مقدمة بحثي هذا حيث ان كل معاني هذه القصيدة أصلها وتخييسها تخص إمامنا زين العابدين وصاحب رسالة الحقوق محل البحث.

الحمد لله ما خط الهدى القلم
وما أزاح شكوك الحائر الكلمُ
أو قلت إنْ جاءني للفصل مُحتكمُ
يا سائلِي أَبِن حلَّ الجود والكرمُ
عندِي بِيَانٌ إِذَا طَلَابَه قَدِمُوا

فقد حباني رب البيت مُذكرا
تلوت في فضل آل المصطفى سِورا
عرفت منها ملوك الحق والأمرا
إذا أتاني فتى يستامني خبرا

فإنَّ فضل عليٍّ ليس ينکتم

هذا الذي كانت الأنوار حمائة
قدماً وصاغت حجور الطهر نشاته
فرد الدهر مزهواً إشاداته
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن من شيدوا الإسلام واعتزموا
وأسسوا جبهة الإيمان وانتظموا
هذا ابن من جاهدوا في الله واقتحموا
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النبي الطاهر العلم

إن جئت يوماً إلى العليا تسائلها
لمن أُنيلَ من الأمجاد نائلها
قالت : لمن مُذْ همى بالعز وابلها
إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

مِن ثُلَّةٍ عند باري الخلق قد كبرت
يُستذكر العدل والتَّوْحِيد إن ذُكرتْ
أمشاج طينته النوراء قد طَهُرتْ
يُنمي إلى الذروة العلياء التي قصرتْ
عن نيلها عرب الإسلام والعجم

قد سار بالدين مخصوصاً بآيته
 وفاح عطرُ التقى نَشْرًا لرأيِّه
 مما يذعْنُع مِن زاكِي هدایته
 يكاد يمسكُه عرفان راحته
 ركنُ الحطيم اذا ما جاء يستلم

يشتاقه الْبَيْتُ ولهانًا وزمزمهُ
 وتشرق الأرض إما لاح مبسمهُ
 أقسمتُ بالله حلفاً لستُ أكتمهُ
 لو يعلمُ البيت من قد جاء يلثمه
 لخر يلثم منه ما وطا القدم

في روحه مِن جلال الله منطلقٌ
 في عينه من بهاء المصطفى ألق
 في قلبه من يقين المرتضى فلقُ
 في كفه خيزران ريحه عبق
 في كف أروع في عرنينه شم

حاز الوقار إلى أقصى نهايَتِه
 وأسكن العزَّ حصنًا من حمايَتِه
 إنْ جاءَه سائلٌ في بعض حاجته
 يُغْضي حياءً ويغضي من مهابته
 فلا يكلِّم الا حين يبتسم

سبحان مَنْ بِعَظِيمِ الْفَضْلِ جَلَّهُ
وَبِالْتَقْيَى وَالنُّهَى وَالصَّدْقِ اكْمَلَهُ
وَفَضْلُهُ فِي كِتَابِ الْفَصْلِ أَنْزَلَهُ
مَنْ جَدَهُ دَانَ فَضْلَ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
وَفَضْلُ امْتَهِ دَانَتْ لَهُ الْأَمْمَ

مِنْ مِعْشَرِ خَصْبِهِمْ رَبِّي بِحُضُورِهِ
وَاخْتَارُهُمْ قَادِهِ غُرَّاً لِدُعُوتِهِ
إِذَا مَشَى مُشْبِهاً طَهْ بِمَشِيَّتِهِ
يَبْيَنُ نُورَ الْهُدَى مِنْ نُورِ غُرَّتِهِ
كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنِ اشْرَاقِهِ الظُّلْمَ

مِنْ عِزَّةِ الْوَاحِدِ الْعَصَمَاءِ عِزَّتُهُ
وَبُرْدَةِ الْفَخْرِ وَالْأَمْجَادِ كَسوَتُهُ
وَمِنْ أَرْوَمَةِ دَارِ الْوَحْيِ مِنْبَتُهُ
مَشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبَعَتْهُ
طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخَيْمُ وَالشَّيْمُ

قَدْ طَالَ مِنْ بَادِخِ الْأَنْسَابِ طَائِلَهُ
وَاحْتَلَ مِنْ مَسْتَطِيلِ الْعَزِّ كَاهِلَهُ
يَامِنَ تَنْفَسَتْ نَشْوَانًا شَمَائِلَهُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ
بِجَدِهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خَتَمُوا

هَذَا الَّذِي رَبَّهُ ذُو الْعَرْشِ قَدَّمَهُ
وَمِنْ سَيِّفِ بْنِي سَفِيَّانَ سَلَّمَهُ
وَبِامْتِدَادِ الْهُدَاءِ الْغَرَّ كَرَّمَهُ
اللَّهُ شَرْفَهُ قَدَّمَهُ وَعَظَّمَهُ
جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحَةِ الْقَلْمَ

قد طّبَّ الكون نشْرُّ من مفاحرِه
وشعَّ في الأرض نورٌ من مآثرِه
يُعيده المجدُ لحناً في منابرِه
وليس قولك من هذا بضائرِه
العرب تعرف من انكرت والعجز

من جاء يطرق باب الجود مُعْتَزِماً
ويأْمَل الرفد مِنْ أهليه مُغْتَنِماً
لاقاه بالخير والانعام مبتسماً
كلتا يديه غياثٌ عمّ نفعهما
يستوكفان فلا يعروها عدم

تدور في الناس بالحسنى نواظِرُهُ
بالفضل والجود تأتِيهم بشائِرُهُ
ولم تُدَلْ دون محتاج سواتِرُهُ
سهل الخلقة لا تخشى بوادره
يزينه اثنان حسن الخلق والشيم

في كفه باب فضل الله مُفْتَحُ
والغيث بالغرة البيضاء يُمْتَنَحُ
هوا الزعيم لمن جادوا ومن سمحوا
حمّال أثقال أقوام اذا افتديوا
حلو الشمائِل يخلو عنده النعم

لأنَّ لمن حوله طبعاً عريكتُهُ
وفي القلوب له مُدَّتْ أريكتُهُ
باللطف والعطف والمعروف عشرتُهُ
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته

رب الفضاء اريب حين يعتزم

فَاق النسائم لُطْفًا فِي تَوْدِدِهِ

وَبِادَرَ النَّاسَ بِالْإِنْعَامِ مِنْ يَدِهِ

مُذْفَجِّرُ اللَّهِ فِيَنَا دَفَعَ مُورِدِهِ

مَا قَالَ لَا قَطْلًا فِي تَشْهِدِهِ

لَوْلَا التَّشَهِدُ كَانَتْ لَأْوَهُ نَعْمَ

أَتَاحَهُ اللَّهُ لِلأَيَامِ فَانْتَفَعَتْ

وَزَاحَ عَنْهَا لِيَالِي الْبُؤْسِ فَانْقَشَعَتْ

وَنَجْمَةُ السَّعْدِ مِنْ أَفَاقِهِ لَمَعَتْ

عَمَّ الْبَرِّيَّةِ بِالْإِحْسَانِ فَانْتَفَعَتْ

عَنْهَا الْغِيَابُ وَالْأَمْلاَقُ وَالْعَدْمُ

النَّاسُ مِنْ كُلِّ فِيْجٍ حَوْلَهُ قَدِيمُوا

رَأَوْهُ مُورَدًا فِيْضَ الْفَوْزِ فَازْدَحَمُوا

أَلَيْسَ ذَاكَ وَلِيَّ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا؟

مِنْ مَعْشِرِ جَهَنَّمِ دِينِ وَبِغَضْبِهِمُوا

كَفَرُ وَقَرْبَهُمْ مَنْجِي وَمَعْتَصِمٌ

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقْىٰ كَانُوا ادْلِّتُهُمْ

إِنْ عُدَّ أَهْلَ الْلَّقِى كَانُوا أَسْنَتُهُمْ

إِنْ عُدَّ أَهْلَ الْهُدَىٰ كَانُوا أَزْمَتُهُمْ

إِنْ عَدَ أَهْلَ التَّقْىٰ كَانُوا أَئْمَتُهُمْ

أَوْ قِيلَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ قِيلَ هُمْ

تفجر الجودُ أنها رأً بساحتهم
 وأشرقت في الورى أنوار آيتهم
 ينال كل الغنى مِنْ بعض منحِّهم
 لا يستطيع حواهُ بعْدَ غايتهم
 ولا يدانِهم قومٌ وإنْ كرموا

هم الشموس اذا ما ظلمة قتمت
 هم الحصون اذا ما نكبة دهمت
 هم السداد اذا ما ثلامة ثلمت
 هم الغيوث اذا ما أزمة ازمعت
 والاسد اسد الشرى والناس تخترم

من جنة الخلد يسرى طيب نشرهمُ
 ومن مناهل طه صفو نبعهمُ
 ومن يمين علي دوم جودهمُ
 لا يقبض العسر بسطا من اكفهم
 سيان ذلك ان أسرعوا وان عدموا

العاشقون لهم فالله خصّهم
 بطينة خارها من فضل طينهم
 وفي الجنان بدؤ عن دورهم
 يستدفع الشر والبلوى بحبهم
 فيسترب به الإحسان والنعم

لَا يُسْتَطِعُ عَلَى الالَّاءِ شَكْرُهُمْ
 وَقَدْرَةُ اللَّهِ أَمْرُّ وَهِيَ أَمْرُهُمْ
 كَانُوا وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانُ غَيْرُهُمْ
 مَقْدُمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذَكْرُهُمْ

فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمُخْتَوِمٍ بِهِ الْكَلْمَ

لَا يَبْلُغُ الْعَالَمُ الرَّاقِي بِدَايَاتِهِمْ
 أَوْ يَدْرُكُ الظُّنُونُ وَالْأَوْهَامُ غَايَاتِهِمْ
 وَلَا تَجْزُؤُ جَوَارِيُّ الْفَكِيرِ لِجَهَنَّمْ
 يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحْلَّ الضَّيْمُ سَاحِتَهُمْ
 خَيْرُ عَمَّمْ وَأَيْدِي بِالنَّدَى ضَخْمَ

وَهَكَذَا الْعَزُّ عِزًاً فَلِيَكُنْ وَكَذَا
 فَلِيَعْلُمُ فَوْقَ سِمَاءِ الْخَافِقِينَ إِذَا
 مَشَى عَلَيْهِ عَلَى هَامِ الْعُلَى حِوَّاً
 مَمْنُ يَعْرُفُ اللَّهُ يَعْرُفُ أُولَوَيَّةَ ذَا

الْدِينِ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأَمْمَ





مقدمة الكتاب

سعى الإنسان في تاريخه الطويل نحو التكامل وحاول جاهداً أن يحصل على حقوقه وأن يضع القوانين واللوائح التي تنظم له تلك الحقوق ليس حقوق الإنسان فقط بجنسه وعمره وما يتعلّق بها من جميع أنواع الحرّيات بل حتّى حقوق الحيوان والنباتات والجمادات وغيرها. لذا نرى إنّ جميع الرسالات السماوية وكافة الرسل التي بعثها الله سبحانه وتعالى كفلت كلّ تلك الحقوق ونزلت التشريعات التي تبيّنها وتنظمها له تلك الحقوق، وما زالت الإنسانية تتدرّج في الرقي حتّى تم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان واعتمد بموجب قرار الجمعية العامة ٢١٧ الف (د - ٣) المؤرخ في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨، والذي يتكون من ٣٠ مادة (راجع كتاب حقوق الإنسان) ص ١٠٩ (للدكتور كمال سعدي مصطفى). ولكن حتّى هذه الحقوق مع خالص الشكر لمن وضعها - تعدّ ناقصة - فهناك حقوق أخرى كحقوق الخالق المنعم بل حتّى نحن في أنفسنا نا وعليينا حقوق كحقوق الأفعال والجوارح وغيرها من الحقوق التي لم تطرق لها هذه القرارات. وحربي بنا نحن الإمامية أن نفتح بذلك بـأن إمامنا الرابع الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي أبي طالب عليهم السلام قد وضع للإنسانية ما يربو على الخمسين حقاً لم يبيّنها أحد قط قبله بذلك الترتيب والتنسيق والتكميل قبل ثلاثة عشر قرن ونصف وتسمى تلك بـ(رسالة الحقوق). حيث جاء في مقدمة هذه الرسالة قوله سلام الله عليه:

اعلم رحمك الله أن الله عليك حقوقاً محيطة بك في كل حركة حرّكتها، أو سكنته

سكتتها، أو منزله نزلتها، أو جارحة قلبها أو آلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرع، ثم ما أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك فجعل لبصرك عليك حقا، ولسمعك عليك حقا، وللسانك عليك حقا وليدك عليك حقا، ولرجلك عليك حقا، ولبطنك عليك حقا ولفرجك عليك حقا، وهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. ثم جعل عزوجل لأفعالك حقوقا: فجعل لصلاتك عليك حقا، ولصومك عليك حقا، ولصدقتك عليك حقا، ولهدتك عليك حقا، ولأفعالك عليك حقا. ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقاً ثمت ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك.

فهذه حقوق يتشعب منها حقوق فحقوق أثمتك ثلاثة أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، ثم «حق» سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس إمام. وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم، فان الجاهل رعية العالم، وحق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت من الإيمان. وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة. فأوجبها عليك حق أمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب، والأول فال الأول، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤذنك بالصلاوة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعى عليك، ثم حق خصمك الذي تدعى عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سأله، ثم حق من جرى لك على يديه مسألة بقول أو فعل أو مسراة بذلك بقول أو فعل عن تعمد منه أو

غير تعمد منه، ثم حق أهل ملتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الحادثة بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب.

فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدده.

إن الإمام وضع في هذه الرسالة برنامجاً متكاملًا للإنسان ينظم حياته العبادية حيث علاقته بخالقه وبرسله وبنفسه. ثم بجواره كلها وهي حقوق الجوارح، وينظم حياته الروحية وهي حقوق الأفعال كالصلوة والصوم والحج وغيرها، وينظم حياته العامة داخل المجتمع الكبير حيث حقوق الأئمة والرعاية كحق السلطان والمعلم ومالك اليمين والزوجة وغيرها، وينظم حياته العائلية داخل المجتمع الصغير وعلاقته برحمه وأهل بيته وهي حقوق الرحم وينظم علاقته بالآخرين كحق المؤذن وإمام الصلاة والجليس والصديق والكبير والصغير وغيرها كثير وهي تحت حقوق الآخرين.

لقد قرأنا في مقدمة الإمام زين العابدين لرسالة الحقوق أن أصل كل الحقوق هو حق الله، وهو يؤيد ما جاء في خطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام بصفتين من أن أصل كل الحقوق هو حق الله سبحانه وتعالى.

سؤال يطرح نفسه: ما منشأ كل الحقوق؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول أن منشأ كل الحقوق هو الله سبحانه وتعالى وذلك لسبعين أحد هما منشأ نقلٍ والآخر منشأ عقلي:

فأما المنشأ الناطقي هو قول أمير المؤمنين علي عليه السلام من خطبة له بصفتين:

(فَالْحُقُوقُ أَوْسَعُ الْأُشْيَايِّ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجِدُهُ يَلْأَدُ إِلَّا جَرَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجِدُهُ يَلْأَدُ إِلَّا جَرَرَى لَهُ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجِدُهُ لَهُ وَلَا يَجِدُهُ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِللهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلِكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلًا مِنْهُ، وَتَوَسُّعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمُزِيدِ أَهْلُهُ).

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا افْتَرَضَهَا لِيَعْصِي النَّاسِ عَلَى بَعْضِ، فَجَعَلَهَا تَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْصُهَا بَعْضًا، وَلَا يُسْتَوْجِبُ بَعْصُهَا إِلَّا بَعْضًا. وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ، عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةً فَرَضَهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلِّ عَلَى كُلِّ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِلفَتَّاهِمْ، وَعِزًا لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَالَحِ الْوُلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ... إِلَى آخِرِ كَلامِهِ عَلَيْهِ اللَّهُ عَزَّ ذِلْكَ.

وقول الإمام زين العابدين عليه السلام في حق الله: اعلم رحمك الله أن الله عليك حقوقا محطة بك في كل حركة حركتها، أو سكتها، أو منزله نزلتها، أو جارحة قلبها أو آلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرع.

وأما المنشأ العقلي، فإن الله هو منشأ واصيل الحقوق وذلك لثلاثة أسباب:

أولاً: أن الله سبحانه وتعالى هو منشيء الوجود وحالقه وموجده وله الفاعلية فيه ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف:٩)، وقوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنَزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنَزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ﴾ الحديد: ٢٥ فالكلمات أرسلنا والبيانات وانزلنا والكتاب والميزان والقسط كلها كلمات تدل على الحق والحقوق واقامة العدل وأن مصدرها الله سبحانه وتعالى والكلمات ليقوم الناس بالقسط والحديد وبآس شديد تدل على تنظيم تلك الحدود وتطبيقاتها إما عن طريق التوجيهات والتعليمات والترغيب والثواب، وإما عن طريق الإنذار والعقاب والعقوبة كما في الكلمة الحديد، وبآس شديد. فالله هو علة كل شيء وما سواه معلول ومنها هذا الوجود والإنسان، ولو لا الله لم يخلق الإنسان ولم يوجد وبالتالي لم توجد متعلقاته والتي منها النظم والحقوق التي تنظم حياته وسلوكه وتعامله.

ثانياً: أن الله سبحانه وتعالى هو الحافظ لهذا الوجود من الفناء والزوال ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تُزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيلًا غَفُورًا﴾ (فاطر ٤١).

ثالثاً: إن الله سبحانه هو الراعي والمنعم والمعطي والرازق ﴿وَآتَاكُمْ مَنْ كُلُّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُو هَا﴾ (ابراهيم ٣٤).

ولقد حرصنا ان نذكر قبل كل حق شيئاً من الشعر الذي قيل في الإمام أو ما قاله، ونبذة يسيرة من سيرة الإمام العطرة والتي تشمل جوانب حياته الشخصية بها يناسب كل حق، بدلاً من أن نأتي بسيرته في مقدمة الكتاب على ما جرت به العادة.

لم تكن رسالة الحقوق كل ما رشح عن هذا الإمام العظيم، بل إنه (سلام الله عليه) كنز عظيم من المعلومات والمعارف الروحية وغير الروحية سطراها وترجمتها هذا الإمام في الصحيفة السجادية، زبور آل محمد، والأدعية الأخرى كدعاء أبي حمزة الشمالي، ناهيك عن الأشعار والمواعظ والأحاديث والحكم، التي تزخر بها امهات الكتب. لقد بين الإمام الكثير من المفاهيم المغلوطة التي كان يعيشها المجتمع آنذاك، وحيث كان البعض يعتقد سكوت الإمام وموافقه من الأحداث في زمانه متصوراً أن الإمام عليه السلام ركن إلى الراحة والدعوة بدلاً من الجهد وكمثال على ذلك حينما التقى الإمام زين العابدين عليه السلام في رحلة الحج بأحد الصحابة» عباد البصري «فيقول للإمام: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج ولزيونه!، وإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشْرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَاهُمْ بِأَنَّهُمْ أَجْنَةٌ يُقَاتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِرْ رُوا بِيَعْكُمُ الدِّيْنِ بِيَعْتَمِ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فأتم الآية الإمام عليه السلام: ﴿الَّتَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمُعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ثم قال عليه السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفاتهم، فلا نؤثر على الجهد شيئاً».

عبدالبصري قد اشتبه لديه الحق بالباطل، وهذا ما يحدث عند الكثيرين من يرون أنفسهم حافظين للقرآن دون إدراك لمعانيه وتفسيراته.

فمثلاً عندما يتلو أحدهم قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ ولا يُتم بقية السورة ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ هنا يكون المعنى مبتوراً وغير تام..!!

ومن خلال رد الإمام السجاد يتبين أن الجوفي ذلك الوقت لم يكن مهيناً للجهاد المسلح، حيث لم يوجد ثلة من الصحابة لتجاهد معه فالثلة المؤمنة قُتلت مع الإمام الحسين عليه السلام، وقد عانى الإمام في زمانه من غربة نفسية وغربة قلبية، فعندما استشهد والده بقى وحيداً بلا سند.

كما أنه قال عن المدينة المنورة التي أسسها جده عليه السلام: «ليس في مكة والمدينة عشرين رجلاً يحبنا أهل البيت».

لماذا تدهورت الأوضاع في المدينة المنورة وموطن الرسول الأعظم عليه السلام؟؟؟
السبب يعود إلى عهد الخلفاء الذين أقصوا أهل البيت عن الأمة وبدأ الفساد والتحريف فتشبع أهل المدينة من أفكار الخلفاء ومنهجهم... أما الشام فقد تسلّمها معاوية في عهد الخلفاء فكان الوالي عليهم لفترة طويلة ولم يخضع لولاية وحكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من بعده أيضاً كان معاوية، ومن بعده جاء يزيد وبذلك تكون الشام قد تشبّعت بالعهد الأموي وخاصة في عهد الحسن حيث تسلّم معاوية زمام الخلافة الإسلامية وحتى يثبت ملكه استخدم أسلوبين مما أدى إلى انحراف الأمة:

أولاً: الإنحراف الثقافي: وقد حدث عن طريق:

١ - تزوير التاريخ: فقد أسس معاوية لنفسه قاعدة تاريخية مزورة فنسب لنفسه مانسب من المناقب حيث ذُكر بأنه كاتب الوحي وحال المؤمنين وما إلى ذلك.

٢ - الإنحراف العقائدي: فالقائد لا بد أن يتسم بسلوكيات تؤهله للقيادة ولكنه

أبلى الأمة ببلاءات عديدة منها قتل حجر بن عدي، وقتاله للإمام علي عليه السلام وذلك كله يعتبر خروج على إمام زمانه..!! ومن هذا المنطلق تم الترويج للأموي إلى أمور عقائدية فاسدة من ضمنها مبدأ الجبر ومبدأ التجسيد، فقيل أن الإنسان مجبر وليس مخير فبرر معاوية تصرفاته بقوله : هذا ما أراد الله!!!، بالإضافة إلى ابعاد الناس عن الله عن طريق التجسيد الإلهي وتحريف الاعتقادات.

ثانياً: الإنحراف الأخلاقي:

ومن خلال الإنحراف السابق ينبع الفساد الأخلاقي، فعندما يبرر كل شخص تابع لمعاوية بأنه مجبر على اتباعه ويجد لنفسه مخارج ومبررات للسرقة والكذب والدجل وكالتصرفات اللاأخلاقية..!!

وطالما وجد ظلم وانحراف في الأمة، إذن لا بد من الجهد وإن لم يكن جهاد مسلح بالضرورة، فكان دور الجهد في زمن الإمام السجاد عليهما السلام متمثلاً في تصحيح البعد التاريخي للأمة وتصحيح الإنحرافات العقائدية.. وكان لا بد من ثورة عقائدية وثورة تاريخية تمكنه من زراعة البعد الأخلاقي.

وهذا ما سعى إليه الإمام من خلال زرع هذه المعاني القيمة وقد نجح في ذلك أيها ناجح.

بناء على ذلك، حاولنا في هذه السطور أن نقيم رحلة ممتعة وجميلة ورائعة في حديقة (رسالة الحقوق) التي صدرت عن الإمام السجاد عليهما السلام مستعينين بما تيسر لنا من مصادر وكتب تناولت هذه الرسالة بالقراءة والدراسة والتحليل، كما واستشهدنا ببعض الشعر المحلي حسبما دعت الحاجة إليه. وهدفنا من ذلك بث المزيد من الوعي الحقوقي تجسيداً للرسالة التي حملها الإمام زين العابدين عليهما السلام، والله من وراء القصد.

ولا أدعى أن كل ما جاء في هذا الكتاب هو من بنات أفكاري، بل هي اجهادات آخرون استعنت بها بتصرف إضافة إلى اجتهادي، وأشارت إلى المصدر حيناً وأخرى إلى المؤلف ضمن طيات الكتاب، إضافة إلى ذكر جميع المراجع التي استعنت بها في مؤخرة الكتاب. أقول هذا للأمانة العلمية راجياً أن يكون هذا العمل المترافق في خدمة المكتبة الحقوقية.

فتى الأحساء

ابراهيم سلمان بوخمسين

١٤٣٨ هـ



حق الله

ورد في الخصال، وشرح رسالة الحقوق لآية الله الطبسي :

أَتَتْ فَاطِمَةُ بْنَتُ عَلِيٍّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَتْ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ حُقُوقًا وَمَنْ حَقَّنَا عَلَيْكُمْ أَنْ إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدَنَا يَهْلِكُ نَفْسَهُ اجْتَهَادًا أَنْ تَذَكِّرُوهُ اللَّهُ وَتَدْعُوهُ إِلَى الْبَقِّيَا عَلَى نَفْسِهِ وَهَذَا عَلَى بَقِيَةِ أَبِيهِ الْحَسِينِ قَدْ انْخَزَمَ أَنْفُهُ وَنَقَبَتْ جَبَهَتُهُ وَرَكْبَتَاهُ وَرَاحَتَاهُ، أَدَابَ نَفْسَهُ فِي الْعِبَادَةِ».

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم

حق الله

(فَإِنَّمَا حَقُّ اللَّهِ الْأَكْبَرُ فَإِنَّكَ تَعْبُدُهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِإِخْلَاصٍ جَعَلَ لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكْفِيَكَ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَحْفَظَ لَكَ مَا تُحِبُّ).

إن خير كتاب يوضح كيفية العبادة ومفهومها وما هيها هو كتاب الله سبحانه وتعالى وهو القرآن الكريم، إذ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ (الرعد / ٣٦).

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر / ١١).

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ (الذاريات / ٥٦)

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا اللَّهُ الدِّينُ الْحَالِصُ﴾ (الزمر / ٣٢).

التوحيد بالمعنى الإسلامي معناه الرفض لكل الآلهة البشرية والمحجرية المادية والمعنوية، والتوجه إلى الله الواحد الأحد بالعبادة والطاعة وشعار المسلم الذي يرفعه أمام الأنوار المتمثل بـ(لا إله إلا الله، محمد رسول الله) يتضمن هذا العمق والشمول فكما يتضمن الإيجابية والاعتراف بالله الواحد الأحد يصرخ برفض كل ما عداه فإن (لا إله) رفض مطلق لكل الآلهة التي صنعتها الأيدي البشرية أو العقول الضالة وبمقدار هذا الرفض يتأكد التوجه للإثبات (إلا الله) فالله واحد في ذاته، واحد في صفاتيه، واحد في خصائصه (ليس كمثله شيء وهو اللطيف الخير).

ومن هذا الإيمان القلبي العميق ومن هذا المنطلق الفكري السليم يتحرك المسلم لرفض الفراعنة البشرية التي ادعت الألوهية، كما ينطلق في رفض الطاعة للأوثان والأصنام التي خلقتها سفاهات الجهلاء وحماقات المشعوذين.

أما معنى (محمد رسول الله) أننا نتلقي أحكام الله عن هذا الطريق الرسولي الخاص ولن نلتقاء من غيره، فمن آمن بالله دون أن يتخذ الطريق السليم إليه، الذي رسمه هو بذاته إليه لم يكن ايمانه بالله صحيحاً. ولا مستقرولاً تفكيره سليماً وجيداً، بل يجب عليه أن يعي النظر في هذا الإيمان ويصححه على القواعد التي ينسجم بعضها مع بعض حتى تأتي متناسقة متوافقة دون خلل أو تناقض أو اضطراب.

إن الإسلام يعد الإنسان عابداً لغير الله إذا أخذ تشريعاً من دون الله ولذا نرى الإمام الصادق عليه السلام يسأل عن قول الله تعالى: ﴿أَنْخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيقول: (أَمَا وَلَهُ مَا دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ أَنفُسِهِمْ لَمَا أَجَابُوهُمْ وَلَكِنَّ الْحَلَوَاهُمْ حَرَاماً وَحَرَمَوا عَلَيْهِمْ حَلَالاً فَعَبَدُوهُمْ مِّنْ حِيثُ لَا يَشْعُرُونَ) وهكذا ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام قولهم: من

أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله عبد وان كان الناطق ينطق عن لسان ابليس فقد عبد ابليس.

إن الإيمان بالله يفرض على الإنسان أن ينظر إليه نظر الربوبية المطلقة التي تملك الحياة كما تملك الموت، وتملك الأعمار كما تملك الأرزاق، تفرض عليه أنه مملوك لله ملكاً تكوينياً وتشريعياً، لا يجوز له التصرف والتحرك إلا بأمره وقوله لأنّه وحده الذي فطر السموات والأرض وخلق الإنسان والأشياء.

وهذه النظرة إلى الله المملوة بالإكبار والتعظيم تفرض على الإنسان أن يرى الله في أقواله وفي أفعاله وفي كل حركة من حركاته.

فالتوحيد لله وعدم الشرك به أساس من الأسس التي لا تقبل المساومة فقد حسم القرآن هذه القضية حينما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فالشرك بالله قضية قد فرغ الإسلام منها وحلها منذ اليوم الأول لنزلته.

قال الله جل شأنه في حديث قدسي ورد عن رسول الله ﷺ: أربع خصال واحدة لي، وواحدة لك. وواحدة فيما بينك وبين عبادي، فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً وأما التي لك فما عملت من خير جزتيك بها، وأما التي يبني ويبنيك فمنك الدعاء وعلى الإجابة، وأما التي يبني وبين عبادي فأنا ترضى لهم ما ترضى لنفسك.

والإمام زين العابدين في هذه الرسالة يجعل من أكبر حقوق الله على هذا الإنسان أن يعبده لا يشرك به شيئاً وفي مقابل هذا الإخلاص من العبد تكون كفاية الله له لأمر الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يشعر بالسعادة والاطمئنان في رحاب الله وفي الآخرة فوز بالخلود والجنة ورضوان من الله أكبر وهي غاية ما يحبه الإنسان ويسعى من أجله.

يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

«أَوْلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَّاً مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَّاً التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَّاً تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَّاً الْإِخْلَاصِ لَهُ تَقْنِي الصَّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَتَهَا غَيْرُ الْمُوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصَّفَةِ،

فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهَلَهُ، وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ فِيمَا فَقَدْ صَمَنَهُ، وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ. كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايِلَةٍ، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرْكَاتِ وَالْأَلْأَةِ، بَصِيرٌ إِذَا لَا مَنْظُورٌ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذَا لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقِدِهِ».

أول الدين معرفته: وهي المعرفة المقرونة بالعمل الفعلي التي تترتب عليه آثاره في الخارج كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام العلم مقرن بالعمل، فمن عمل، والعلم يهتف بالعمل فإن أجبه وإن ارتحل عنه».

والعلم والمعرفة بالشيء لا تكتمل الا اذا صدقه العمل ظاهرا وباطنا، بجنانه وأركانه وروحه وجسمه. وهذا هو الإيمان والتصديق الذي أشار اليه أمير المؤمنين (وكمال التصديق به توحيده).

ثم إن كمال التوحيد لا يأتي إلا بالإنقياد الكامل لله والإخلاص له وهو الركن الثاني بعد معرفة الله عز وجل، وهو أن نعطي الإله حقه من الألوهية المنحصرة فيه، ولا تقتصر على مجرد التسمية له بأنه الله واحد، بل تنسب اليه كل ما في الوجود والكمال كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع وتبعاً لذلك الخضوع له والعبادة والرجاء والخوف والدعاء، وهذا هو كمال التوحيد.

غير ان معرفة الله سبحانه وتعالى لا تتأتى من غير أن يعرف الإنسان نفسه، من غير أن يعرف ذاته، وهذا ما اشارت اليه الأحاديث الشريفة وأشار اليه الأئمة المهديون، وفسره العرفاء والروحانيون.

معرفة النفس:

حينما نقف مع صفحات العرفان للإمام الخميني قدس سره في كل مقالاته نجده يقدّم الحديث عن النفس ومعرفتها قبل أن يُشرق نور بيانه في سائر المطالب الإلهية

من قلم الحقيقة مغترفًا حبر الإسلام المحمدي الأصيل من وراء الغيب، فوق الشمس وبأنامل ذهبية رسمت السبيل القويم إلى الغاية القصوى، فلماذا هذا التقديم يا ترى؟!

إنَّ هذا التقديم ضرورة لا غنى عنها، ذلك لأنَّ معرفة النفس أول الطريق ونقطة الانطلاق إلى معرفة الحق تعالى فقد روي أنَّ إحدى زوجات النبي ﷺ سأله: متى يُعرف الإنسان ربِّه؟ فقال: (إذا عرف نفسه)، وقال ﷺ: (أعْرِفُكُمْ بِنَفْسِهِ أَعْرِفُكُمْ بِرَبِّهِ)، وهي أفعى المعارف فكيف لا تكون مقدمة على غيرها وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: (معرفة النفس أعرف المعارف)، ولو لا هام يكن للإنسان معرفة ربِّه بل الجهل بها مع طلبه أو ادعاء معرفته مدعاه لتعجب الأنبياء والأولياء كما عن إمام السالكين والعارفين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربَّه).^(١)

لذلك بدأ الإمام شمس الدين بتعریف النفس الإنسانية وبيان مقاماتها ومدارجها قبل الحديث عن خاطر الطريق والسبيل إلى الأمان منها.

وهنا تجدر الإشارة إلى حديث النبي الأعظم ﷺ لرجل اسمه مجاشع، فقال: يا رسول الله، كيف الطريق إلى معرفة الحق؟

قال ﷺ: «معرفة النفس»

قال: يا رسول الله، كيف الطريق إلى موافقة الحق؟

قال ﷺ: «مخالفة النفس»، فقال: يا رسول الله، كيف الطريق إلى رضي الحق؟

قال ﷺ: «سخط النفس»

قال: يا رسول الله، كيف الطريق إلى وصل الحق؟

قال ﷺ: «هجر النفس»

قال: يا رسول الله، كيف الطريق إلى طاعة الحق؟

قال ﷺ: «عصيان النفس»

(١) ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النحل: ١٨.

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى ذكر الحق؟

قال ﷺ: «نسيان النفس»

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى قرب الحق؟

قال ﷺ: «التباعد من النفس»

فقال : يا رسول الله، فكيف الطريق إلى أنس الحق؟

قال ﷺ: «الوحشة من النفس»

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى ذلك؟

قال ﷺ: (الاستعانة بالحق على النفس)

بهذا تتّضح السلسلة الجهادية التي على رأسها معرفة النفس لأنّ من جهلها جهل الحق تعالى، وهذا ما يؤكّد عليه الإمام الخميني ثنتين في كتابه جهاد النفس (الفصل الثاني - حقيقة النفس).

على أن مجاهدة النفس ليست في مقام الظاهر وحسب بل تعمّ الباطن لأنّ المطلوب فيها الانقياد التام والخضوع الكامل لكافّة مراتب الإنسان الباطنية إضافة إلى الظاهرية وإلا إذا لم تكن المراتب بمجدها منقادة لا يمكن أن تتحقّق العبوديّة الحقة؛ ضرورة أنّ العبد الحقيقي هو الذي يطيع مولاه بكلّ وجوده وطالما كان قادرًا على ذلك ومتّحراً يمكنه إخضاع الملكتين للحق تعالى «ملكة الظاهر وملكة الباطن» فإنّ ترك مرتبة منها لن يصل إلى رتبة العبوديّة الصادقة، مع الاعتراف بأنّ ذلك لا يحصل بشكل دفعيٍّ ومرة واحدة وإنما يحتاج الوصول إلى مقام الطاعة الكاملة والخضوع التام إلى التدرج شيئاً فشيئاً فيكون انقياد الظاهر مقدمة مساعدة على انقياد الباطن ليصل الإنسان في النهاية إلى كمال الانقياد لنفسه ويكتب عبداً حقيقياً فمن هنا تبرز العلاقة بين الجانبيين بشكلٍ ضروريٍّ.

يقول ثنتين في بيان المقام الأول للنفس: «إنّ مقام النفس الأول ومنزها الأدنى

والأسفل، هو منزل الملك والظاهر وعالمهما، وفي هذا المقام تأله الأشعة والأنوار الغيّبية في هذا الجسد المادي والهيكل الظاهري وتنحه الحياة العرضية، وتجهز فيه الجيوش فتكون ساحة معركة النفس وجهادها نفس هذا الجسد، وجنودها هي قواها الظاهريّة التي وجدت في الأقاليم الملكيّة السبعة وهي : الأذن والعين واللسان والبطن والفرج واليد والرجل».

والمقام الثاني: والكلام للإمام ثقة **«ملكتها الباطنية ونشأتها الملكوتية»**، وفيها تكون جنود النفس أكثر وأهمّ مما في مملكة الظاهر، والصراع والنزاع فيها بين الجنود الرحمنية والشيطانية أعظم والغلبة والانتصار فيها أشدّ وأهمّ، بل وإن كلّ ما في مملكة الظاهر قد تنزّل من هناك وتظهر في عالم الملك، وإذا تغلّب أيّ من الجند الراحماني أو الشيطاني في تلك المملكة، يتغلّب أيضاً في هذه المملكة، وجهاد النفس في هذا المقام مهمٌّ للغاية، عند المشايخ العظام من أهل السلوك والأخلاق، بل ويُمكن اعتبار هذا المقام منبع جميع السعادات والتعاسات والدرجات والدركات».

وفي الكافي، عن الصادق عليه السلام : في معنى تعريف العبادة قال: العبادة ثلاثة: قوم عبدوا الله خوفا، فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عز وجل حبا، فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة.

وفي نهج البلاغة: إن قوما عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار، وإن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوما عبدوا الله شكرًا فتلك عبادة الأحرار.

وفي العلل، وال المجالس، والخصال، عن الصادق عليه السلام : إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهو الطمع، وآخرون يعبدونه خوفا من النار فتلك عبادة العبيد، وهي رهبة، ولكنني أعبده حبا له عز وجل فتلك عبادة الكرام، لقوله عز وجل : ﴿وَهُم مِّنْ فَرَعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾.

ولقوله عز وجل ﴿قُلْ إِنْ كُتُّمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَإِنَّ بِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ﴾، فمن أحب

الله عز وجل أحبه، ومن أحبه الله كان من الأمين، وهذا مقام مكحون لا يمسه إلا المطهرون.

وقد تبين معنى الروايات مما مر من البيان، وتصنيفهم عليه السلام عبادة الأحرار تارة بالشکر وتارة بالحب، لكون مرجعهما واحدا، فإن الشکر وضع الشيء المنع من به في محله، والعبادة شكرها أن تكون لله الذي يستحقها لذاته، فيعبد الله لأن الله، أي لأنه مستجتمع جميع صفات الجمال والجلال بذاته، فهو الجميل بذاته المحبوب لذاته، فليس الحب إلا الميل إلى الجمال والانجذاب نحوه، فقولنا فيه تعالى هو معبود لأنه هو، وهو معبود لأنه جميل محظوظ، وهو معبود لأنه منع مشكور بالعبادة يرجع جميعها إلى معنى واحد.

وروي بطريق عامي عن الصادق عليه السلام: في قوله تعالى: إياك نعبد الآية، يعني: لا نريد منك غيرك ولا نعبدك بالغرض والبدل: كما يعبدك الجاهلون بك المغيبون عنك.

قيل إن الإسلام على أربعة أقسام وهي (العقائد) وهو أخطر ما في الدين، فإن صحت صحة العمل، وإن فسدت فسد العمل، والقسم الثاني (العبادات)، والقسم الثالث (المعاملات)، والقسم الرابع (الأداب).

ومن هنا فالعبادة بأوسع معانيها، ليست أن تؤدي الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وانتهي كل شيء، وإنما العبادة منهج تفصيلي من عند الخالق، من عند الخبر، من عند العليم، من عند الرحيم، من عند القوي، من عند الغني، منهج جاءنا من وحي السماء.

وقد ورد في تعريف العبادة أنها طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

هذا التعريف الجميل، الجامع، المانع، فيه كليات ثلاث: الأولى هي (كليه معرفية) فالذي يعبد الله لا بد من أن يعرفه، ومعرفة الله أصل الدين، هذا الكلام قاله

الإمام علي عليه السلام في الحديث الذي ورد قبل قليل فأنت تعبد لها لا بد أن تعرفه، تصلي لمن؟ تصوم لمن؟ تحج لمن؟ تغض البصر لمن؟ تنفق مالك لمن؟ لا بد من أن تعرف الله، ولا بد من أن تلتزم، لا بد من أن تخضع حركتك في الحياة لمنهج تفصيلي دقيق عميق متناسق، ملخصه أفعل ولا تفعل، فلا بد من معرفة الله أولاً، ولا بد من تطبيق لأمره ثانياً، فيكون إيقاع حركتك في الحياة وفق منهجه.

والثانية: (كلية سلوكية) وهي الأصل، لأن الدين كله على اختلاف نشاطه، وعباداته، وأوامره، ونواهيه، ينبغي أن يسوقك إلى الاتصال بالله، بسبب استقامتك على أمره، فإن لم تستقم لن تقطف من ثمار الدين شيئاً، بمعنى أن العبادة سلوك، وكمثال على العبادة السلوكية «العبادة التعاملية» وهو ما قاله سيدنا جعفر الطيار حينما قابل ملك الحبشة وسأله عن الإسلام فأجابه:

(أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه).

هذه أركان الأخلاق، إن حدثك فهو صادق، وإن عاملك فهو أمين، وإن استثيرت شهوته فهو عفيف.

(حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لِنُؤْحِدُهُ وَنَعْبُدُهُ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان) دققوا في تعريف العبادة التعاملية وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء)

العبادة التعاملية والعبادة الشعائرية :

إذاً العبادة التعاملية أن تكون صادقاً، أن تكون أميناً، أن تكون عفيفاً، أن تكون منصفاً، أن تكون رحيمًا، أن تكون عفواً، أن تكون لطيفاً، أن تكون رؤوفاً، مكارم الأخلاق، حتى قال أحد كبار العلماء: الإيمان هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد

عليك في الإيمان، حتى قال النبي عليه الصلاة والسلام:

(إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق)

لذلك العبادة التعاملية الصدق، والأمانة، والاستقامة، والإنصاف، والوفاء بالوعد، وإنجاز العهد، هذه العبادة التعاملية.

في المقابل الآخر العبادة الشعائرية: وهي الصلاة والصوم والحج والزكاة وما إلى ذلك.

فالعبادة التعاملية هي مكارم الأخلاق، والعبادة الشعائرية الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة. ولا تصح العبادة الشعائرية ولا تقبل إلا إذا صحت العبادة التعاملية، فقد ورد النبي ﷺ:

(تَدْرُونَ مَنْ الْفُلْسِ قَالُوا الْفُلْسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ
وَلَا مَتَاعٌ قَالَ الْفُلْسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَةً وَيَأْتِي قَدْ شَتَّمَ
عِرْضَ هَذَا وَقَدَّفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُقْعُدُ كَيْفَتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ
وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخْدَى مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ
عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ).

نعم فالعبادة سلوك: التدين الفارغ من الفهم الصحيح للدين، مسرحية لأعمال دينية في ظاهرها، لكنها خالية من روح الدين وحقيقة، وبالطبع فهي خالية من محتوى الدين ولا نصيب لها من التنتائج المرتبة عليه. وعلى حد تعبير الإمام علي عليه السلام:

كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظماء، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والعناء، حبذا نوم الأكياس وإفطارهم.

وفي حديث آخر:

(رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش).

يقول عليه الصلاة والسلام:

(مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ اللَّهُ حَاجَةً فِي أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)
كما ورد أنه :

(من حج بمال حرام فقال : لبيك اللهم لبيك ، قال الله له : لا لبيك ولا سعديك
حجك مردود عليك).

الحقيقة الخطيرة التي في هذا التحليل: أن العبادات الشعائرية ومنها الصلاة والصيام، والحج، والزكاة، لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادات التعاملية، هذهحقيقة تحتاجها جميعاً، ونحن نؤدي العبادات، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَر﴾، (سورة العنكبوت الآية : ٤٥).

أما الكلية الثالثة في التعريف فهي (كلية جمالية) فهي العبادة الحقة القائمة على الحب والشكر، كل ما في الوجود هي اسماء الله الحسنى وتحكى جماله وقدرته ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعُ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعُ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقِلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِرًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ . الملك - ٤، ٣.

وهذه العبادة كما في التعبير أعلى تعني أنها طاعة قائمة على الإختيار فالله سبحانه ارادنا أن نطيعه محبة، أرادنا أن نأتيه بمبادرة منا، أراد أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة حب، قال تعالى: ﴿تُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ سورة المائدة : ٥٤، وهي تختلف عن طاعة الأقواء والتي تتم قسرًا لذلك فهي لا ترقى بالإنسان.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيع لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

العبادة في أدق تعريفها:

إذاً العبادة في أدق تعريفها طاعة طوعية، مزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة

يقينية. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ سورة فاطر الآية: ٢٨.

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتها معاً فعليك بالعلم، لكن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلّك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل.

إذاً هي طاعة طوعية، مزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

الذى رأوه لما وليت عننا لغيرنا
خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
عذررت الذى أضحي قتيلاً بحبنا
لمت غريباً واشتياقاً لقربنا
تركت جميع الكائنات لأجلنا

فلو شاهدت عيناك من حستنا
ولو سمعت أذناك حسن خطابنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة
ولو نسمت من قربنا لك نسمة
ولو لاح من أنوارنا لك لائح

قال الشاعر الكبير جاسم الصحيح :

لغة لا تطال بالإفصاح!
حيث بوحى لديك غير مباح
فتغترت بالظلال الشحاح
ما أضاعتكم نية الملاح
واحتسوا خمرة الكمال المتاح
أسكرتهم بكاره الكأس، لكن

يا إله المدى.. وهل أنت إلا
حسبي الصمت عاليًا يرتقي بي
غمراً الضوء لوحه الكون حولي
ضاعت البوصلات فيك ولكن
كل من نادموك في السر قبلي
أسكرتهم بكاره الكأس، لكن





الله الذي نعرفه

الماء يروي لك القصة

لتوomas دافيد باركسن

من مقال له في كتاب الله يتجلّى في عصر العلم:

«انني أقرأ النظام والتصميم في كل ما يحيط بي من العالم غير العضوي ولا استطيع ان أسلم بان يكون كل ذلك قد تم بمحض المصادفة العمياء التي جعلت ذرات هذا الكون تتألف بهذه الصورة العجيبة. ان هذا التصميم يحتاج إلى مبدع، ونحن نطلق على هذا المبدع اسم الله.

وبالنسبة إلى الكيميائي يعتبر الترتيب الدوري للعناصر من الأمور التي تثير عجبه ودهشته. وأول ما يتعلم الطالب عند بدء التحاقه بالجامعة، هو أن العناصر يمكن ترتيبها ترتيباً دورياً معيناً، وهذا الترتيب طرق مختلفة، ولكننا نكتفي هنا بتقسيم (مانداليف)، وهو العالم الروسي الذي ظهر في القرن الماضي.

ولا تقصر فائدة هذا الترتيب الدوري للعناصر على ما يقدمه من عون وتسهيل في دراسة العناصر المعروفة ومركباتها، ولكنه يدفع العلماء إلى البحث عن العناصر التي لم يتم استكشافها بعد، والتي ساعد هذا الترتيب على التنبؤ بها، وتركت أماكنها في الجدول الدوري للعناصر خالية تتضرر الكشف عنها.

ولا يزال الكيميائيون حتى اليوم، يستخدمون الجدول الدوري للعناصر ليساعدتهم في دراسة التفاعلات الكيماوية والتنبؤ بخواص العناصر والمركبات، ولا شك ان نجاحهم في هذا السبيل يعد دليلا على ما يسود العالم غير العضوي من نظام بديع. ولكن هذا النظام الذي نشاهده في العالم من حولنا ليس مظهرا من مظاهر القدرة على كل شيء فحسب، بل انه يتصرف فوق ذلك بالحكمة والاتجاه نحو تحقيق صالح الإنسان، مما يدل على ان اهتمام الخالق بنفع عباده (١) لا يقل عن اهتمامه بالسفن والقوانين التي تنظم هذا الوجود. انظر من حولك إلى الحكمة البالغة التي ينطوي عليها خروج بعض الظواهر عن العادة أو المألوف. فالماء مثلا، يتوقع الإنسان من وزنه الجزيئي (١٨) ان يكون غازيا تحت درجة الحرارة المعتادة والنط المعتاد، فالنوشادر مثلا وزنها الجزيئي (١٧) تكون غازية عند درجة حرارة ناقص ٧٣ وتحت الضغط الجوي المعتاد، وكبريتور الأيدروجين الذي يعتبر قريبا في خواصه من الماء بحكم وضعه في الجدول الدوري وله وزن جزيئي قدرة ٣٤، يكون غازيا عند درجة حرارة ناقص ٥٩.

ولذلك فان وجود الماء على الحالة السائلة في درجة الحرارة المعتادة يجعل الإنسان يقف ويفكر.

وللماء فوق ذلك كثير من الخواص الأخرى ذات الأهمية البالغة والتي إذا نظر الإنسان إليها في مجتمعها وجدها تدل على التصميم والتدبير، فالماء يغطي نحو ثلاثة أرباع سطح الأرض، وهو بذلك يؤثر تأثيرا بالغا على الجو السائد ودرجة الحرارة. ولو تجرد الماء من بعض خواصه لظهرت على سطح الأرض تغيرات في درجة الحرارة تؤدي إلى حدوث الكوارث. وللماء درجة ذوبان مرتفعة، وهو يبقى سائلا فترة طويلة من الزمن، وله حرارة تصعيد بالغة الأرتفاع. وهو بذلك يساعد علىبقاء درجة الحرارة فوق سطح الأرض عند معدل ثابت ويصونها من التقلبات العنيفة، ولو لا كل ذلك لتضاءلت صلاحية الأرض للحياة إلى حد كبير، ولقللت متعة النشاط الإنساني على سطح الأرض بدرجة عظيمة.

وللماء خواص اخرى فريدة في نوعها، وتدل كلها على ان مبدع هذا الكون قد رسمه وصممه بما يتحقق صالح مخلوقاته. فالماء هو المادة الوحيدة المعروفة التي تقل كثافتها عندما تتجمد. وهذه الخاصية اهميتها الكبيرة بالنسبة للحياة، اذ بسببها يطفو الجليد على سطح الماء عندما يشتد البرد، بدلا من ان يغوص إلى قاع المحيطات والبحيرات والأنهار ويكون تدريجيا كتلة صلبة لا سبيل إلى اخراجها وإذابتها. ويكون الجليد الذي يطفو على سطح البحر طبقة عازلة تحفظ الماء الذي تحتها في درجة حرارة فوق درجة التجمد، وبذلك تبقى الأسماك وغيرها من الحيوانات المائية حية. وعندما يأتي الربيع يذوب الجليد بسرعة.

ويمكننا ان نشير إلى كثير من خواص الماء الطريفة الاخرى: فله مثلا توتر سطحي مرتفع يساعد على نمو النبات بما ينقله إليه من المواد الغذائية التي بالتربيه، والماء اكثرا السوائل المعروفة اذابة لغيره من الأجسام، وهو بذلك يلعب دورا كبيرا في العمليات الحيوية داخل أجسامنا بوصفه مركبا أساسيا من مركبات الدم، وللماء ضغط بخار مرتفع على مدى واسع من درجات الحرارة، ومع ذلك فإنه يبقى سائلا على طول هذا المدى المتسع اللازم للحياة.

وقد درس كثير من العلماء هذه الخواص العجيبة للماء، ووضعوا النظريات لتحليل ظواهره المختلفة. وبرغم ما نبذله من جهود لمعرفة كيف تحدث هذه الظواهر، علينا ان نتساءل ايضا لماذا تحدث هذه الظواهر؟ وليس الماء هو المادة العجيبة الوحيدة. فهنالك ما لا يحصى من المواد ذات الخواص المذهلة التي لا تستطيع عقولنا او ادراكنا المتواضع، إلا ان تقف مشدوهة أمامها.

وأني أجد شخصيا ان تفسير هذه الظواهر والعجبات بنسبتها إلى قدرة إله حكيم خبير وتصميم خالق علوي، يعد تفسيرا مرضيا للنفوس ومقنعا للعقول.

انني أرى في كل ظاهرة من هذه الظواهر اكثر من مجرد الخلق والتدير المجرد عن العاطفة، إني أليس فوق ذلك كله محبة الخالق لخلقه واهتمامه بأمورهم. انتهى

فسبحان من قال:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثُقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٧).





الله الذي نعرفه

الزهر وطيور بالتيمور

من مقال لسيسل هامان - عالم بيولوجي - الله يتجل في عصر العلم

«أينما اتجهت بيصري في دنيا العلوم، رأيت الأدلة على التصميم والابداع، على القانون والنظام، على وجود الخالق الأعلى سر في طريق مشمس وتأمل بدائع تركيب الأزهار، واستمع إلى تغريد الطيور، وانظر إلى عجائب الاعشاش، فهل كان محض مصادفة ان تنج الأزهار ذلك الرحيق الخلود الذي يجذب الحشرات فتلحق الأزهار وتؤدي إلى زيادة المحصول في العام التالي؟ وهل هو محض مصادفة ان تهبط حبوب اللقاح الرقيقة على مسم الزهرة فتنبت وتسير في القلم حتى تصل إلى المبيض ف يتم التلقيح وت تكون البذور؟ فليس من المنطق ان نعتقد بان يد الله التي لا زراها هي التي ربت ونظمت هذه الأشياء ببع القوانين ما زلنا في بداية الطريق نحو معرفتها والكشف عنها؟ وهل من الممكن ان يفرد الطير، لأن له أليفا فحسب، بل لأن الله يحب تغريده ويعلم اننا نطرب بتغريده.

وكما ان هنالك ما لا يحصى من أغاريد الثناء التي تشدوها الطيور كل يوم، والتي لا تصل إلى آذانا القاصرة الفانية، فان هنالك ما لا يحصى من نعم الله وأفضاله يسبغها على عباده، وهي تنتظر من الانسان ان يفتح عينيه لكي يراها وماذا عن عش طائر بالتيمور؟ من الذي علم هذا الطير ذلك الفن الرفيع؟ ولماذا تتشابه جميع

الاعشاش التي تبنيها الطيور من هذا النوع؟ اذا قلت الغريزة، فان ذلك قد يعد مخرجا من السؤال ولكنه اجابة قاصرة. فما هي الغرائز؟ يقول البعض: انها السلوك الذي لا يتعلمه الحيوان. اليك من المنطق ان نرى قدرة الله تتجل في هذه الكائنات التي خلقها فسواءاها تبعا لقوانين خاصة لا نكاد ندرى عن كنهها شيئا؟

نعم انتي اعتقد بوجود الله؟ وأعتقد انه هو القدير الذي خلق الكون وحفظه، وليس ذلك فحسب، بل هو الذي يرعى درة خلقة وهو الإنسان. ولا يرجع هذا الاعتقاد الراسخ الذي يمتلىء به قلبي إلى تأثير الثقافة الأمريكية الدينية على فحسب، ولكنه يرجع ايضا إلى مشاهداتي العلمية لعجائب الكون، كما يرجع إلى شعوري به وإحساسي بوجوده داخل نفسي ... انتهى

سبحان من قال:

﴿إِلَيْهِ يُرْدَ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أثْنَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ (فصلت - ٤٧)





الله الذي نعرفه

الله والكون المعد

من مقال جون وليام كلوتس - الله يتجلّى في عصر العلم

(عندما حاولت ان اكتب في هذا الموضوع جالت بخاطري حكمتان قديمتان

من الحكم المقدسة، وهما:

(السماءات تشهد بجلال الله، وإحكامها يدل على بديع صنعته).

(يقول الأحمق في نفسه: ليس هناك إله).

ان هذا العالم الذي نعيش فيه، قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من الحال ان يكون قد نشأ بمحض المصادفة. انه مليء بالروائع والأمور المعقّدة التي تحتاج إلى مدبر، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى. ولا شك ان العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقّدة. وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن ايّانا بوجوده.

ومن التعقيّدات الطريفة في هذا الكون، ما نشاهده من العلاقات التوافقية الا ضطراريه بين الأشياء احيانا. ومن أمثلتها العلاقة الموجودة بين فراشة اليوكا ونبات اليوكا وهو احد النباتات الزنبقية. فزهرة اليوكا تتسلل إلى أسفل ويكون عضو

التأنيث فيها أكثر انخفاضاً من عضو التذكير أو السداة. أما الميسّم وهو الجزء الذي يتلقى حبوب اللقاح، فإنه يكون على شكل الكأس وهو موضوع بطريقة يستحيل معها أن تسقط فيه حبوب اللقاح. ولا بد أن تنتقل هذه الحبوب بوساطة فراشة اليوكا التي تبدأ عملها بعد غروب الشمس بقليل، فتجمّع كمية من حبوب اللقاح من متك الأزهار التي تزورها وتحفظها في فمهما الذيبني بطريقة خاصة لأداء هذا العمل. ثم تطير الفراشة إلى نبات آخر من نفس النوع وتثبت ميّضها بجهاز خاص في مؤخر جسمها، ينتهي بطرف مدرب يشبه الإبرة وينزل منه البيض. وتضع الفراشة بيضة أو أكثر ثم تزحف إلى أسفل الزهرة حتى تصل إلى القلم، وهنالك ترك ما جمعته من حبوب اللقاح على صورة كرة فوق ميسّم الزهرة. ويترتب النبات عدداً كبيراً من الحبوب يستخدم بعضها طعاماً ليرقة الفراشة وينضج بعضها لكي يواصل دورة الحياة.

وهنالك كثير من الأزهار التي تسجن الحشرات داخلها، ومن أمثلتها الزهرة المسماة (جاك في المقصورة) (Jack-in-the-pulpit)، وهي تتكون داخل مقصورات تضيق عند منتصفها.

ويتم التلقيح بوساطة ذبابة دقيقة تدخل إلى المقصورة ولا تكاد تجتاز المنطقة الضيقة الوسطى حتى تجد نفسها سجينه، ليس بسبب الضيق فحسب، بل بسبب تغطية الجدران الداخلية بهادة شمعية متزلقة يتذرع معها على الحشرة أن تثبت أقدامها، وعندئذ تدور الحشرة بصورة جنونية داخل المكان، فتعلق هبوط اللقاح بجسمها. وبعد قليل تتصلب جوانب المقصورة بعض الشيء فتستطيع الحشرة الخروج بعد أن يكون جسمها قد تعطى هبوط اللقاح. فإذا زارت الحشرة مقصورة مذكورة أخرى تكررت العملية السابقة، أما إذا دخلت مقصورة أخرى فإنها تسجن في داخلها سجناً

دائماً حتى تموت هي، وعند محاولتها اليائسة للخروج، تقوم بتلقيحها الأزهار الأنثى.
ان النبات في هذه الحالة لا يهتم بخروج الحشرة لأنها تكون قد أدت رسالتها،
اما عند زيارتها للمقصورات المذكورة، فإنه يسمح لها بالخروج لأنها لا تكون قد أدت
رسالتها بعد.

أفلا تدل كل هذه الشواهد على وجود الله؟ انه من الصعب
على عقولنا ان تصور ان كل هذا التوافق العجيب قد تم بمحض
المصادفة، انه لا بد أن يكون نتيجة توجيه محكم احتاج إلى قدرة وتدبير.
ونستطيع ان نلمح أدلة أخرى على وجود الله وقدرته في تلك الحالات العديدة التي
حاول الإنسان فيها ان يتدخل في توازن الطبيعة او يعمل على تعديله.....انتهى

فسبحان من قال:

﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (النمل - ٨٨).





حق النفس

رحلة حقوقية

لا زالت رحلتنا تسير بتؤدة نحو تبيين الحقوق التي ذكرها لنا الإمام الكبير
زين العابدين هذا الإمام الذي هو سليل اكبر بيتين في ذلك العصر بيت النبوة
والوحي والهدى خاتم الأنبياء محمد ﷺ وبيت الملك الكسروي يزدجرد ولذا
قال أبو الأسود:

وان غلاماً بين كسرى وهاشم
لأفضل من نيطت عليه التمائيم
وقال الفرزدق:

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقي الطاهر العلم
من جده دان فضل الأنبياء له
وفضل أمه دانت له الأمم

ولا زلنا في حقوق الله سبحانه وتعالى حيث بينما في الرحلة الأولى حق الله الأكبر

وفي الرحلة الثانية إليكم الحق الثاني من حقوق الله :

حق النفس

(وَأَمَّا حَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ فَأَنْ تَسْتَوْفِيهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَتَؤْدِي إِلَى لِسَانِكَ حَقَّهُ وَإِلَى سَمْعِكَ حَقَّهُ وَإِلَى بَصَرِكَ حَقَّهُ وَإِلَى يَدِكَ حَقَّهَا وَإِلَى رِجْلِكَ حَقَّهَا وَإِلَى بَطْنِكَ حَقَّهُ وَإِلَى فَرْجِكَ حَقَّهُ وَتَسْتَعِينَ بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ).

أفضل تعبير في أفضل سبك فكما تبين لنا هذه الكلمات على إيجازها حقوق جوارحنا تجاه الله فهي توجهنا إلى مhammad ومحاسن الأفعال إذ أن لكل جارحة حق تجاه الله وتجاه أنفسنا وتجاه الآخرين.

تكررت كلمة «نفس» في القرآن الكريم على ما يقارب ٢٩٠ مرة بمختلف صيغها، سواء معرفة أو منكرة، منها قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا فَأَهْمَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٧ - ١٠).

هذه الآية على قصرها فيها من البيان والإشارة لهداية وتكامل هذه النفس بسلوك طريق التقوى والطاعة والتزكية، واجتناب طريق الفجور والمعصية والإفساد. وهذا ما اشار اليه إمامنا زين العابدين عليه السلام.

وسيمكون حديثنا ضمن ثلاثة محاور:

- تعريف النفس

- تزكية النفس

- الطاعة طريق النجاة

- تعريف (النفس) عند ملا صدرا

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

إن علم النفس من الموضوعات الهامة في البحوث الفلسفية.

وقد اهتمَّ الفلاسفة ببحث النفس منذ أقدم العصور، والحكمة المعروفة: (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) رواها حكماء اليونان كما رواها الأئمة عليهما السلام.

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الإسراء: ٥٨).

ونقل عن أرسطو: (من عرف ذاته قوي على معرفة الله).

كانت الفلسفة القديمة منذ عصر اليونان تبحث عن عدّة حقوق معرفية كالطبيعيات وغير ذلك. ثم انفصلت العلوم تدريجياً وتفرّعت الفلسفة، ومن تلك العلوم دراسة النفس وتقسيمها إلى نفس نباتية وحيوانية وإنسانية، وتوسّع أرسطو طاليس في دراسة النفس وتقسيمها وتعريفها وهل هي مجرّدة أم مادّية؟ قديمة أم حديثة؟ خالدة أم زائلة؟ إلى غير ذلك. ولما ترجمت الفلسفة اليونانية في العصر الإسلامي، أطلع العلماء المسلمين وفلاسفتهم على الأفكار اليونانية ومزجوا ثقافتهم بها درسوه وترجموه فأبدعوا في هذا المجال، فبلغ منهم علماء وفلاسفة كبار كالفارابي وجابر بن حيان والكتندي وابن سينا الذي توسّع في بحوثه الفلسفية ومن ضمنها بحث في النفس من كتاب «الشفاء» المشهور.

وقد نقلوا نفس تعريف «أرسطو» للنفس بأنّها: «إنطلاشيا» كما لـ «وهو أول جرم طبيعي ذي حياة بالقوة».

وجاء تعريف ابن سينا وصدر الدين الشيرازي بما هذا نصّه: «كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة».

ولا يعني أن نظرية ابن سينا في النفس لا تختلف عن نظرية الملا صدرا. إن نظرية

النفس تعتمد على أساس فلسفية أعمّ منها، وبما أنّ هناك بعض الاختلاف بين نظرية المشائين^(١) بصورة عامّة ونظرية صدر المتألهين في المركبات الفلسفية لكلّ منها، مع وجود منطلقات متشابهة، فقد بحث جميع الفلاسفة موضوع النفس من حيثية علاقتها وتديرها للجسم، يقول ابن سينا: «واسم النفس ليس يقع عليها من حيث جوهرها بل من حيث هي مدبرة للأبدان ومقيسة إليها، فلذلك يؤخذ البدن في حدها». إذن فالبحث في جوهر النفس وكنهها خارج عن نطاق الدراسات الفلسفية. وقال محى الدين بن عربي: «ولهذا ما اثر أحدُ من الحكَماء والعلماء على معرفة النفس وحقيقةها إلا الإلهيون من الرسل والأكابر من الصوفية».

ومن الجدير بالذكر أن بحث النفس يتّجه ويتأثّر بنظرية الحركة، ومن المعروف إنّ الحركة عند المشائين يقتصر على المقولات العرضية فحسب، أما عند الملا صدرا فإنه يشمل أيضاً حركة الجوهر، وهذا هو الخط الفاصل والمفترق الأهمّ بين الفلسفة المشائية وفلسفة صدرا الدين الشيرازي في دراسة النفس. وهذه من مبتكرات الملا صدرا، فأدّى إلى توصيله بأنّ النفس «جرمانية الحدوث، روحانية البقاء» وهذه العبارة ذكرها كثيراً في فلسفته حول النفس، وإنّ الحركة الجوهرية في المادة أصبحت العمدة في بحث النفس وخلودها ومعادها، والمركب الأساس في إبداعاته.

إنّ المدرسة المشائية تذكر أنّ النفس ككيان متكمّل وفعليّ أضيف إلى البدن، فأصبح هذا المركب إنساناً، فكما تضع الماء في القدح أو يركب الراكب دابته، تكون هذه الإضافة بين النفس والبدن.

(١) المدرسة المشائية (تسمى أحياناً: الحكمة المشائية) هي مدرسة فلسفية في اليونان القديمة، استمدوا أفكارهم من مؤسس تلك المدرسة الفيلسوف اليوناني أرسطو، الذي سماه تلاميذه المشائين. استمدت المدرسة اسمها من كلمة Peripatos، والتي تعني أروقة مدرج الألعاب الرياضية في أثينا، حيث كان أعضاء تلك المدرسة يجتمعون. وهناك كلمة يونانية أخرى مماثلة peripatetikos تشير إلى فعل المشي، والصفة peripatetic التي تعني «المشائين». بعد وفاة أرسطو نشأت أسطورة أنه كان محاضراً «مشائين»، فحلت التسمية Peripatos «محل الكلمة الأصلية» Peripatetikos.

أما مدرسة الحكمة المتعالية المتمثلة بصدر الدين فإِنَّها رفضت هذه الإضافة الضعيفة وتلك العلاقة الغريبة والواهية بينهما، وقالت: إنَّ النفس لم تحصل على تجربتها وفعليتها خارج الجسم ثم أضيفت بهذا الشكل القائم بينهما، وإنَّ النفس قامت بمسيرة تصاعدية نحو التجرُّد في داخل البدن والمادة لا في خارجها، بحركة جوهرية^(١) سارت من القوة إلى الفعل بشكل تدريجي تكاملٍ نحو الوجود والتحقق. وبهذا يمكن القول: إنَّ هناك نقلة نوعية حصلت عليها المادة فأصبحت مجردة ناقصة التجرُّد ما دامت في إطار البدن، بعدها يمكن أن ترتفق إلى مستوى العقول في دار غير دار الدنيا، والعقول المجردة تحظى بالخلود والسعادة. إنَّ النفس عند ابن سينا مجردة عن المادة من أول فطرتها «وليس كذلك... بل أنها في أوائل الأمر خيال بالفعل» قبل التجرُّد التام «عقل بالقوه...»، ويقول الشيرازي: «إنَّ الإنسان له هوية واحدة ذات نشأة ومقامات ويبتدئ وجوده أولاً من أدنى المنازل، ويرتفع قليلاً إلى درجة العقل والمعقول...».

ويعزُّ الملا صدراً هذا الاختلاف بينه وبين المدرسة المشائية إلى اختلافهم في مسألة الوجود. يقول : «وأكثر المتأخرین من الفلاسفة كالشيخ وأتباعه لم يحکموا أساس علم النفس لذهو لهم عن مسألة الوجود وكماه ونقصه ومبادئه وغاياته أنكروا هذا المعنى». إنَّ القوى الحيوية لدى الكائن البشري - كما يعتقد صدر المتألهين - لها وجهان، الأولى مادّية والثانية مجردة عن المادة، وهذه القوى المادّية لا تفارق تلك القوى المجردة، وبعد الموت يتنتقل الإنسان إلى عالم أكثر تجريدًا وأقل تعلقاً بالمادة.

وبالحركة الجوهرية التي آمن بها ملا صدراً تتطور المادة وترتقي نحو وجودية أشدّ من وجوديتها السابقة. يقول الشيخ مرتضى المطهري: «فهذا الفكر المجرد الذي في ذهنك الآن، كان يوم من الأيام لحماً، ثم تبدل لفكرة مجرد. إنَّ المادة في حركتها الجوهرية ترتفق نحو الأعلى، وكلما تحركت كذلك اتجهت نحو التركز الوجودي

(١) نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي حاولت تفسير ازليّة المادة وعلة الوجود من خلال التوفيق بين الفلسفة والدين. والمقديمة الاساسية لهذه النظرية تتأسس على مبدأ ان العالم المادي في تغير وتبدل مستمر. فالمادة تتغير وتتجدد في كل آن. وعلة تغير الأعراض الظاهرة للمادة (اللين، الكيف، الكم، الوضع) تكمن في تغير جوهراها.

وكلما اتجهت كذلك، سارت تلقاء التجرد، حتى تبلغ الوعي والشعور الإرادي». إن هذه المراتب التي ترتقي إليها النفس الإنسانية نحو الأكثر تدرجًا والأشد وجودية ليست هي عبارة عن مخطّات تمرّ بها النفس مروراً متصاعداً فحسب، ليس الأمر أنها تمر بالنقطة «ب» ثم تغادرها إلى النقطة «ج» ثم إلى «د»... الخ، وإنما تأخذ معها تلك النقاط التي مرّت بها، لهذا قال الملا صدراً أن للنفس الإنسانية شخصية جماعية تحوي جميع مراتبها من أدناها إلى أعلىها مرتبة، أو كما يقول الفلاسفة، إنها عندما تلبس درجة من الوجود لا تنزع الدرجة السابقة، أي ليست في حالة نزع ولبس، وإنما هي في لبس بعد لبس، فالنفس في ذاتها سمع وبصر وشم وذوق ولمس وإدراك وخیال.

وهذا الرأي وافق فيه بعض العرفاء كابن عربي.

وقد يرد السؤال: هل النفس في خروجها من القوة إلى الفعل تفعل ذلك بذاتها؟ أو بأمر خارج عنها؟ وإذا عرفنا أن فاقد الشيء لا يعطيه كما يقال، نعرف أنّ النفس في حالة كونها «بالقوة»، لا تمتلك «الفعالية»، وكل ما لا يمتلك الفعلية، لا يمكن أن يصل إليه إلا بأمر خارج عن ذاته، فالنفس تخرج من الفعل إلى القوة بأمر خارج عن ذاتها.

يقول الشيرازي: «إن مخرج النفس من القوة إلى الفعل في كمالها العقلي ليست بذاتها إذ الشيء لا يخرج ذاته من النقص إلى الكمال... فمخرجها إلى الكمال ملك كريم».

إن دراسة النفس عند صدر المتألهين يحتاج إلى مجال أوسع بحيث يتم استعراض الجوانب من فلسفته التي لها علاقة بحثه في علم النفس، كذلك في بحث الجوانب الأخرى كقدم النفس أو حدوثها، ماديتها، خلوتها تجربتها وغير ذلك^(١) وقد قيل في حديث من عرف نفسه عرف ربه، قيل فيه وجوه نختم به هذا الفصل مما أورده العلامة سماحة الشيخ باقر بوخمسين في الكشكول المجري:

(١) صادق محمد علي المسلم : ابداعات الشيرازي الفلسفية نموذجا - رسالة ماجستير

الأول: أن النفس محركة البدن ومدبرة له، فإذا كان هذا البنيان الحقير يحتاج إلى مدبر ومحرك فكيف لا يحتاج إليه عالم الكون فيكون من الدلائل الموصولة إلى معرفة الرب ولعله قيم دليل الآفاق في قوله ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾.

الثاني: من عرف أن نفسه واحدة وأنه لو كان معها غيرها لزمهها الفساد في تدبير الكون، علم أن الرب المدبر واحد «لو كان فيهم آلة إلا الله لفسدتا».

الثالث: من عرف أن النفس المدبرة للبدن بإختيار، عرف أن المدبر للعالم بالإختيار لا بالإضطرار ولا بالإجبار.

الرابع: من عرف أنه لا يخفى على النفس من أحوال البدن شيء، عرف أن الله سبحانه عالم بجزئيات العالم وكلياته لا يخفى عليه شيء. لإمتناع علم المخلوق وجهل الخالق لا كما يقول الحكمة أنه تعالى لا يعلم بالجزئيات.

الخامس: من عرف أن النفس موجودة قبل البدن باقية بعده، عرف أنه سبحانه كان موجوداً قبل العالم وباق بعده.

السادس: من عرف أنه لا يعرف كنه نفسه عرف أن ربه كذلك بطريق أولى لا يعرف كنه ذاته لأن معلومة الوجود مجھولة الكيفية والرب سبحانه كذلك.

السابع: من عرف أن النفس ليس لها مكان وأنها لا تمس ولا تحبس، عرف أن ربه كذلك.

بعد هذه المقدمة الجميلة المختصرة ومعرفة النفس رأينا هذا الإهتمام من الشارع المقدس بتزكية النفس ووجوب سلوكها مسالك التقوى.

تذكرة النفس:

وحديث النفس حديث طويل وقد تطرقنا إلى جزء منه في حق الله حيث أنها مرتبطة ببعضها البعض «حيث أن من عرف نفسه عرف ربها» ولقد مارس الأئمة في حياتهم أحسن السبل التي تهذب هذا الإنسان وتقومه وتجعل منه عضواً صالحاً في

المجتمع الإنساني وقد تركزت دعواهم إلى إصلاح هذه النفس البشرية وصياغتها صياغة ربانية كي تؤدي دورها في طاعة الله وإعانته عباده لأنها وحدها المنطلق في عملية الإصلاح الشاملة.... منها تبدأ الإستقامة كما يبدأ الإعوجاج .. فمتى صلحت واستقامت صلح غيرها واستقام، وأنها تصبو إلى الإثارة والأنانية وتجاوز الحق والعدل وتحاول أن تبرر كل فعل يصدر منها منها كان منحرفاً أو معوجاً كما تحاول في المقابل أن تسلب محاسن الناس وتترى معاييرهم على صورة أوسع وشكل أضخم مما هي عليه... إنها على الدوام تغوي شهواتها ومصالحها وما يتحقق لها قسطاً من الراحة ونصيباً من اللذة دون النظر إلى ما يتركه ذلك على حياة الناس وراحتهم وسعادتهم وبقائهم.

قال البوصيري :

حُبُّ الرَّضاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمْ
إِنَّ الْهُوَى مَا تَوَلَّى يُصْبِمْ أَوْ يَصِمْ
وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمْ
مِنْ حِيثُ لَمْ يَدِرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
شَيْعَ فَرْبَ مَعْمَصَةَ شَرِّ مِنَ التُّخْمِ
مِنَ الْمَحَارِمِ وَالْزَمْ جِهَمَةَ النَّدَمِ
وَإِنْ هُمَا مَحَضَاكَ النُّصَحَ فَاتَّهُمْ

وَالنَّفْسُ كَالْطَّفَلِ إِنْ تَهْمِلُهُ شَبَّ عَلَى
فَاصْرَفْ هُوَاهَا وَحَادِرْ أَنْ تُولَّيْهُ
وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةُ
كَمْ حَسَنَتْ لَذَّةَ لِلْمَرْءِ قَاتَلَةُ
وَأَخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعَ وَمِنْ
وَاسْتَفْرَغَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ
وَخَالَفَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصَهُمَا

غير أن اصلاح النفس وتطهيرها عن الشهوات يحتاج إلى ارادة قاهرة وعزيمة شديدة فمن دون ارادة لا يستطيع الواحد منا ان يفطم نفسه عن الرضاعة رضاعة الذنوب من ثدي الشيطان.

ان النفس تستلزم ارتضاع الشهوة لأنها اماره بالسوء وموالية الى الهوى وكل رضعة تجر ورائها رضاعات الى نهاية الشوط الذي يتلهي بصاحبها في ضياع وحرمان ومعاناة ومشقة.

أين يكمن الحل ؟

الحل ينطلق من داخلنا وليس من الخارج فكل واحد منا يمتلك الحل بيده لأنه

يمتلك الارادة التي يصنع بها قراراته في الحياة وعندما تموت الإرادة يموت الإنسان -إنسان - ويتحول إلى كتلة متحركة تتلاطم فيها الشهوات والاهواء الحيوانية.

صحيح ان الإنسان لا يشكل سوى ذرة تافهة بالنسبة لهذا الكون الهائل ولكنه يستطيع في لحظة من لحظات الإيمان ان يصبح اعظم زعيم في الأرض ، ذلك عندما يربط نفسه باكبر واعظم قوة في هذا الكون «بقوة الله الذي بيده ملکوت كل شيء».

هذه النفس تقرب البعيد إن أرادته وتبعد القريب إن كرهته ، ولذا ورد الحث من الأئمة لهذا الإنسان أن يقف منها موقف الحذر واليقظة ، والمحاسب والمراقب يترصدها في ميولها وحركاتها ومحاسبتها في كل خطوة من خطواتها وخطرة من خطرات ذاتها . يحملها على الحق وإن كانت كارهة له ويدفعها نحو الخير وإن كانت غير راغبة فيه .

وجihad النفس هو الطريق الذي يقود الإنسان إلى مرضاعة الله وطاعته ، وهو jihad الأكبر على حد تعبير النبي الأكرم فقد ورد انه صلوات الله عليه بعث سرية من الجيش فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا jihad الأصغر وبقي عليهم jihad الأكبر.

فقيل: يا رسول الله وما jihad الأكبر؟

قال: Jihad النفس.

ومعنى Jihad النفس: أن يلزمها المرء بأحكام الإسلام والسير على خطى الدين فلا ينحرف لهوى ولا يميل لمصلحة وقتنية على حساب الدين ، ولا يضعف أمام حرام ، ولا يتهاون بترك واجب ، وهذا هو بعينه ما فسره الإمام الصادق حيث يقول:

«من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب ، وإذا اشتهى وإذا غضب وإذا رضي حرم الله جسده على النار».

وان رياضة هذه النفس وحملها على الخير يكون في أوله عسيرا وصعبا ولكن على المداومة والتكرار يتحول الخير إلى عادة سهلة ميسورة من عادات هذه النفس وطبعها وهذا هو الحق الذي جعله الإمام زين العابدين للنفس بأن يحملها على طاعة الله ومرضاته و يجعل كل جندي من جنودها في موضعه المعد له.

من هنا كان الإنسان هو صاحب القرار وهو بالتالي المسؤول عن قراره والقرار يبدأ من داخله فالله سبحانه لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وهذا كله يتوقف على الإرادة القوية والإرادة القوية يمكن للإنسان أن يفجّرها في أعماقه عندما يتوجه إلى الله ويستمد منه العون والمدد.

فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَبْرَىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَا مَارَأَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبَّيْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٣). وهناك آيات كثيرة.

وقد ورد في الشعر المنسوب لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ذلك:

دواءك فيك وما تشعر ودائلك منك وما تبصر
وتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر
وانـت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر
فلا حاجة لك في خارج يخبر عنك بما يسطـر
فانظر كيف قيامك على نفسك في معالجة ادوائـها وان قصرت فلا تلو من إلا
نفسـك.

قال ابو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ :

(اقصر نفسـك عـما يضرـها من قبل ان تفارقـك واسـع في فـاكـها كما تسعـي في طلب معيشـتك فـان نفسـك رـهينة بـعملـك).

يقول الشاعـر:

ومـا النـفـس إـلا حـيـث يـجـعـلـها الفتـيـه فـإنـ أـطـمـعـتـ تـاقـتـ وإـلا تـسلـتـ
ويـقـولـ الآخـرـ:

وـالـنـفـس رـاغـبة إـذا رـغـبـتها وـإـذا تـرـدـ إـلى قـلـيلـ تـقـنـعـ
بنـاءـ عـلـى ذـلـكـ نـفـهـمـ منـ قولـ الإـلـامـ السـجـادـ عـلـيـهـ السـلـامـ (وـأـمـا حـقـ نـفـسـكـ عـلـيـكـ

بأن تستوفيها في طاعة الله) وذلك بالتزكية والمحاسبة والطاعة وتسخير جميع جوارح البدن بإعطائها حقوقها.

ولقد تكلمنا في المحور السابق عن تزكية النفس، وحيث أن للنفس بعدان بعد حيواني والذي يسمى أيضا بالرغبات والغرائز، والفلسفه يسمونه: الجسم، والعرفاء يسمونه: البعد البهيمي والناسوتي، والبعد الآخر المعنوي، ولذا فإن هاذان الجانبان في صراع مستمر.

فإذا استطاع الإنسان أن يتصر في هذا الصراع وأن يأسر هذا العدو كما قال رسول الله ﷺ (اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) ويروضه ويهذبه، حينذاك يستطيع أن يصل إلى سعادة الدنيا والآخرة وهذا هو الإنتصار والسيطرة على النفس الأمارة بالسوء.

ورد في الحديث : قال النبي ﷺ «أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه». وعن الإمام علي علیه السلام «إن المجاهد نفسه في طاعة الله وعن معصية الله سبحانه بمنزلة شهيد»

ومن موارد الطاعة تأتي (محاسبة النفس) :

فقد قال رسول الله ﷺ : الا أئبكم بأكييس الكيسين وأحمق الحمقاء ؟ قالوا بل يا رسول الله ! قال: أكييس الكيسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت، وأحمق الحمقاء من اتبع نفسه هواء وتنى على الله الأمانى، فقال الرجل : يا رسول الله وكيف يحاسب الرجل نفسه؟ قال: إذا أصبح ثم أنسى رجع إلى نفسه وقال: يا نفس إن هذا يوم مضى عليك لا يعود أبدا والله سائلك عنه فيما أفيته لها الذي عملت فيه.

وعن أبي حمزة الثمالي قال: كان علي ابن الحسين علیه السلام يقول : إبن آدم إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همك» من همتك« وما كان الخوف لك شعارا والحزن لك دثارا، يا إبن آدم إنك ميت ومبعوث وموقف بين يدي الله فأعد جوابا».

و عن محمد بن عمران البجلي قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : من لم يجعل من نفسه واعظا فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئا.

ولم يعني سيدنا زين العابدين بالطاعة العبادة فقط وإن كان هي طريق من طرق الطاعة بل الطاعة هي الإمثال لله سبحانه وتعالى بما أمر ونهى . وهو يشمل جميع العبادات التي لها اثر روحي ومادي على النفس والجسد في آن واحد كالعبادات اليومية ومنها الصلوات اليومية ، والعبادات الموسمية كالصوم والحجج والجهاد ، وسيأتي التفصيل عن فوائد هذه العبادات في محلها عند ذكر حقوقها.

كما وتشمل بعد عن الأشياء المضرة بالروح والبدن كالخمر والخشيش والأفيون وغيرها من الأشياء المسكرة وعن الميته والدم ولحم الخنزير وغيرها من الحيوانات النجسة والضاربة ، ولا يخفى ما لهذه الأشياء من ضرر على صحة الإنسان وأخلاقه وقواه العقلية.

وليعلم أن طاعة الله لا يلزم حرمان النفس والجسد من التمتع بها بما قد انزل الله من الزينة في هذه الدنيا ، وهي تحت على كسب الرزق ، والسعى بالطرق المشروعة لنيل ما قد خلق الله في الأرض والسماء من الوسائل والأسباب للراحة والتربية.

ولقد ورد أن أصحاب الإمام السجاد علي بن الحسين ، أو الإمام محمد بن علي عليهما السلام سأله : أليس الله يقول يا عبادي ﴿إِذْ عُزُّتِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ . قال : صدق الله العظيم بل هو قائل ذلك ، قالوا فما بالننا ندعوه ليلاً نهار فلا يستجيب لنا ؟ قال : لأنكم تدعون من لا تعرفون . قالوا : وكيف نعرفه ؟ قال : أعرفوا نفوسكم تعرفوه ثم ادعوه يستجب لكم . قالوا : وكيف نعرف نفوسنا ؟ قال : فكروا في أعينكم كيف تبصر ؟ وفي آذانكم كيف تسمع ؟ ثم في قلوبكم كيف تفكرون ؟ فإذا عرفتم ذلك شعرتم بعظمته الله في نفوسكم فدعوتهم فاستجاب لكم .

جاء في وصية الإمام الحسن عليه السلام لجنادة :

(يا جنادة من اراد عزا بلا عشيرة ، و هيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته) .



حق اللسان

رحلة حقوقية

ما قال لا قط الا في تشهد لولا التشهد كانت لائه نعم
دعا الإمام زين العابدين عَلَيْهِ الْكَلَمُ مملوكه مرتين فلم يحبه فلما أجابه في الثالثة قال
له: يابني أما سمعت صوتي؟

قال: بلى.

قال: فهالك لم تجربني.

قال: أمنتك.

قال: الحمد لله الذي جعل مملوككي يأمنني.

إنها حادثة رائعة وأدب رفيع، وأخلاق نبوية. هل يملك المسلمون مثل هذه
الأخلاق؟!

وهل يستطيع العالم أن يقدم لنا نموذجاً شبيهاً بهؤلاء الأئمة الكبار؟! بل
تعدى الإمام في معاملته الطيبة وحسن أخلاقه من الإنسان إلى الحيوان وتحطى كل
الأعراف التي كانت سائدة في زمانه، وبذلك سجل سبقاً على كل المتشدقين بقانون
الرفق بالحيوان وهم يذبحون الإنسان، وإنما يدعون ما يدعون كذباً وزوراً وشعراً
للاستغلال والمكاسب.

يذكر آهل السير أن علي ابن الحسين حج على راحلته عشر حجج ما قرعها بسوط ولقد بركت به سنة من سنواته فما قرعها بسوط.... ويقول الراوي في حديث آخر : حججت مع علي ابن الحسين عليه السلام فالثالث الناقه «أي بطئت» في سيرها فأشار إليها بالقضيب ثم قال : آه لو لا القصاص ورد يده عنها.

هذا هو الإمام المربى صاحب رسالة الحقوق وصاحب زبور آل محمد الصحيفة السجادية، فهلمًا معا نجد السير في رحلتنا والتي لا زلنا فيها في حقوق الله وموعدنا مع الحق الثالث:

حق اللسان

﴿وَأَمَّا حَقُّ الْلِّسَانِ فَإِكْرَامُهُ عَنِ الْخُنَىٰ
وَتَعْوِيدُهُ عَلَىِ الْخَيْرِ وَحَمْلُهُ عَلَىِ الْأَدَبِ وَإِجْمَاعُهُ
إِلَّا لِمَوْضِعِ الْحَاجَةِ وَالْمُنْفَعَةِ لِلَّدِينِ وَالدُّنْيَا
وَإِعْفَاؤُهُ عَنِ الْفُضُولِ الشَّيْءَ الْقَلِيلَ الْفَائِدَةِ
الَّتِي لَا يُؤْمِنُ ضَرُورُهَا مَعَ قِلَّةِ عَائِدَتِهَا وَيُعَدُّ
شَاهِدَ الْعُقْلِ وَالدَّلِيلَ عَلَيْهِ وَتَزَيَّنُ الْعَاقِلُ
بِعَقْلِهِ حُسْنُ سِيرَتِهِ فِي لِسَانِهِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ﴾.

تكررت كلمة لسان في القرآن الكريم بصيغها المختلفة «١٥» مرة، ومن غرر الآيات في ذكر اللسان: قوله تعالى واجعل لسان صدق في الآخرين «٨٤» الشعرا، يلاحظ أنه أضاف الصدق إلى اللسان لتأكيد الإتصاف به، أي الذكر الجميل والثناء الحسن بعده.

يقول الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق إلا صورة اللحم والدم

ولننظر الآن إلى هذا اللسان العجيب الذي يحتوي على (١٧) عضلة للحركة، وعلى غشاء مخاطي يغلفه، وعصب خاص لتحريكه في كل نصف، أي عصبات رأسيةان هما العصب تحت اللسان الكبير في كل جانب، و(٦) ستة أعصاب لنقل الحس، ثلاثة في كل جانب هي : «العصب اللساني لنقل الحس من مقدمة اللسان» و«العصب البلعومي اللساني من مؤخرة اللسان» و«العصب المبهم من البلعوم والمزمار»، وهذا اللسان ترقد فيه من التوءات والبراعم الذوقية الآلاف، ويحس بالاطعمه من شتى المأكولات، وهو بعد كل هذا يستخدم في المضغ، والبلع، والذوق، والتصويم فأي مثل عجيب الذي يقوم بكل بهذه الأدوار، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَيْدِ أَيْحُسْبٍ أَنَّ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لِبْدًا أَيْحُسْبٌ أَنْ لَمْ يَرِهِ أَحَدٌ أَمْ نَجْعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (سورة البلد)، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فيما أيمها القارئ العاقل انظر وتأمل، ان القلب ليخشى، وان العين لتدمى، وان العقل ليركع، أمام هذه الآلاء العظيمة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ سورة الرحمن. (١)

ولا بأس في رحلتنا هذه أن نعرف أجزاء وعضلات وأعصاب ووظيفة اللسان

هذا الجزء العجيب في جسم الإنسان بشكل تفصيلي أكثر :

اللسان (Tongue) هو عضو عضلي متحرك يستطيع القيام بعدة حركات والوجود بعدة وضعيات. بعض من اللسان موجود في الفم، والبعض الآخر منه في الحلق. وظيفة اللسان الأساسية هي اللفظ - أي تكوين الكلمات خلال الحديث، وبilع الطعام. يمكن تقسيم اللسان لعدة أجزاء، وله عدة سطوح، كما يحوي كتلة عضلية تقوم بحركات اللسان الضرورية لوظائفه.

(١) الطب محراب للإيمان ص ٢٢، د. خالص جلبي كنجو.

أجزاء اللسان

- * **جذر اللسان (Root Of Tongue):** يمتد من الفك السفلي وحتى الفم، وهو الجزء الذي يشكل نقطة استناد اللسان.
- * **جسم اللسان (Body Of Tongue):** هو الجزء الذي نراه في جوف الفم، ويشكل حوالي ثلثي اللسان، ويمتد جسم اللسان من الجذر وحتى قمة اللسان.
- * **قمة اللسان (Apex Of Tongue):** النهاية الأمامية للسان، ويلامس الأسنان الأمامية. بعكس الجذر، فإن جسم اللسان وقمة اللسان هي أجزاء متحركة.

سطوح اللسان

- ١ - **سطح اللسان الظاهر (Dorsum Of Tongue):** هو السطح العلوي للسان. شكله يشبه شكل حرف V، ويتميز بوجود نتوءات صغيرة تبرز نحو جوف الفم. في الوسط شق يفصل اللسان إلى جزء أيمن وأيسر. تسمى النتوءات في اللسان بـ **بحليلات اللسان (Lingual Papillae)** ولها عدة أنواع:

 - * **الخليلات الكاسية (Vallate Papillae):** تقع في طرف اللسان ومن كلا الجانبيين، وتحوي خلايا حاسة الذوق.
 - * **الخليلات الورقية (Foliate Papillae):** تقع في جانبي اللسان وتحوي خلايا حاسة الذوق، ولكنها بدائية لدى الإنسان.
 - * **الخليلات الخيطية (Filiform Papillae):** وردية اللون وتميل للرمادي أحياناً، وتحوي أطراف الأعصاب في اللسان ومسؤولة عن حاسة اللمس في اللسان.
 - * **الخليلات فطرية الشكل (Fungiform Papillae):** يشبه شكلها الفطريات، ولونها زهري أو أحمر وتحوي خلايا حاسة الذوق.

في الجزء الخلفي من اللسان، وعند الاقتراب من جذر اللسان تبدأ الخليلات بالاختفاء حتى انعدامها في جذر اللسان.

٢ - سطح اللسان السفلي (Inferior Surface Of Tongue) – والذي يتجه نحو أرضية الفم. مغطى بغضائط مخاطي دقيق، والذي يتضخم في الوسط ويشكل خط الوسط مع أرضية الفم - ويسمى علمياً لجام اللسان (Frenulum Of Tongue). وللجام يسمح للجزء الأمامي من اللسان بالحركة بحرية.

عضلات اللسان

كما ذكر من قبل فإن اللسان هو كتلة عضلية كبيرة، وتغطيها الطبقة المخاطية التي تحوي خلايا حاسة الذوق. رغم وجود عدة عضلات في اللسان، إلا أن هذه العضلات لا تتحرك كل منها على حدة إنما تتحرك بتوافق تام فيما بينها. بعض العضلات تحدد شكل اللسان، والبعض الآخر يحدد موقع اللسان. يوجد نوعين من عضلات اللسان:

* عضلات اللسان الخارجية (Extrinsic Muscles Of Tongue): هي العضلات التي تمتد من خارج اللسان وترتبط به. تقوم هذه العضلات بتحريك اللسان. توجد أربعة عضلات خارجية للسان.

* عضلات اللسان الداخلية (Intrinsic Muscles Of Tongue): هي العضلات الموجودة داخل اللسان وتنشأ وتنتهي داخل اللسان. توجد عضلات داخلية طولية، عرضية وأفقية. تقوم هذه العضلات بتحديد موقع اللسان، وتستطيع تحريكه بحيث تزيد أو تقلل من سمكه أو طوله.

الدورة الدموية في اللسان

شرابين اللسان – أو شريان اللسان، أو الشريان اللساني (Lingual Artery)

هو الشريان الرئيسي الذي يمد اللسان بالدم، وهو تفرع للشريان السباتي الظاهر (External Carotid Artery). يتفرع الشريان اللساني داخل اللسان لعدة شرايين صغيرة، والتي تلتقي فيما بينها داخل اللسان.

أوردة اللسان – ترافق أوردة اللسان شرايينه، وهما:

* الوريد اللساني الظاهري (Dorsal Lingual Vein): يصرف السطح الظاهر للسان، ويوازي الشريان اللساني في مساره.

* الوريد اللساني العميق (Deep Lingual Vein): يبدأ في طرف اللسان ويصرف جسم اللسان وعضلاته.

تصب الأوردة مباشرةً في الأوردة الكبيرة للرأس والرقبة، أو أنها تجتمع لتشكل الوريد اللساني (Lingual Vein) الذي يصب في الأوردة الكبيرة.

أعصاب اللسان

جميع عضلات اللسان يمده بالأعصاب العصب الحرقفي الثاني عشر (Hypoglossal Nerve) – العصب تحت اللسان (Cranial Nerve 12). ويسمى كذلك نسبةً لمساره من تحت اللسان.

أما الأعصاب المسؤولة عن حاسة اللمس والحرارة في اللسان تنشأ من العصب اللساني (Lingual Nerve) وهو تفرع للعصب الحرقفي الخامس (Cranial Nerve 5). في حين الأعصاب المسؤولة عن حاسة الذوق فانها تمتد من العصب الحرقفي السابع مباشرةً (Cranial Nerve 7) – العصب الوجهي (Facial Nerve).

وظيفة اللسان

عدة وظائف للسان وهي:

* **اللطف**: والمقصود هو النطق وتكون الحروف، المقاطع والكلمات. قدرة الإنسان على الكلام هي نتيجة لاشتراك عدة أجهزة في الجسم. في البداية تقوم الرئتان بنفخ الهواء نحو الأوتار الصوتية في الحنجرة، والتي تتحكم بكمية الهواء الصادر منها وسرعة مروره. بناءً على ذلك تُصدر الحنجرة أصواتاً مختلفة، ويأتي دور اللسان عند الحاجة لتحويل هذه الأصوات إلى حروف. يقوم اللسان بلفظ معظم الحروف عدا الأحرف العلة (و، ي، آ)، وبذلك يستطيع الإنسان أن يركب الكلمة مبنية من عدة أحرف.

* **البلع**: يساهم اللسان في بلع الطعام، وبعد مضي الطعام بواسطة الأسنان يقوم اللسان بحركة دفع الطعام نحو الحلق. والتي تتم بتواافق مع الحلق.

* **الذوق** : إن اللسان مسؤول عن حاسة الذوق من خلال خلايا حاسة الذوق الموجودة في الطبقة المخاطية، وحاسة الذوق - كما نعلم - هي إحدى الحواس الخمس في جسم الإنسان. إذ بواسطة خلايا حاسة الذوق الموجودة في الطبقة المخاطية في سطح اللسان الظاهر، يستطيع الإنسان أن يميز بين أربعة أشكال: (الحلو، المر، المالح والحامض). فالطعم الحلو يُذاق في قمة اللسان، والمالح في جانبي اللسان. أما المر والحامض فيجسم اللسان الخلفي، وتبلغ دقة التأثير في الذوق أن اللسان يحس بالطعم ولو بلغ تركيزه على اللسان أربعة أجزاء من مائة ألف، وهو مع ذلك المكان الذي تخرج منه حروف كثيرة للنطق.

بعد هذه الرحلة مع أجزاء ووظائف اللسان الحسية، ننتقل إلى وظائفه المعنية:

الكلمة سكين ذو حدين باحدهما نبني صرح الحضارة الإنسانية ونساهم في توفير السعادة للناس والرفاية لهم وبالآخر نقضي على كل المعلم الشامخة من تراث

هذا الإنسان وحضارته كما نقضي على وجوده بالذات.

قال الشاعر:

وَقَدْ يُرْجَى لِجُرْحِ السَّيْفِ بُرْءٌ
وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللَّسَانُ

وقال الآخر :

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَدْمِلُهُ فَيَبْرَا
وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللَّسَانُ

وقال غيره :

جَرَاحَاتُ السَّنَانِ لَهَا التَّئَامُ
وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللَّسَانُ

وقالوا: اللسان أجرح جوارح الإنسان

الكلمة إذا كانت واعية هادفة منطلقة عن إرادة خيرة ونفس صالحة وفك سليم تستطيع أن توجه الناس نحو الخير والبناء فتهدي التائه وترد الضال وتأخذ بيد الحيران إلى شاطئ الأمن والسلام وأما إذا كانت الكلمة فاسدة طائشة غير مسؤولة، إذا كانت منطلقة عن رؤية منحرفة ونفس ملتوية وروح ماكرة فإنها بدون شك تقضي على كل صلاح وسعادة وتنشر الخراب والدمار في ربوع البلاد وبين العباد.

والإسلام عندما يأتي إلى الكلمة يجعل لها الدور الكبير والمهمة العظمى ويضمها أعمق المعاني وأسلمهَا، انه يريد من هذا الإنسان أن يكون صالح المنطق، مهذب الكلام، فلا فحش ولا لغو ولا عبث بل الجدية المشرمة ذات الأهداف الربانية التي تزرع في نفوس الناس الخير والسعادة، انه يريد من كل واحد منا أن يكون نظيف الكلمة لأنها تحمل المعنى، والمعنى في نظر الإسلام يجب أن يكون نظيفاً وإذا كان المعنى نظيفاً يجب أن يكون وعاءه نظيفاً، ووعاء الكلمة فيجب أن

تكون نظيفة ولذا قال تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيْسَةً كَشَجَرَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، ﴿وَمَثُلَ كَلِمَةً خَيْثَةً كَشَجَرَةً خَيْثَةً اجْتَسَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾
ابراهيم: ٢٦

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ الأحزاب: ٧٠.

فإن هذه الآيات الكريمة تدل بوضوح على أن الإنسان يجب أن يكون مستقيماً اللسان طيب الكلمة، بل الإسلام يدعو أبناءه ليوجهوا من الكلام الجاهل بالمنطق السوي فيقول (سلاماً سلاماً) ﴿وَإِذَا حَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان: ٦٣.

وهذا منطق الترفع عن الإسفاف والإبتذال إلى منطق المسامحة والعفو فليس في قاموس المسلم إلا الألفاظ الطيبة ذات المدلول الطيب ولذا لا يفحش في كلامه ولا يتجاوز الأدب في منطقه ولا يقول إلا الحق في حديثه ومن خرج عن ذلك وتعداه فليس حديثه من مقولات الإسلام، بل ذلك من علامات النفاق وعدم الإيمان.

ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام : «ان الفحش والبذاءة والسلطة من اللسان».

وقال الرسول الأعظم ﷺ : «ان من شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه».

وقال أيضاً صلوات الله عليه : «إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فهو شرك الشيطان».

وفي حديث آخر عنه صلوات الله عليه : «إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء، قليل الحباء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فانك إذا فتشته لم تجده إلا لغية أو شرك شيطان، قيل يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ فقال ﷺ أما تقرأ قول الله عز وجل ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُوْلَادِ﴾.

بل في حديث النبي ﷺ حمل اللسان من الأوزار والعذاب ما لم يحمله لغيره من جوارح البدن ذلك من قوله:

يُعذَبُ اللَّهُ اللِّسَانُ بِعَذَابٍ لَا يُعذَبُ بِهِ شَيْئًا فَيَقُولُ: أَيُّ رَبٍ عَذَبْتَنِي بِعَذَابٍ لَمْ تُعذِّبْ بِهِ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ لَهُ: خَرَجْتَ مِنْكَ كَلْمَةً فَبَلَغَتْ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارَبَهَا، فَسَفَكَ بِهَا الدَّمَ الْحَرَامَ وَانْتَهَى بِالْمَالِ الْحَرَامِ وَانْتَهَى بِهَا الْفَرْجُ الْحَرَامُ، وَعَزَّزَيْتَ وَجْلَالِي لِأَعْذِبْنِي بِعَذَابٍ لَا يُعذَبُ بِهِ شَيْئًا مِنْ الْجَوَارِحِ.

اذا ماذا سيكون عقاب اصحاب الفتاوي التكفيرية التي يستحلون بها دماء المسلمين في كل مكان، حمى الله المسلمين منهم ومن فتاويم.

وفي مقابل هذا يجعل الإسلام الكلمة الطيبة صدقة كما جاء في حديث رسول الله ﷺ بل جعل الكلمة الطيبة أفضل من الصدقة مع الأذية قال تعالى ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَبَعُهَا أَذْيٌ﴾.

حفظ اللسان:

قال رسول الله ﷺ: **الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فرب كلمة سلبت نعمة.**

وقالوا: لسانك حصانك.. إن صنته صانك.. وإن خنته خانك...
و قبل اجتماع أربعة حكماء: من الروم، والفرس، والهند، والصين
فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل
وقال الآخر: إذا تكلمت بالكلمة ملكتنى، ولم أملكها، وإذا لم أتكلم ملكتها ولم تملكنى.

وقال الآخر: عجبت للمتكلم، إن رجعت عليه كلمته ضرته، وإن لم ترجع لم تنفعه
وقال الرابع: أنا على رد ما لم أقل، أقدر مني على رد ما قلت.

فاحذر زلات اللسان وسقطات المنطق فإنك تحكم الكلمة ما دامت لم تخرج منك فإن خرجت فإنها تحكمك وإلى هذا الغرض قال ابن عباد :

حَفْظُ الْلِّسَانِ رَاحَةُ الْإِنْسَانِ
فَأَحْفَظَهُ حَفْظَ الشُّكْرِ لِلْإِحْسَانِ

قال علي بن أبي طالب عليهما السلام: «إذا تم العقل وكمل نقص الكلام».

• وجاء عن لقمان رحمه الله تعالى: «إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ
الْحَجَرِ فِي وَقْعِهِ، وَأَنْفَذُ مِنْ وَخْرِ الْإِبْرِ، وَأَمْرُّ مِنَ الصَّبِرِ، وَأَحْرُّ مِنَ
الْجَمْرِ».

• وجاء عن سيد البلغاء والمحاذين علي بن أبي طالب عليهما السلام: «مَا أَضْمَرَ
أَحَدُ شَيْءًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَّاتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ».

وورد عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه سئل عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟ فقال عليهما السلام: لكل واحد منها آفات فإذا سلم من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، قيل: وكيف ذاك يا بن رسول الله ﷺ فقال: لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت، ولا استوجبوا ولامة الله بالسكوت ولا وقيت النار بالسكوت، ولا تجنبوا سخط الله بالسكوت، إنما ذاك كله بالكلام. وبناء على ذلك فينبغي حفظ اللسان عن اللغو والسب والشتائم وإثارة الفتنة، وقصره على الحكمة والقول الحسن.

آفات اللسان:

والآفات المترتبة على اللسان كثيرة اشار الى بعضها سيدنا زين العابدين، فنقتصر على جملة منها:

الفحش: قال رسول الله ﷺ : إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذي قليل الحباء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنك إن فتشته لم تجده إلا لغية أو شرك شيطان.

وقال ﷺ : ليس المؤمن بالطعن ولا اللعن، ولا الفاحش ولا البذى.
السخرية والشماتة: وهي محاكاة أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم وخلقهم، قوله أو فعله أو إيماء أو اشارة، على وجه يضحك منه وهو يوجب الإيذاء بحضوره المزتهز به، أو غيبة في غيابه.

قال تعالى: ﴿لَا يُسْخِرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَازِرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (الحجرات: ١١).

وعن رسول الله ﷺ قال: ومن استخف بفقرير مسلم فقد استخف بحق الله، والله يستخف به يوم القيمة إلا أن يتوب.

النميمة: والنميمة قرينة الكذب، فالنميم لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والحسدة والإفساد بين الناس. ولقد حذر القرآن الكريم وبين صفاتيه.

قال تعالى: ﴿هَمَّا زِيَّ مَسَاءً بِنَمِيمٍ مَّنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدِلَ أَثِيمٍ عُتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ رَزِيمٍ﴾ (الفلم - ١١-١٣).

وعن أبي عبدالله عليه السلام، قال قال رسول الله ﷺ : «ألا انبعكم بشراركم؟

قالوا بلى يا رسول الله، قال: المشاؤن بالنمية، المفرقون بين الأحبة،
الباغون للبراء والمعائب.

- ذكر عيوب الناس: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشْيِعَ الْفَاحِشَةَ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور: ١٩.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: طوبى لمن شغله عيوب عن عيوب الناس.
وعن رسول الله عليه السلام أنه قال: إن اسرع الخير ثوابا البر، وأسرع الشر
عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيوباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه، وأن يعيّر
الناس بما لا يستطيع تركه، وأن يؤذى جليسه بما لا يعنيه»

ستر العيوب: ورد في الحديث: إن الله تبارك وتعالى إذا ستر على عبد
عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة»

وفي عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر: «ول يكن أبعد رعيتك منك
وأشنائهم عندك أطلبهم لعayıب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحقر من
سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك،
والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما
تحب ستره من رعيتك».

الكذب: قال الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾
(النحل: ١٠٥).

والكذب قسمان عملي وقولي والأول كالرياء والتعظيم في غير محله
والثاني هو ما قصدته الروايات الآتية:

عن النبي عليه السلام ويل للذي يحدث ويكتذب ليضحك به القوم، ويل

له، ويل له، ويل له.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب
جده وهزله».

الغيبة : قال تعالى:

﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحُبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ حَمَّ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُتُمُوهُ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابُ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

روي عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم انه قال: «هل تدری ما الغيبة؟ قالوا الله
ورسوله أعلم، قال : ذكرك أخاك بما يكره قيل له : أرأيت إن كان في أخي ما
أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته».

وعنه صلوات الله عليه وسلم أنه قال»ما عمر مجلس بالغيبة إلا خرب بالدين،
فنزهو أسماعكم من إستماع الغيبة، فإن القائل والمستمع لها شريكان
في الإثم».

البهتان: قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾
(النساء: ١١٢).

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أن تقول في أخيك ما قد ستره الله عليه، فأما
إذا قلت ما ليس فيه فذلك قول الله عزوجل ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

وعنه عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع أمر أخيك على
أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك
سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً».

سوء الظن : قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّنُنِ إِنَّ بَعْضَ الظُّنُنِ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله، ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله، فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر.

كثرة الكلام: عن سليمان بن مهران قال: دخلت على الصادق عليه السلام وعنده نفر من الشيعة، فسمعته وهو يقول: معاشر الشيعة! كونوا لنا زينا ولا تكونوا علينا شيئاً، واحفظوا ألسنتكم، وكفوها عن فضول وقبح الكلام».

وفي وصية للنبي صلوات الله عليه لأبي ذر: يا أبا ذر! كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع، يا أبا ذر! إنه ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان، يا أبا ذر! إن الله عند لسان كل قائل، فليتق الله المرء ولیعلم ما يقول».

السعادة: عن رفاعة بن أعين قال لي الصادق عليه السلام: ألا أخبرك بأشد الناس عذاباً يوم القيمة؟ قلت بلى يا مولاي، قال: أشد الناس عذاباً يوم القيمة من أعنان على مؤمن بشطر كلمة»

النفاق: قال تعالى:

﴿يَقُولُونَ بِالْسِتِّهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح: ١١).

عن البارق عليه السلام قال: بئس العبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطى حسده، وإن ابتلى خذله».

وهذا كله يوجزه الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته فقد جعل من إكرام اللسان وحقه على الإنسان أن يكرمه ويجله عن الخنى ويعوده على الخير من ذكر

الله وتسبيحه ويحمله على الأدب مع الناس فيخاطبهم باللين والعطف والأدب والتهذيب، يلجمه ويريحه إلا إذا كان في منفعة الدين والدنيا ويبعده عن الزوائد الكلامية وفضولها التي لا فائدة منها إلا للقضاء على الوقت وتعطيل العمر وإفساده وإصاعته وهذا لا يليق بانسان له دور في الحياة وكرامته عند الله، ثم ينبه الإمام إلى أن حسن اللسان ولينه وطيبة يدلل على عقل صاحبه ووعيه وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام يقول: وزكاته النصح للMuslimين والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره...





حق السمع

رحلة حقوقية

يغضي حياء ويغضي من مهابته
فما يكلم إلا حين يتسم

رأى الزهرى على ابن الحسين عليه السلام في ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيقا وهو
يمشي.

قال: يا ابن رسول الله ما هذا؟

قال: أريد سفرا اعد له زادا احمله إلى موضع حرizer.

قال الزهرى: فهذا غلامي يحمله عنك، فأبى قال: أنا احمله عنك فاني أرفعك
عن حمله.

قال علي ابن الحسين: لكنني لا ارفع نفسي عما ينجي في سفري ويسعد ورودي
على ما أرد عليه، أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتني فانصرف عنه فلما كان
بعد أيام قال له: يا ابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثرا؟!

قال يازهري ليس ما ضنت ول肯ه الموت وله استعد إنما الإستعداد للموت
تجنب الحرام وبذل الندى في الخير.

ما أجمل الترحال والسفر في رحاب أهل بيت الوحي ومعدن العلم و مختلف

الملائكة، نعم ففصل الخطاب عندهم كما قال إمامنا الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي مقطع آخر «كلامكم نور وأمركم رشد ووصيتم التقوى و فعلكم الخير». تلك الرحلة التي ليس تبحر بنا في حقوق هذه الدنيا بل تصعد بنا إلى تلك الشجرة المشمرة التي تؤتي أكلها كل حين، إنها سدرة المتنهي.

لا زلنا أحبتني في حق الله الأكبر والحق الرابع وهو حق السمع.

حق السمع

«وَأَمَّا حُقُّ السَّمْعِ فَتَنْزِيهُهُ عَنْ أَنْ تَجْعَلَهُ طَرِيقًا
إِلَى قَلْبِكَ إِلَّا لِفُوْهَةٍ كَرِيمَةٍ تُحْدِثُ فِي قَلْبِكَ
خَيْرًا أَوْ تَكْسِبُ خُلُقًا كَرِيمًا فَإِنَّهُ بَابُ الْكَلَامِ
إِلَى الْقَلْبِ يُؤَدِّي إِلَيْهِ ضُرُوبُ الْمَعَانِي عَلَى مَا
فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».



من نعم الله الجليلة على الإنسان نعمتا السمع والبصر اللتان نوه الله بها في كتابه العظيم وامتن بها على عباده في كثير من آياته كقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٢٣).

ذكرت كلمة السمع ومشتقاتها وتصاريفها في القرآن الكريم ١٨٥ مرة بينما وردت فيه كلمة البصر ومشتقاتها وتصاريفها ١٤٨ مرة فقط.

وحيشا وردت كلمة السمع في القرآن عنت دائما سماع الكلام والأصوات وإدراك ما تنقله من معلومات. وقد ترافت كلمتا السمع والبصر في ٣٨ آية كريمة.

ومن الملاحظ في آيات السمع والبصر أن كلمة السمع قد سبقت كلمة البصر وبلا استثناء، فلا بد وأن نتسائل هل لهذا السبق دلالة خاصة؟ أيضا نلاحظ أن الإمام زين العابدين قدم حق السمع على حق البصر، هل لهذا التقديم صدفة أم أن الكتاب

والعترة شيء واحد وأنهما لا يفترقان، الواقع أنهما مشكاة واحده فهذا القرآن الصامت
وهم القرآن الناطق.

اجل هناك دلالة علمية تتعلق بخلقة هاتان الحاستان عضوياً، ودلالة معنوية تتعلق بهما فكرياً وهذا ما مستناوله باختصار.

وللإجابة على الفقرة الأولى: من المعلوم فزيولوجياً وتشريحياً أن العصب البصري يحتوي على أكثر من مليون ليف عصبي بينما لا يحتوي العصب السمعي إلا على ثلاثين ألف ليف فقط كما أن من المعروف فيزيولوجياً أن ثلث الأعصاب الحسية في الجسم هي أعصاب بصرية ولا يرد إلى الجسم من مجموع المعلومات الحسية عن طريق الجهاز السمعي أكثر من ١٢٪ بينما يرد إلى الجسم عن طريق الجهاز البصري حوالي ٧٠٪ من مجموع المعلومات الحسية.

لابد من وجود سبب لم نعرفه بعد، ولكن لو تبصرنا في الحقائق العلمية التي عرفت حديثاً في علوم الأجنحة والتشريح الفيزيولوجي والطب لتمكننا من إيجاد الأحجوبة ولأتضح لنا الإعجاز العلمي في هذه الآيات، وأما الحقائق فهي:

أ- جهاز السمع يتتطور جينياً قبل جهاز البصر، ويتكامل وينضج حتى يصل حجمه في الشهر الخامس من حياة الجنين الحجم الطبيعي له عند البالغين بينما لا يتكامل نضوج العين إلا عند السنة العاشرة من العمر.

ب - يبدأ الجنين بسماع الأصوات وهو في رحم أمه وفي الشهر الخامس من حياته الجنينية ولكنه لا يبصر النور والصور إلا بعد ولادته.

ج - تطور وتضيّع كل المناطق والطرق السمعية العصبية قبل تطور ونضوج ميلاتها البصرية بفترة طويلة.

حاسة السمع في القرآن الكريم:

تتناول هذه المقالة الكلام عن حاسة السمع في القرآن الكريم.

والحواسُ في اللغة: المشاعر الخمس وهي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. وفيها الكلام عن أذن الإنسان.

واختلف العلماء في أذن الإنسان هل هي من الرأس؟ أم أنها عضو مستقل لا من الرأس ولا من الوجه؟

مقدمة :

الأذن هو العضو الحسي الذي يُمكّنا من السمع، والذي هو أحد أهم الحواس.

ومن فوائد السمع أنه يحذرنا من الأخطار كسماعنا أصوات تحذير أبواب المركبات أو أجهزة التحذير من الحريق، كذلك يمنحك السمع المتعة عند تغريد الطيور، وأصوات الأمواج التي تتكسر على الشاطئ.

فكل شيء يتحرك يحدث صوتاً، والصوت يتكون من اهتزازات لجزيئات الهواء التي تنتقل في موجات، ثم تدخل هذه الموجات إلى الأذن، حيث تتحول إلى إشارات عصبية تُرسل إلى الدماغ الذي يقوم بدوره بترجمة هذه الموجات إلى أصوات.

وللأذن وظيفة أخرى بالإضافة للسمع وهي حفظ التوازن، فهي تحتوي على أعضاء خاصة تستجيب لحركات الرأس فتعطي الدماغ معلومات عن أي تغير في وضع الرأس، فيقوم الدماغ ببعث رسائل إلى مختلف العضلات التي تحفظ الرأس والجسم ثابتين، كما في حال الوقوف، أو الجلوس، أو السير، أو أي حركة أخرى.

ولكثير من الحيوانات آذان مشابهة لآذان الإنسان، ويملك بعضها حاسة سمع قوية جداً، والسمع مهم أيضاً لأمان وبقاء العديد من الحيوانات، فالأخوات تحذرها من اقتراب الأعداء أو أي خطر آخر، كما يقوم بعضها بالغناء أو الهسهسة أو الدندنة أو إصدار أصوات أخرى للتفاهم فيما بينها.

السمع في القرآن الكريم:

يتضمن السمع ثلات درجات معروفة في علم وظائف الأعضاء، وهي مذكورة في كتاب الله تعالى:

الدرجة الأولى: الإحساس بالصوت دون فهم، وذلك مثل الطفل الوليد الذي يحس بالصوت لكنه لا يفقه معناه، أو كالدواب السارحة التي إذا نعقت بها راعيها، أي دعاها إلى ما يرشدها فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه، فلا تفهم ما يقول، بل إنما تسمع صوته فقط، وهذا مذكور في قول الله تعالى:

﴿وَمَثُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنَدَاءً﴾ (البقرة: ١٧١).

والثانية: هي الإحساس بالصوت مع الفهم وعدم الطاعة وذلك في قوله تعالى:

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥).

والثالثة: هي الإحساس بالصوت مع الفهم بالإضافة إلى الاقتناع والإيمان والطاعة وهي أعلى درجات السمع التي تُنحى للمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ...﴾ (الأعراف: ٣٦).

هذه المعاني أو الدرجات الثلاثة تتوافق مع ما هو معروف في علم وظائف الأعضاء من الإحساس بالصوت والتمييز والفهم والوظائف العليا الأخرى للمخ التي تتضمن العواطف والإرادة والتصرات.

والقرآن العزيز فرق بين السمع والاستماع والإصغاء والإنصات بطريقة بلغة ودقة ومناسبة للموقف:

- فالسمع يكون بقصد ومن دون قصد، ومثاله في كتاب الله العزيز قوله تعالى:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا الْلَّغُوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ (القصص: ٥٥).

- والاستماع يكون بقصد من أجل الاستفادة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَوْعُونَ الْقُرْآنَ﴾ (الأحقاف: ٢٩).

- والإصغاء: حيث التركيز وتفاعل القلب والمشاعر، قال تعالى: ﴿وَلَنَصْغِي إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلَيَرْضُوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ (الأنعام: ١١٣).

وجاء معنى صugi في مختار الصحاح ص غ ١: صغا مال وبابه عدا وسما ورمى وصدي وصugiًّاً أيضاً قلت ومنه قوله تعالى ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَتَصْغِي إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ وأصغى إليه مال بسممه نحوه وأصغى الإناء أماله.

- والإنصات هو ترك الأشغال والسكوت والتفرغ للاستماع، وذلك مصدق قوله جل شأنه ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

أهمية السمع :

إن السمع أهم وسيلة من وسائل التعلم والإدراك، قال الله تعالى:

﴿وَاللهُ أَكْبَرُ حَكْمُ مَنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨).

ومن العجيب في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قال فيها: ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾.

لذلك قد يقال: كيف خرج من بطن أمه وهو لا يعلم شيئاً ولا يفقه معناه؟
والجنين داخل بطن أمه يحس بالصوت !

فيجب عن هذا:

أن الجنين في بطن أمه يدرك ولا يعلم، والإدراك غير العلم، فالله تعالى جعل

لهم السمع والأبصار والأفئدة قبل الخروج من بطون الأمهات، وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج.

وحيث يبدأ الله سبحانه وتعالى بشيء ويقدمه على غيره يكون لذلك دلالة على الأهمية، والنبي ﷺ لما بدأ بالسعي بين الصفا والمروة بدأ بالصفا وقال: أبدأ بما بدأ الله به، فالبدء بما بدأ الله به يدل على أهميته وتقديمه كما جاء التقديم للسمع.

وقد برهنت الاكتشافات الطبية أن السمع أهم من البصر وذلك من كل الجوانب، فإذا أخذنا مقارنة بسيطة بين الأذن والعين نلاحظ أن:

١- البصر يحتاج إلى النور فنحن لا نستطيع أن نرى في الظلام.

٢- البصر حاسة شعورية يخضع لإرادة صاحبه بمعنى أنه بإمكاننا أن نرى أو لا نرى حسب إرادتنا الشخصية وبإمكاننا أن نلتف نظرنا عن شيء لا نرغب في رؤيته.

٣- العين تنام وتستريح بالليل لأننا لا نرى شيئاً بالليل إلا في الرؤى والأحلام.

٤- الأذن تمكنا من السمع وحاسة السمع لا شعورية، أي أنها نسمع في الليل والنهار وفي النوم واليقظة، لأن الأذن لا تنام.

نشأة حاسة السمع وتطورها:

يقول العلم الحديث: إن الجهاز السمعي يبدأ تخلقه منذ بداية الأسبوع الثاني للجنين، وهو في رحم أمه، ويكون ذلك على هيئة حفرة على جانبي الرأس، ثم تصبح حويصلة ثم تستطيل، ثم تتكون الأذن الداخلية، وبعد ذلك يتكون الدهليز السمعي، ثم تصل بالعصب السمعي، وبتقدم وسائل العلم ثبت أنه بإمكان الجنين أن يسمع الأصوات منذ الشهر الرابع، فهذا عالم آخر تكفل به العليم الخبير.

فالأذن هي أول عضو من أعضاء البدن في التخلق.

ومن إعجاز القرآن أيضاً ذكره وظائف الجسم الحيوية كلها تتقهقر بتقدم العمر كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرُهُ نُنَكِّسُهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (يس: ٦٨).

وكان من دعائنا اللهم متعنا بأسى اعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحياتنا واجعله الوراثتنا. قال العلماء: إن معنى عبارة معنى أجعله الوراثتنا: تعني (أبقها صحيحة سليمة إلى أن الموت).

وكان النبي ﷺ إذا سجد يقول: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين.

وهو النبي ﷺ يلخص لنا علم الأجنحة البشري في كلمة واحدة في خلق الأذن حين يقول: «شق سمعه وبصره»، وليس هناك كلمة أبلغ ولا أخص من هذه الكلمة في وصف تخلق الأذن. حيث الأذن تتكون من ثلاثة أجزاء: أذن خارجية، ووسطى، وداخلية.

الأذن الداخلية هي العضو الرئيس في السمع وهي التي تبدأ في التخلق أولاً، وهي تبدأ بصحيفة تخينة من الأذين الظاهر، هذه الصحيفة تبدأ وتغطس داخل الجسم حتى تفقد اتصالها بالسطح ثم تتشكل بعد ذلك على هيئة قنوات محفورة بعناية وإحكام وإتقان وزوايا محسوبة بدقة حتى تخدم وظيفة السمع ووظيفة التوازن، ولكن تبقى هذه الأذن معزولة عن السطح وتريد أن تتصل بالهواء الخارجي كي تستقبل الأصوات، وتريد أن تتصل بتجويف الإنسان كي يتعادل الضغط على جنبي الطلبة ومن ثم تبدأ الأذن الخارجية على هيئة شق وتبدأ كتلة خلوية في التكون لتصبح الأذن الخارجية وهي عبارة عن شق من الخارج إلى الداخل، وهناك شق آخر من الداخل إلى الخارج هو قناة ستاكس وتجويف الأذن الوسطى وهذه تقابل الشق الداخلي وقبل الشق الخارجي، ويفصل بينهما غشاء واحد رقيق هو غشاء الطلبة.

ولما كانت الأذن كاملة التكوين قبل وعند نزول الإنسان بل وقبل نزول الإنسان، فالأذن الداخلية تصل إلى كثافتها وحجمها حتى في البالغ في الأسبوع الثاني والعشرين في منتصف فترة الحمل تقريباً.

ولما كانت الأذن هي الحاسة المكتملة وحدها عند الولادة كان من سنته (وبتوجيهه المهي) أنه يؤذن في أذن المولود، كما في الحديث الذي رواه الترمذى عن عبيد الله أبي رافع عن أبيه قال: «رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاحة».

وما يلفت النظر أن التعليم هنا بدأ مبكراً جداً، بدأ بعد الولادة حيث أثبتت الدراسات أن خلايا المخ تتكون بينها الاتصالات العصبية بحسب المؤثرات الخارجية، وليس هناك ما هو أهم من الأذان بما فيه من معانٍ من إعلامه بالتوحيد أول ما يقمع سمعه عند قدومه إلى الدنيا.

والشيء الآخر اللافت للنظر أن النبي ﷺ أذن في أذن المولود ! ولم يؤذن في المكان الذي يوجد فيه المولود مع أن الأذن تكون مكتملة من الناحية التشريحية ومن الناحية الوظيفية، وذلك لأن من المعروف عند الولادة أن سائل الأمنيوسي amniotic fluid يملأ كل تجويف الجنين بما فيها تجويف الأذن الخارجية والوسطى ومن ثم يحدث ضعف في السمع يقدر من ٤٠ - ٢٠ ديسيل، لذلك لا يسمع الطفل في تلك الفترة - أي صوت غير الهمس الذي يصل إلى أذنه، لذا لو حدث الأذان في المكان وليس في أذنه فلن يسمع المولود ومن ثم لا تكون الفائدة.

صور الأذن البشرية:

يتكون الصوت من ذبذبات تسير في موجات عبر الهواء أو الأرض أو مواد وأسطح أخرى. وتختلف الأصوات من حيث التردد والشدة، فالتردد هو عدد

الذبذبات التي تحدث كل ثانية وتقاس بالهرتز، والهرتز يساوي ذبذبة واحدة كل ثانية، والصوت ذو التردد العالي له درجة نغم عالية. وبالمقابل فإن الصوت ذو التردد المنخفض له درجة نغم منخفضة. ويتراوح مدى السمع الطبيعي لـ الإنسان ما بين ٢٠ و٢٠،٠٠٠ هرتز. وتقل قدرة الإنسان على سماع الأصوات ذات التردد العالي مع التقدم في العمر، أما شدة الصوت فهي كمية الطاقة في موجة الصوت، وهي تقاس بالديسيبل.

لكن أذن الحيوانات كما هو معروف تتفوق على أذن الإنسان كثيراً حتى إن الخفافيش والدلافين تستطيع أن تسمع لغاية ١٢٠٠٠ ذبذبة لكل ثانية.

فالخفافيش تستطيع سماع الأصوات ذات التردد العالي جداً بدرجة أفضل من الإنسان، فالخفافش هو حيوان ليلي يعيش في الكهوف، وينشط أثناء الظلام، ولذلك فإن الرؤيا عنده لا قيمة لها. ويعتمد الخفافش على السمع في حركته وذلك من خلال الاستعانة ببروز يسمى محدد موقع الصدى، إذ يُطلق نبضات فوق صوتية تتعكس من أي شيء يقع في طريقه أثناء الطيران فيسمعها بأذنيه الكبيرتين، ويقرر بكل دقة بعد الأشياء والفريسة تماماً، وكذلك يحدد بشكل رائع اتجاهها، وقد قلد البشري، وقلده العلماء بعد أن درسوا هذه الظاهرة، وكانت هي القاعدة الأساسية التي أقاموا عليها فكرة الرادار في اكتشاف الطائرات، ف﴿سَبَحَانَ رَبِّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

﴿وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أَمْمُ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّ طَنَّا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (آلأنعام: ٣٨).

حسنة السمع أثناء النوم:

قد قدمنا أن الحواس عند النوم تتغزل، لكن تبقى حسنة السمع تعمل، ومن ثم

ذكر الله عز وجل وربط بين النوم والسمع في آيات عديدة منها:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءً أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (القصص: ٧١).

فرربط بين السمع والليل، ومعنى سرمداً: أي دائمًا.

وفي سورة الكهف قال تعالى: ﴿فَضَرَبَنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف: ١١).

فرربط بين الضرب على الأذن وبين النوم دون استيقاظ هذه الفترة الطويلة.

والضرب هنا التعطيل والمنع، المراد: من ذلك هو أننا عطينا حاسة السمع عندهم مؤقتاً و الموجودة في الأذن والمرتبطة بالعصب القحفي الثامن. قال صاحب تفسير الكشاف في تفسير هذه الآية، أي ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع يعني أنمناهم إنما ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات كما ترى المستقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستتبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال: بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة. وجاء في المجمع: ومعنى ضربنا على آذانهم اي سلطنا عليهم النوم، وهو من الكلام البالغ في الفصاحة.

وأيضاً تم تعطيل الجهاز المنشط الشبكي (ascending reticular activating system) الموجود في الجذع من الدماغ والذي يرتبط بالعصب القحفي الثامن أيضاً (فرع التوازن) حيث إن هذا العصب له قسمان: فأما الأول: مسؤول عن السمع، وأما الثاني: مسؤول عن التوازن في الجسم داخلياً وخارجياً ولذلك قال الله سبحانه ﴿فَضَرَبَنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ ولم يقل (ضربنا على سمعهم) أي إن التعطيل حصل للقسمين معاً وهذا الجهاز الهام مسؤول أيضاً عن حالة اليقظة والوعي وتنشيط فعاليات أجهزة الجسم المختلفة والإحساس بالمحفزات جميعاً وفي

حالة تعطيله أو تخديره يدخل الإنسان في النوم العميق وتقل جميع فعالياته الحيوية وحرارة جسمه، فسبحان اللطيف الخبير.

ودل القرآن الكريم على أن الصوت العالي ضار على الأذن وعلى البدن فأما ضرره على الأذن فهو في قول الله تعالى عن يوم القيمة: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ﴾ (عبس: ٣٣).

قال المفسرون: إن الصَّاخَةُ هي الصيحة تُصمِّمُ الأذان لشدها، أي تصيبها بالصمم، ومنه سُميَت القيمة الصَّاخَةُ. وهذا يعتبر أول توثيق علمي بأن الصوت العالي يصيب الأذن بالصمم، كما قال صاحب القاموس المحيط: الصَّمَمُ: انسدادُ الأُذُنِ وثقلُ السَّمْعِ.

وأما ضرره على البدن: فيتمثل الإعجاز بأن الصوت العالي لا يؤثر فقط على الأذن وإنما يؤثر إذا زاد عن المدى السمعي للأذن على بقية أعضاء البدن، ومن ثم فقد أهلك الله سبحانه وأقواماً بالصيحة كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (يس: ٢٩). وكما في قوله تعالى: ﴿فَأَخْذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَضْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِيْمِ﴾ (الأعراف: ٧٨).

ومن المعروف أن الصوت عبارة عن نوع وشكل من أشكال الطاقة وهو عبارة عن تضاغطات وتخللات في الهواء إذا زادت عن الحد المسموح به بالنسبة للأذن أضرت الأذن، وإذا زادت عن طاقة احتمال الأذن تضر بقية الأعضاء فيصاب الإنسان بالإجهاد والضيق والتوتر العصبي وعدم التركيز ويؤثر على القلب والجهاز الدوري فيصاب بسرعة النبض وارتفاع ضغط الدم وتزايد هذه التأثيرات حتى تصل إلى ذروتها في الانفجارات المصاحبة للقنابل الضخمة وذلك لأن هذا الانفجار يطلق طاقة عظيمة جداً في وقت قصير جداً، يتعدد جزء من هذه الطاقة على صورة حرارة عالية تصل إلى أربعين درجة مئوية والجزء الآخر يطلق على هيئة زيادة في الضغط الجوي،

وهذا الضغط الشديد والمتشر خلال الأرض يمكن أن يحدث رجفة مشابهة للزلزال ذات المدة القصيرة، ومن هنا عبر القرآن العظيم تارة بالصيحة وتارة بالرجفة.

وهذا الأثر الذي تتركه الصيحة يصل إلى تدمير الأعضاء الرئيسية والأوعية الدموية وانفجار الرئتين يصاحب توقف القلب والدورة الدموية مما يؤدي إلى وفاة الإنسان.

والقرآن الكريم قد سبق كل المعارف البشرية حين قرر إهلاك بعض الأمم بالصيحة، والمتأمل في الآيات التي ذكرت هلاك بعض الأقوام بالصيحة يعجب من دقة الوصف لوسيلة العذاب ولأثرها على المعذبين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (يس: ٢٩).

ويقى الشرف العظيم للأذن حين وصف الله تبارك وتعالى نبيه محمد ﷺ بأذن الخير عندما أراد المنافقون أن يؤذوا رسول الله ﷺ فقالوا عنه هو أذن أي سماع لكل قول يجوز عليه الكذب والخداع ولا يفطن إلى ذلك، فأخذ الله من قوتهم ردًا عليهم فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ النَّبِيَّ وَيُقْتَلُونَ هُوَ أَذْنٌ قُلْ أَذْنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ هُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبه: ٦١).

نعم هونبي الرحمة محمد ﷺ أذن خير للناس يستمع إلى الوحي ثم يبلغه لهم وفيه خيرهم وصلاحهم ويصدق الله فيما يقول له، ويصدقكم فيما تعذرون إليه.^(١) أما وقد تعرضنا للحقائق العلمية والفيزيولوجية لهذه اللاقطة العجيبة، فستعرض الآن لوسيفتها المعنوية والفكرية وأثرها على هداية الإنسان.

قال إمامنا الصادق ع عليه السلام في حديث الزكاة: وزكاة الأذن استماع العلم والحكمة

(١) بقلم عبدالقادر شعروف من موقع صيد الفوائد «مع بعض التصرف».

والقرآن وفوائد الدين من الحكمة والوعظة والنصيحة وما فيه نجاتك بالإعراض عنها هو ضده من الكذب والغيبة وأشباهها.

هذا الجهاز الذي ينقل المعلومات فيبدل كيان هذا الإنسان ووضعه ويحوله من صف إلى صف آخر ومن جهة إلى جهة أخرى، فإذا سمع فكرة ذات قيمة رسالية وتفاعل معها قد تحوله إلى ملائكة في شكل إنسان كما أنه إذا سمع فكرة هدامة ملحدة قد تحوله إلى مجرم وقاطع طريق.

فعليه يجب علينا أن ننذر إسماعينا عن اللغو والمجون وكل ما هو مفسد لأن هذه الأذن ستنتقل ما تسمع وعن طريقها ستأثر الإنسان وبيئتك، أما سمعت قوله تعالى:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِّعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يُخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مُّنْثُرُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٠).

وفي المقابل الآخر يجب أن تكون هذه الأذن مفتاح الخير والهدى وعن طريقها يتلقى الإنسان كل ما يصلحه ويسعده من كلام وحديث وأخبار ومحاضرات بشتى أنواعها وفي جميع الميادين وكل ما فيه حكمة وفائدة كما قال زين العابدين «تحدث في قلبك خيراً أو تكسب خلقاً كريماً». وأفضل ما تتلقاه إسماعينا كلام الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).



حق البصر

رحلة حقوقية

مُشَتَّقَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبَعَتْهُ
طَابْتْ مَغَارِسُهُ وَالخَيْمُ وَالشَّيْمُ
يَنْشَقُ ثَوْبُ الدُّجَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ
كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلْمُ
مِنْ مَعْشَرِ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمْ
كُفْرٌ وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصَمٌ

عن عبد الله بن المبارك قال : حججت في بعض السّنين ، فيبينا أنا أسيء في عرض الحاج ، إذا أنا بشاب وسيم الوجه يسير ناحية عن الحاج بلا زاد ولا راحلة ، فتقدمت إليه وسلمت عليه ، فردّ علي السلام ، فقلت : مع من قطعت البر ؟ قال : «مع الباري». فعظم في عيني ، فقلت له : أين زادك وراحلك ؟ قال : «زادي تقواي ، وراحتلي رحلاي ، وقصدي مولاي». فكبر في نفسي ، فقلت له : ممّن تكون أية الشّاب ؟ قال : «هاشمي». قلت : أفصح ؟ قال : «طالبي». قلت : أوضح ؟ قال : «فاطمي». قلت له : يا سيدّي ، هل قلت شيئاً من الشّعر ؟ قال : «نعم». قلت : أشدني من شعرك. فأنشأ يقول :

نَحْنُ عَلَى الْحَوْضِ ذَوَادُهُ وَتُسْقَى بِنَا مِنْهُ وَرَادُهُ

وَمَا فَازَ مَنْ فَازَ إِلَّا بِنَا
وَمِنْ سُرَنَالِ مَنَالِ السُّرُورِ
وَمِنْ كَانَ غَاصِبَنَا حَقَنَا
فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَيْعَادُهُ

ثُمَّ غَابَ عَنِّي، فَلَمْ أَرِهِ حَتَّى أَتَيْتُ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ وَقُضِيَتِ الْحِجَّةُ وَأَتَيْتُ
الْأَبْطَحَ، فَإِذَا أَنَا بِحَلْقَةِ مَسْتَدِيرَةٍ، فَاطَّلَعْتُ لِأَنْظُرَ مَنْ فِيهَا، فَإِذَا أَنَا بِصَاحْبِي الشَّابِ
الْهَاشَمِيِّ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:

نَحْنُ بُنُوْتُ الْمُصْطَفَى ذُوْوُ الْعُصُصِ
عَظِيمَةُ فِي الْأَيَامِ مُحْتَنَاهُ
يَفْرَحُ هَذَا الْوَرَى بِعِدَهُمْ
وَالنَّاسُ بِالْأَمْنِ وَالسُّرُورِ وَلَا
يَحْكُمُ فِيْنَا وَالْحُكْمُ فِيْهِ لَنَا
يَجْرِعُهَا فِي الْأَنَامِ كَاظِمُنَا
أَوْلَانِامِ بَتْلَى وَآخِرَنَا
وَنَحْنُ أَعْيَادُنَا مَاتَمُنَا
يَأْمُنُ طَوْلَ الزَّمَانِ خَائِفُنَا
جَاهِدُنَا حَقَّنَا وَغَاصِبُنَا

فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي : هُوَ زِينُ الْعَابِدِينَ عَلَى بْنُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَيُّهَا الْأَحَبَّةُ رَحْلَتْنَا لَا زالتْ تَخْرُ عَبَابَ الْحُقُوقِ لِتَعْطِيَ لِكُلِّ ذِيْهِ حَقَّهُ وَلَا
زَلَّنَا فِي مَدَارِ حُقُوقِ الْخَالِقِ وَقَدْ بَيْنَا حُقُوقَ السَّمْعِ سَابِقًا وَبَيْنَ الْأَنْ حُقُوقَ الْبَصَرِ
وَهَاتَانِ الْجَارِهَتَانِ مُتَلَازِمَتَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَلَذِلِكَ اتَّبَعَ الْإِمَامَ زِينَ الْعَابِدِينَ حَقَّ
الْبَصَرِ مُبَاشِرَةً بَعْدَ حَقِّ السَّمْعِ وَلِلنَّنْتَظَرِ مَا يَقُولُ.

حق البصر

(وَأَمَّا حَقُّ بَصَرِكَ فَعَغْسُهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ وَتَرْكُ
إِبْتِدَاهُ إِلَّا لِوَضْعِ عِبْرَةٍ تَسْتَقْبِلُ بِهَا بَصَرًا أَوْ
تَسْتَفِيدُ بِهَا عِلْمًا، فَإِنَّ الْبَصَرَ بَابُ الْإِعْتِبَارِ).



النصوص القرآنية تفرق بين السمع والبصر من ناحية، والعين والأذن من
ناحية أخرى، فما سر هذه الظاهرة؟

فعندما تذكر الآيات القرآنية السمع والبصر، والعين والأذن نلاحظ ما يلي:

١- يأتي السمع والبصر في معان حول الفكر والفهم والتدبر، بينما تأتي العين والأذن مراداً بها الأعضاء الناقلة للمؤثرات الحسية.

مثال على الإدراك والفهم التدبر: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨).

مثال على الأعضاء: ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَقْيِضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ (المائدة: ٨٣) ﴿كَانَ فِي أُذُنِيهِ وَقَرَاء﴾ (لقمان: ٧).

٢- وعندما يأتي السمع مع البصر في آية واحدة فإن السمع يتقدم على البصر في معظم القرآن الكريم، كما في الآية من سورة النحل ٧٨، وعندما تأتي العين مع الأذن في آية واحدة فإن العين تتقدم على الأذن في معظم القرآن الكريم، أيضاً مثال: ﴿أَمْ هُمْ أَعْيُنُ بُصِّرُونَ بِهَا أَمْ هُمْ آذَانُ يَسْمَعُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٥)، ومن هنا يتبيّن الآتي:

- ومن هنا يتبيّن أن القرآن الكريم يفصل بين أدّي الحس (العين والأذن) وقوّة الإدراك (السمع والبصر)، أمّا الحقيقة العلمية هي أن العمليّة الحسيّة للسمع والبصر تتكون من أعضاء للاستقبال (العين والأذن) ومركز السمع في الفص الصدغي، ومركز الإبصار في الفص المؤخر من الرأس.

- العين والأذن تشير إلى الأعضاء الحسيّة، أمّا السمع والبصر فإنّهما يشيران إلى معان حول الفهم والعقل والتدبّر أو الإدراك العاقد. أمّا الحقيقة العلمية فهي ما العين والأذن إلا أدوات لنقل الإشارات الحسيّة السمعيّة والبصريّة إلى حيث يتم إدراكتها وفهمها داخل مركز السمع والبصر داخل المخ.

- العين تتقدّم على الأذن في كلام الله غالباً. أمّا الحقيقة العلمية فهي أن العين تقع أمام الأذن في صنعة الله في رأس الإنسان.

- السمع يتقدم على البصر غالباً في كلام الله. أما الحقيقة العلمية فان مركز السمع يتقدم على مركز البصر داخل المخ البشري.

فحربي بنا الإهتمام بهذه الجارحة ومعرفة اجزائها والمحافظة والعناء بها، ولننظر الى الطب وما يقول فيها :

تركيبة العين:

القرنية

تشبه زجاجة الساعة، تشكل الغطاء الشفاف الحامي لمقدمة العين والذي يسمح للضوء بالنفذ خلاله دون انكسار ويغطي الجزء الملون (القزحية) وتقوم القرنية بوظيفة هامة تمثل في السماح للأشعة البصرية للدخول إلى الحجرة الأمامية للعين وفي حماية العين من العدوى بسبب طبقة الدموع الخفيفة التي تغطي القرنية والتي تعطي حماية كبيرة للعين ضد البكتيريا والتلوث والأربطة.

المتحمة:

هي الغطاء الشفاف للجزء الأبيض من العين، الملحومة، وعندما تتهيج أو تلتهب يحمر لونها وهذه الحالة تسمى التهاب الملحومة، والتي يمكن أن تكون ناتجة عن تحسس أو التهاب. ووظيفتها أنها تساهم في ترطيب وتزليق العين من خلال إنتاج المخاط والدموع (بكميات قليلة مقارنة مع الغدد الدمعية)^(١)، بالإضافة إلى ذلك فإن للملحومة دوراً مناعياً يتمثل في ترصد الأجسام الغريبة والجراثيم ومنع دخولها إلى العين.

(١) من موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

الصلبة (Sclera):

لونها أبيض وهي الطبقة الأولى الخارجية من طبقات العين الثلاث ولكنها غير شفافة لتحمي العين، وهي لا تنتص الضوء بل تعكسه.

العدسة:

يجب أن تحتوي كل كاميرا على عدسة لتوضيح الصورة جيداً، تحتوي العين على عدسة صغيرة، وهي صافية وشفافة، توضح الصور على الشبكية والتي تعمل عمل الفيلم الذي يسجل الصور والتي يتم توصيلها بواسطة العصب البصري للدماغ حيث تترجم الصورة، إلى الدماغ الذي يؤدي وظيفة الرؤيا الحقيقة وتقوم عدسة العين بتثبيت الصورة المارة عبر القرنية إلى الشبكية، لذلك يجب أن تكون صافية وثابتة الشكل لتعطى رؤيا جيدة، ثم يتم تحويل هذه الصور بواسطة العصب البصري إلى الدماغ حيث تترجم الصور. لذلك فإن خدش القرنية عند تمزق الطبقة السطحية يسبب ألمًا شديداً.

البؤبؤ:

هو المركز الأسود من القرحية، وهو المسؤول عن تحرير كمية الضوء اللازمة للرؤيا للعين، حيث يتغير حجمه تبعاً لذلك.

وظيفة البؤبؤ:

تسع الحدقة في الظلمة لستقبل أكبر كم من الضوء وتضيق في النور لستقبل كم صغير ومناسب للضوء وتحكم عضلاتان في القرحية في تعديل حجم بؤبؤ العين لمستوى الضوء المناسب تلقائياً حيث تقوم العضلة الموسعة بتوسيع البؤبؤ في الضوء الخافت. وفي

هذه الحالة، يمكن أن يدخل العين أكبر قدر ممكن من الضوء. أما في الضوء الشديد، فإن العضلة العاصرة تضيق بؤبؤ العين لمنع الضوء الشديد من دخول العين. كما يضيق البؤبؤ أيضاً عندما تنظر العين إلى جسم قريب لكي تكون صورة واضحة.

الشبكيّة:

إنما الجزء الحساس للضوء في العين، تحتوي على شريان رئيسي واحد، ووريد رئيسي واحد، والذي يسمى الورد الشبكي المركزي. وتعمل الشبكيّة على تحويل الأشعة الضوئية إلى نبضات عصبية يتم نقلها عبر العصب البصري إلى مراكز الدماغ العليا ويتم ذلك في المستقبلات الضوئية.

العنبيّه:

الجزء الأوسط من العين، وتشتمل على ثلاثة أجزاء، وهي (القزحية وهو الجزء الملون من العين والجسم الهدبي، والشميمه)، وأن التهاب أو انتفاخ أي من هذه الأجزاء أو الأنسجة المجاورة لها يسمى التهاب العنبية.

مركز الإبصار:

وهو الجزء من العين الذي يحتوي على خلايا خاصة حساسة للضوء، والتي تؤهلنا لرؤية التفاصيل الدقيقة بوضوح وهي موضوعة في الشبكيّة، وهي جزء مهم من أجزاء العين بحيث أن أبسط التغيرات فيها تؤدي إلى نقصان كبير في الرؤية.

السائل الزجاجي:

هو المادة اللامبة الشفافة التي تبعي الجزء الأوسط من العين.

العصب البصري:

انه الطريق التي تربط العين بالدماغ، وهو الوسيلة التي بها يتم التقاط الصور الواقعية على الشبكية بواسطة الدماغ حيث المكان الذي تترجم فيه الصور.

الجفون:

تشكل الجفون لعين عنصر اساسيا للوقاية البصرية، فهي تحافظ على الرؤية بالمحافظة على الرطوبة الداخلية، ومنع دخول الأجسام الغريبة للعين، فبدونها تجف عيوننا بسرعة لعرضها للهواء أو يمكن أن تتأذى بشدة من الرماد أو الحصى أو أي جسم غريب آخر، لاحظ السرعة التي تغمس وتفتح عينيك بها عندما يقترب شيء من عينك يوجد عدة طرق يمكن أن تتأذى بها الجفون، يمكن أن تجرح، أو تحرق في حادث ما، أو أن تلتهب، أو أن تتعرض للأورام والتي يمكن أن تكون خبيثة أو حميدة. ويوجد مشكلتان جفنيتان آخرتان هما الإرتخاء والترهل. إن الجفون المترهل يمكن أن تكون مكتسبة أو وراثية، حيث تظهر عند الكبار، إلا أن كلا الحالتين يمكن تصحيحتها بنجاح كبير.

الجهاز الدمعي:

يشكل هذا الجهاز نظام صرف مائي مصغر والذي يمنع الدموع من التدحرج على الوجنتين بشكل مستمر، تقipض الدموع من على سطح العين إلى حافة الجفنين باتجاه الأنف، وقبل وصولها إلى زاوية العين تنحدر في أنبوين صغيرين ومنها إلى أنبوب كبير والذي يحمل الدموع إلى الأنف هذا ما يفسر لماذا عندما نبكي ننطف أنوفنا. الكثير من المشاكل تؤدي إلى أن يخرج هذا النظام الدموع بشكل دون المطلوب، فقد يمزق حادث ما أيًا من أنبوي الدموع الصغيرين، كما يمكن لأي التهاب مزمن أن يجرح هذه الأنابيب، أو يمكن أن تقوم بعض الأورام بسد الأنبوين جزئياً، كل ذلك

يمكن أن يؤدي إلى عدم انسياط الدموع بشكل جيد مما يؤدي إلى تجمّع الدموع في العينين وخروجهما إلى الوجنتين، ولحسن الحظ فإنّ الطب بات بإمكانه أن يحل مثل هذه الحالة المزعجة ويعيد للجهاز الدمعي وظيفته.

يولد حوالي ٢٠٪ من الأطفال بأنباب دمعية مغلقة مما يؤدي إلى التهاب حاد أو مزمن نسبياً في النظام الدمعي مما يسبب في إيجاد خليط من المخاط والصديد الذي يتربّس في زاوية العينين وبين الجفونين مما يتوجب على الوالدين أن ينظفاه بالمسح بمنديل نظيف. يمكن تخفيف من هذا الترسب باستخدام قطرة المضاد الحيوي في العين المصابة تقريرياً فيفتح هذا الإنسداد على سن سنة وإذا لم تفتح القناة عند مرور السنة الأولى للطفل فانّ أخصائي العيون يقوم بفتحها بطريقة بسيطة تدعى فتح الجهاز الدمعي الأنفي هذه الطريقة المختصرة تتطلب تخديراً مختصراً ودخولاً للمريض في المستشفى لفترة قصيرة.

محجر العين:

هو المكان العظمي الذي تقع فيه كمة العين، فلو وضعت اصبعك على حاجبك وضغطت فسوف تشعر بحافة المحجر وإذا حرّكت اصبعك حول دائرة محجر العين فستشعر الحماية التي يوفرها المحجر لكرمة العين من كل الجوانب - ما عدا الأمام حيث الجفون - كما يوجد بين كمة العين والبيت العظمي بعض التركيبات مثل (الشحوم، العضلات، الأوعية الدموية والغدد)، حيث تعرف هذه بالمكونات المحجرية، ويمكن لهذه المكونات أن تتوّرم مما يدفع بالعين للأمام، وكثيراً ما يتوجب إزالتها هذه الأورام للحفاظ على وظائف العين بشكل طبيعي ويمكن أن يصاب المحجر بالكسر عندما تتعرض العين للرض، بناء عليه فمن الضروري أن ترتدي واقيات العيون عند الدراجات النارية أو بعض الألعاب الخطرة.

بعد هذه المقدمة القرآنية والعلمية ندرك أنّ مطلب الإمام زين العابدين في حق

البصر هو استخدامها للعبرة أو تحصيل علم أو غض طرف عن محرم لأنها هي المطلب الطبيعي أولاً ولأن البصر مسؤلا ثانيا قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ (الإسراء). ٣٦

فالنظر إلى آثار الأولين تفيض العبرة وتصحح مسار الإنسان دنياً وآخرة، وأما استعمالها في الحرام والعياذ بالله فيها خيانة لهذه الأمانة، فعن إمامنا الصادق عليه السلام: النظرة سهم من سهام ابليس مسموم وكمن نظرة أورثت حسرة طويلة. وفي حديث المنهي عن جعفر ابن محمد عن أبيه قال: من ملأ عينه من حرام ملأ الله عينيه يوم القيمة من النار إلا أن يتوب أو يرجع.

بل عدد الإسلام النظرة المحرمة زنا العين ففي الحديث (ما من أحد إلا وهو يصيب حظا من الزنا، فزنا العينين النظر، وزنى اليدين اللمس) ومن هنا أمر الله المؤمنين بغض الأ بصار حيث يقول: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَخْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَذْكَرُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢٠) النور.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصية لإبنه محمد ابن الحنفية: وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عز وجل عليه، فقال عز وجل من قائل: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَخْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾.

وقال النبي عليه السلام: النظر سهم مسموم من سهام ابليس، فمن تركها خوفا من الله أعطاه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه.

بهذا الجرم الصغير يطل الإنسان على الدنيا فيرى حسنها وزيتها ويقف بواسطتها على الجمال والقبح وعلى الآثار والأطلال، والمدنية والتقديم، ولا تعرف نعمة البصر إلا عند من فقدها حيث يتلمس الطريق والإستعana. لذا يتوجب علينا أن نحمد هذه النعمة ونعطيها حقها كما امرنا زين العابدين وإلا هذا الأعمى هو أحسن حالا من المبصر حيث لن يكون مسؤلا عن تجاوزات البصر كمن هو مبصر، فعليينا أن

لأن تتبع عورات الناس وأعراضهم وكشف ما هو مستور عنهم.

فعن أبي عبدالله عليه السلام الخير كله في ثلاط خصال: في النظر والسكوت والكلام، فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو، وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو، فظوبي لمن كان نظره إعتباراً، وسكتوه فكرة، وكلامه ذكرة، وبكى على خطئته، وأمن الناس شره.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: من إعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم.

وقال أيضاً عليه السلام: ما أكثر العبر وأقل الإعتبار.

وما أجمل هذه اللفتة اللطيفة التي أوردها السيد حسن القبانجي في كتابه شرح رسالة الحقوق وهي لفضيلة الشيخ محمد الخليلي:

«ثم لا يخفى أن هذه الآلة «العين» البدعة الخلقة، العظيمة الفائدة» فعدا الإبصار، توجد وظائف أخرى تجعل العقل المحدود في إدراكه في حيرة وإندهاش، فإنها هي المرأة التي تعكس فيها جميع المشاعر الحياتية وصروفها، وهي تلك النقطة الصغيرة التي تجتمع فيها ثم تشع منها مختلف العواطف التي تجول في خاطر الإنسان، فإذا كان مسرور الخاطر بان في عينيه قبل أن يرتسم على وجهه، وإذا كان غضبنا تطاير الشر منها، وإذا كان خائفاً زاغ بصره، وإذا كان خجولاً قرئ الخجل في عينيه، بل وحتى الحب الذي ينطوي على كبد حرى فيكتم هواه لا يخفى أمره بل تتكلم عيناه، كما قال الشاعر:

وللعيون أحاديث بلا كلام وكم لها في الهوى شرح وتبيان
وكم تناجي المحبون، وتفاهم الشعراء بلغة النظر وحديث العيون إذا ما تعذر
عليهم لغة الكلام كما قال أحدهم:

وتعطلت لغة الكلام وخطبت عيني في لغة الهوى عيناك

إذاً فالعين هي المرأة الصافية التي تتعكس فيها كل الخلجان الحيوية، والمؤثرات النفسية، أما إذا انطفأت جذوة الحياة تعتمت قرنية العين، وانطفأ مصباح نورها كما ينطفيء المصباح الكهربائي حينما ينقطع عنه التيار.

وهي أيضاً تنم عن شخصية الإنسان من عزيمة أو ضعف أو تردد أو همة أو أي صفة جبل عليها أو اعتادها، كما تضفي على على الوجه نوعاً من الرقة والجمال لا يجهله الكثير من الناس.

وهي عنوان الصحة والمرض، ودليل انحراف المزاج واستقامته، بل المقياس الدقيق لدى الأطباء للتشخيص ومعرفة الصحة والداء.

وأخيراً فإنها دون سائر الأعضاء جزء من المخ تكونت منه ثم تطورت إلى وضعها المائي. وإن العصب البصري خاصةً متمد من خلايا نفس المخ فلا غرابة إذا ما أصبحت تعرب عن كل ما يجري فيه من انطباعات وإحساسات، فهي مترجمة له حاكيةً عنه، إذاً فالمخ بمعناه العاطف والإحساسات، والعين لسانه الناطق وترجمانه الصادق.

وجماع القول أن من وصل إلى معرفة ما أودع الله تعالى في هذا العضو من القدرة والإعجاز الباهر، يعرف عند ذاك مدى قول الإمام عليه السلام واهتمامه به، وأنه يجب بذل العناية فيه ووقايته وصيانته من الطوارئ، وحفظه مما يزري به من النظر إلى ما لا يحل النظر إليه، لأنَّه من النعم الجليلة، وليس في مقابل النعم أن نستخدمها في معصية الله. لذلك قال علي أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس في الحواس الظاهرة شيء أشرف من العين، فلا تعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله».

اما من الناحية الأدبية فحدث ولا حرج فقد اهتم الشعراء كثيراً في وصف العيون وابدعوا في ذلك لما لها من سحر، فكم صادت من عاشق وكم القت بفارس في حبال الهوى وللعيون أسماء وصفات عديدة منها (الحوراء) وهي الأجمل بينها ومنها

جاءت تسمية الحور بذلك لاتساع عيونها و(البر جاء) وهي الواسعة و(الكحاء) التي كأنها مكحولة و(الدعاء) كثيرة السواد وغير ذلك كثير.

وقد قال الأصممي وهو من أشهر علماء النحو واللغة: «ما وصف أحد العيون بمثل ما وصف به عدي بن الرقان حيث يقول:

لولا الحياة وان راسي قد عسا
فكانها بين النساء أغارها
وسنان أقصده النعاس فرنقت
وهذا جرير الشاعر الذي يقول:

إن العيون التي في طرفها حور
يصرعن ذا اللب حتى لا حرراك به
وقال علي بن الجهم القرشي:

عيون المها بين الرصافة والجسر
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن

وقال امرؤ القيس وهو جندح بن حجر الكندي:

لها مقلة لو أنها نظرت بها
لأصبح مفتوناً معنى بحبها
وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

ولمّا التقينا بالثنية أو مضت
أشارت بطرف العين خيفة أهلها
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً

ويقول أبو فراس الحمداني:
ويبيض بالحاظ العيون كأنما
تصدين لي يوماً بمنعرج اللوى
سفرن بدوراً وانتقبن أهله

هززن سيفوفاً واستللن خناجرنا
فغادرن قل بالتصبر غادرا
ومسن غصوناً والتفتن جآذرا

قال الثعالبي في «يتيمة الدهر» إن البيت الأخير للزاهي والشاعر يشبههن عندما اعترضن طريقه بالبدور. إذا اسفرن بمعنى كشفن وجوههن وبالأهلة إن جعلن النقاب على وجوههن والغصون إذا تمايلن. ويشبههن بالجاذر ومفردها جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية إذا التفتن كنایة عن سعة وجمال أعينهن.

وجاء في قصيدة اليتيمة هذه الأبيات:

وَكَانَهَا وَسَنِى إِذَا نَظَرَتْ أَوْ مُدَنَّفْ لَمَّا يُفِقْ بَعْدُ
 يُفْتُورِ عَيْنِ مَا بِهَا رَمَدْ وَبِهَا تُداوى الْأَعْيُنُ الرُّمَدُ
 اللهم متعنا بأبصارنا وأسماعنا واجعله الوراث منا انك أنت السميع العليم.





حق الرجلين

رحلة حقوقية

إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مناقب هذا ينتهي الكرمُ
وليس قولك من هذا ؟ بضائره
العرب تعرفُ من أنكرت والعمُ

كان ابن النبي إذا أراد التوجه لأداء فريضة الحج يأبى الذهاب مع قافلة يعروفونه
فكان يتربّص بمرور قافلة من مكان بعيد بحيث لا يعرف فيها فيدخل فيهم غريباً،
فألتحق يوماً بإحدى هذه القوافل وطلب الإذن في أن يخدمهم فوافقوا وكان السفر
في تلك الأيام على الفرس والجمل ونحوه والمسافة تمتد إلى اثنين عشر يوماً والإمام
في هذه المدة يبدو كخادم لهذه القافلة لكن أثناء الطريق التقى رجل بهذه القافلة وكان
يعرف الإمام عليه السلام فما أن تعرّف عليه حتى ذهب إليهم وليس لهم من هذا الذي أتيته
به لخدمتكم ؟ قالوا شاب لا نعرفه من المدينة وهو شاب شهم جداً قال: لا تعرفونه
ولو عرفتموه لما اخذتموه خادماً ولما أصدرتم له أمراً، قالوا: ومن هو ؟ قال: هذا علي
بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ابن النبي صلوات الله عليه وسلم، حينئذ أسرعوا إليه وارتقوا تحت
أقدامه قائلين: مولانا ما هذا الذي قمت به ؟ كان يمكن أن ينالنا عذاب الله بعملنا هذا
إن حصلت لنا جسارة بحقك وأنت العزيز ونحن خدامك فأبى وقال: أنا أعلم أنني

عندما اذهب في قافلة تعرفني فلن يقبل احد منهم أن أخدم، لهذا أريد السفر في قافلة لا يعرفني فيها أحد حتى أوفق وأنال سعادة خدمة المسلمين والأصحاب.

أيها الأحبة كما يرتحل إمامنا زين العابدين مع الحاج ليخدمه، نواصل رحلتنا نحن مع رسالة هذا الإمام الحقوقية التي كلها عطاء ومنفعة وفائدة وخدمة، وللتذكير ما زلنا في باب حقوق الخالق العظيم:

حق الرجلين

(وَأَمَّا حَقُّ رِجْلِيْكَ فَأَنْ لَا تَمْشِي بِهِمَا إِلَى مَا
لَا يَحِلُّ لَكَ وَلَا تَجْعَلْهُمَا مَطِيْتَكَ فِي الْطَّرِيقِ
الْمُسْتَخِفَةَ بِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِنَّهَا حَامِلَتْكَ وَسَالِكَةُ
بَكَ مَسْلَكَ الدِّينِ وَالسَّبُقُ لَكَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللهِ).

والناس شخصان: ذا يسعى به الأمل من القنوط، وذا يسعى به الأمل هذا إلى الموت، والأجداث ساخرة وهذا إلى المجد، والدنيا له خول ما كل فعل يجعل الناس فاعله

جاءت لفظة الرجل في القرآن الكريم في ١٦ آية، في مضامين مختلفة أحدها الأمر باستخدام هذه الجارحة والنعمنة في الطاعة والنأي بها عن المعصية، ذلك لأن الرجلين وسيلتنا للمشي والتنقل فيها نسعى إلى القنوط وإلى التمرد والمعصية، أو نسعى بها إلى الأمل والعبادة والخير والمسجد، كما قال شاعرنا الكبير «قاسم الشابي» في أبياته الآنفة الذكر. وأن هذه الرجل سوف تشهد علينا في يوم من الأيام. فلننظر إلى هذه النعمة الإلهية العظيمة ولنقف على بعض اسرار هذا الجزء من جسمنا، في اطلاقه سريعة نحاول فيها معرفة عظمة الخالق من خلال تركيبة رجل الإنسان والذي يمثل «الطرف السفلي من جسم الإنسان» ووظيفة كل جزء

حسب الإمكان:

تركيبة رجل الإنسان :

يتصل الطرفان السفليان بالهيكل المحوري بواسطة الحزام الحوضي الذي يترکب من عظام الحوض وهي العجز والعصعص في الخلف وعظم الورك في الجانب والأمام، ويوجد بالسطح الخارجي على جانبي عظم الورك تجويفان يعرف كل منها بالتجويف الحقي ويستقر فيه رأس عظم الفخذ. ويترکب الطرف السفلي من عظم الورك الذي يتصل به عظم الفخذ ثم الساق ثم رسم القدم ثم القدم.

عظم الورك أو عظم الحوض يسمى أيضاً العظم غير المسمى أو العظم اللامسمى هو عظم كبير عريض مسطح غير منتظم الشكل، يتكون من اجتماع ثلاثة عظام: (عظم علوي يسمى الحرقفة، وعظم امامي يسمى العانة، وعظم سفلي ويسمى الإسك)، حيث تكون هذه العظام واضحة عند الأطفال، ولكنها عند البلوغ، تندمج في تجويف صغير مقعر في الحوض يسمى «الحق»، حيث يلتقي رأس عظم الفخذ مع عظم الورك من خلال هذا التجويف، الذي يتتألف من اندماج هذه العظام الثلاثة.

وببناء على ذلك، يشكل عظم «الورك» الجدار الأمامي والجانبي للحوض عند الإنسان، بينما يشكل عظمياً «العجز والعصعص» الجدار العظمي الخلفي للحوض، وفي الأمام يتصل العظامان الوركيان بواسطة مفصل غضروفي يسمى: الارتفاق العاني.

■ عظم الفخذ هو عظم طويل قوي رأسه مستدير يستقر في التجويف الحقي وبطرفه الأسفل نتوءان كبيران يتصلان بعظم الساق الذي يطلق عليه (الظنبوب) اتصالاً مفصلياً، يكونان معاً المفصل الركبي أو مفصل الركبة.

■ الساق يتركب من عظمتين هما الظنبوب وهي كبراهما والشطبية وهي الصغيرة منها، ويوجد أمام المفصل الركبي (الذي يتتألف من اتصال الظنبوب وعظم الفخذ) عظم صغير مستدير يسمى (الرضفة). وظيفته حماية هذا المفصل

ومنع انشاء السوق للأمام. ويكون من سبعة عظام إحداها كبيرة متدة إلى الخلف وتكون عقب القدم.

■ الأمشاط والسلاميات يتكون من الأمشاط والسلاميات. والأمشاط خمسة رفيعة طويلة (راحة القدم)، وتنصل بكل مشط أصعب مكونة من ثلاث سلاميات ماعدا الإبهام فهو مكون من سلاميتين. وإبهام القدم لا يتحرك بسهولة كإبهام اليد.

اما تفاصيل ذلك :

■ العَجْز (os sacrum) عظم كبير مثلث الشكل يقع في قاعدة العمود الفقري في الجزء الخلفي العلوي من الحوض ويأتي بشكل يشبه الإسفين بين العظمين الوركيين ويرتبط في الأسفل مع العصعص وفي الأعلى مع الفقرة القطنية الخامسة.

■ العصعص (coccyx) عظم ناتج عن اندماج الفقرات السفلية الأربع من العمود الفقري يلي العجز، ويقوم العصعص بعدها وظائف، فهو يربط عدداً مهماً من العضلات والأربطة والأوتار، مما يجعل الأطباء يدققون كثيراً في حال قرروا استئصاله، كما أنه بنية داعمة لحمل وزن جسم الإنسان عند الجلوس، وبالأخص عند ميله إلى الخلف إذ يتلقى العصعص الجزء الأهم من الوزن، كما يدعم العصعص من جهته الداخلية اتصال عدد من العضلات المهمة للعديد من الوظائف في أسفل الحوض، إذ يؤدي دوراً مهماً في إخراج البراز، فضلاً عن دعمه لتشييت الشرج في مكانه، ويدعم كذلك من جهةه الخلفية أيضاً العضلة الكبرى التي تمد الفخذ إلى الأمام عند المشي.

عظم الفخذ (Femur) والجمع (femora) يُصنّف كأحد العظام الطويلة، وهو أطول عظام الهيكل العظمي عند الإنسان، ويكون أكثر من 25٪ من طول الإنسان، وهو أيضاً أقوى عظام الجسم وأصلبها في البشر. ويكون من ثلاثة أجزاء:

١ - نهاية علوية.

٢ - جدل (جسم أو جذع).

٣- نهاية سفلية.

تشتمل النهاية العلوية على:

١- الرأس.

٢- العنق.

٣- المَدْوَرُ (المدور الكبير والمدور الصغير).

والرأس من النهاية العلوية لعظم الفخذ يتصل مع الحق (Acetabulum) ليشكل مفصل الورك.. وفي مركز الرأس نقرة صغيرة يتصل بها رباط (يسمى رباط الرأس) يمر منه شريان يروي رأس الفخذ، واما»الجدل« فهو مدور وناعم على السطح الأمامي، وله حافة في الثلث الأوسط على السطح الخلفي تسمى الخط الحشن لعظم الفخذ، يصل بها عضلات وجدران عضلية، يتفرع الخط الحشن لعظم الفخذ علويًا إلى طرفين، فتصل الطرف الإنسي (الداخلي) إلى المدور الصغير، بينما تصل الطرف الوحشي (الخارجي) إلى المدور الكبير.

يرتبط الرأس مع الجدل من خلال»العنق« الذي يتجه إلى الأسفل والخلف، ويصنع زاوية ١٢٥° مع الجدل (تكون الزاوية أقل في الإناث)، وتكون كبيرة عند الولادة وتصغر مع تقدم العمر، وكسور العنق متشرة عند كبار السن من النساء خاصة، نظرًا لتحلل العظام، ويؤدي الكسر إلى تنخر لا وعائي، نظرًا لانقطاع أو عية رباط الرأس. والمدوران الكبير والصغير (وكلاهما جزء من النهاية العلوية لعظم الفخذ)، هما نتوئان يوصلان العنق بالجدل، ويربط المدورين من الأمام الخط بين المدورين، والعرف بين المدورين من الخلف، وهناك بروز مدور، حوالي ثلث المسافة بين المدورين، يسمى الحدية المربعة، تنغرز فيها العضلة المربعة وتنفصل الشفتان سفلياً لتصبح الحافتان فوق القمة، وتحيط هاتين الحافتين بمنطقة منخفضة مثلثة الشكل تسمى السطح المأبضي. النهاية السفلية للفخذ عريضة، وتوجد بها لقمة إنسية (داخلية) ولقمة وحشية (خارجية)، تتمفصل السطوح المدببة المفصليّة مع هضبة

الظنبوب لتكوين مفصل الركبة، وتنفصل اللقمان من الخلف بواسطة حفرة عميقة تسمى الثلمة بين اللقمانين، وتنقابل سطوحها المفصليّة أماميًّاً لتكوين سطح ناعم يتمفصل مع الرضفة.

الوظيفة:

عظم الفخذ يعد بمثابة نقطة المرتكز لجميع العضلات التي تبذل قوى على مفصليّ الورك والركبة، كما أن بعض العضلات الثنائيّة المفصل (Biarticular) أي العضلات التي تتصل بمحفزيين، مثل عضلة الساق والعضلة الأخمصية تنشأ أيضًا من عظم الفخذ، ويوجد حوالي إثنان وعشرون عضلة إما تنشأ من أو ترتكز على عظم الفخذ.

عند النظر في مقطع عرضي للفخذ، نرى أن الفخذ ينقسم إلى ثلاثة أحياز لفافية مفصلية، (أمامي، داخلي، خلفي)، يحتوي كل حيز منها على عضلات يفصل بين كل منها نسيج ضام (لفافة)، ولكل منها إمداداته الخاصة من الدم والعصب الخاص به.

- **الساق** (crus)، وجمعها سيقان وسوق هو جزء من الجسم بين الكاحل والركبة، يتكون الساق من عظامين هما: قصبة الساق أو عظم الظنبوب (Tibia) (الجمع: ظنابيب)، وهي أحد العظام الطويلة في البشر في الجانب الإنساني أي الداخلي للساق، والعظم الثاني هو الشظية (fibula)، الموجود على الجانب أي الخارجي للساق (الوحشي).

- **الرُّضُغ** (arsus) أو رسغ القدم أو عظام العرقوب هي مجموعة عظام صغيرة في مفصل القدم هي

- ١ - عظم العقب أو (العقب)
- ٢ - عظم الكاحل

٣- العظم النردي

٤- العظم الزورقي

٥- الإسفيني الإنسي (الداخلي)

٦- الإسفيني الأوسط

٧- الإسفيني الوحشي (الخارجي)

■ تمفصل النهاية الأمامية لعظم الكاحل مع العظم الزورقي.

■ تمفصل النهاية الأمامية لعظم العقب مع العظم النردي.

■ تمووضع العظام الإسفينية الثلاثة بين العظم الزورقي من الخلف والعظم المشطية الثلاثة الأولى من الأمام.

■ يقع العظم النردي وحشى العظم الزورقي والعظم الإسفيني الوحشي، ويتمفصل في الأمام مباشرة مع المشطين الرابع والخامس.

القدم هي العضو الواقع في نهاية الساق، والتي يقف عليها الإنسان، وبعض الحيوان. تحوي القدم عند معظم الثدييات والطيور وبعض الزواحف على المخالب بالإضافة إلى الأظافر، أما الإنسان فإن لديه أظافر فقط. عند الحيوان الذي يمشي على أربع، تكون الأطراف الأمامية والخلفية متشابهة. وأما عند الإنسان، والطيور، وحيوانات مثل الكنغر الذي يمشي على طرفيه الخلفيين، فإن القدم تكون أثقل وأقوى مما يقابلها على الطرف الأمامي، أي اليد. ستركز هذه المقالة عن قدم الإنسان، والتي هي أدنى جزء من الهيكل العظمي عند الإنسان، تقع أسفل الساق، لذلك تكون القدم القاعدة التي يستقيم عليها الجسم ومن أهم أجزاءه القدم والكاحل عند الإنسان يمثلان بنية ميكانيكية قوية ومعقدة، حيث تحتوي القدم على ستة وعشرين عظمةً، وثلاثة وثلاثين مفصلاً (عشرون منهم يكونون مفاصل نشطة)، وأكثر من مائة عضلة ووتر ورباط.

يمكن تقسيم القدم تدريجياً إلى ثلاث مناطق:

١ - مؤخر القدم (hindfoot)

٢ - أوسط القدم (midfoot)

٣ - مقدم القدم (forefoot)

■ يتكون مؤخر القدم من عظمي الكاحل والعقب. وترتبط النهايات السفلية لعظمي الساق (وهما الشظية والظنوب) مع أعلى عظم الكاحل لتشكيل منطقة الكاحل. وتتصلان بها من خلال المفصل «تحت الكاحل»، أما عظم العقب فهو أكبر عظام القدم حجماً، يكون مستندًا على طبقة من الدهون.

■ يتكون أوسط القدم من خمسة عظام غير منتظمة الشكل، وهي: النردي، الزورقي، وثلاث عظام إسفينية، تشكل هذه العظام الخمسة أقواس القدم التي تعمل على امتصاص الصدمات. يتصل أوسط القدم مع مؤخر وقدم القدم بواسطة العضلات واللفافة الأخامية (plantar fascia).

■ يتكون مقدم القدم من تسعه عشر عظماً موزعة كالتالي:

٤ عظم تشكل الأصابع الخمسة للقدم، بشكل مشابه لأصابع اليدين، تسمى عظام أصابع القدم بالسلاميات، يحتوي كل إصبع من أصابع الرجل على ثلاثة سلاميات عدا الإصبع الكبير، فهو يحوي على سلاميتين فقط. وخمسة عظام تشكل مشط القدم.

تسمى المفاصل بين السلاميات بـ المفاصل بين سلاميات القدم (interphalangeal joint of the foot)، وتسمى المفاصل بين مشط القدم والسلاميات بـ المفاصل المشطية السلامية (metatarsophalangeal) وتعرف اختصاراً بالأحرف (MTP) (أم تي بي).

كُلٌ من أوسط القدم ومقدم القدم يشكل ظهر القدم (dorsum) (الوجه

المتجهة للأعلى عند الوقوف) وسطح القدم (planum) (الوجه المتجهة للأسفل عند الوقوف).

عرش القدم (instep) هو الجزء المقوس من القسم العلوي للقدم ما بين الأصابع والكاحل.

الهيكل العظمي للقدم

تتكون قدم الإنسان من ٢٦ عظمةً. هذه العظام هي:

- ١ - عظام رسم القدم مكونة من سبعة عظام أو (عظام العرقوب).
- ٢ - مشط القدم مكون من خمسة عظام.
- ٣ - سلاميات القدم الأربع عشرة أو (عظام أصابع القدم).

أما عظام الرصغ والتي تشكل عقب القدم، والجزء الخلفي من ظهرها، فهي:

- ١ - عظم الكاحل (أو القعب)
- ٢ - عظم العقب
- ٣ - العظم الزورقي
- ٤ - العظم النردي (أو المكعي)
- ٥ - العظام الإسفينية الثلاثة (أو العظام الوتدية الثلاثة).

توصّل عظام المشط العظام الوتدية والمكعي بالسلاميات، فتشكل الجزء الأمامي من مشط القدم. وللإصبع الكبير سلاميتان، ولكل من الأصابع الأخرى ثلاثة.

أقواس القدم

تشكل عظام القدم ثلاثة أقواس، يمتد اثنان منها بطول باطن القدم، والثالث

بعرض باطن القدم. وهي تعطي القدم طبيعتها المرنة في السير أو القفز. فالقوس الرئيسي يمتد من عظم العقب إلى **الضرأة** «باطن القدم». وهو يسمى القوس الأوسط الطويل أو القوس الأخمصي. ويلامس هذا القوس الأرض عند العقب وتكون القدم فقط، وبذلك يعمل كممتص للصدمة، حمايةً للساقي والعمود الفقري. وتكسو أطراف عظام هذا القوس طبقة سميكة من غضروف مرن. يجعل القوس قادرًا على امتصاص الصدمات. ويمتد القوس الجانبي على طول القدم، ويقع قوس المشط وسط تكوين القدم. وقد تحدث الحالة المسماة القدم المسطحة (flat foot)، وهي حالة شائعة تصيب الأقدام وفيها يكون الجزء الداخلي للقدم مسطحاً ولامساً للأرض بعكس القدم الطبيعية التي يكون الجزء الداخلي من مشط القدم فيها مرتفعاً عن الأرض حوالي ١ إلى ٢ سنتيمتر.

الأربطة والعضلات

وهي تسند أقواس القدم. ورباط أخمص القدم الطويل المسمى اللفافة الأخمصية قوي جدًا. فهو يثبت عظام القدم في مكانتها، ويحمي الأعصاب، والعضلات، والأوعية الدموية في تجويف القدم. وللقدم عضلات كثيرة مثل اليد، غير أن بنيتها تتبع لها مرونة، وطلاقة للحركة أقل مما يتاح لليد.

يعطي أخمص أو أسفل القدم جلد غليظ سميك. ويقع لبدثixin من نسيج دهني بين الجلد، والعظام، والرباط الأخمصي. وتعمل هذه الطبقة الدهنية كوسادة هوائية لوقاية أجزاء القدم الداخلية من الضغط على القدم ومن الصرير.

من الممكن أن تحدث أشكال القدم، مثل القرون، نتيجة لبس أحذية غير مناسبة.

القدم وأمراضها

تحوي أصابع القدمين أربعة عشر عظمةً من أصل ستة وعشرين عظمةً في القدمين. وتساعد أصابع القدمين وخصوصاً إبهام القدم على التحرك والتوازن. قد تؤدي الألعاب الرياضية والركض والصدمات التي تصيب القدم إلى أذية أصابع القدم، كما

أن ارتداء الأحذية الواسعة أو الضيقة جداً يمكن أن يسبب مشاكل أصابع القدمين لأن هناك أمراضًا محددة مثل التهاب المفاصل الحاد قد تسبب مشاكل الأصابع والألم، كما يسبب النقرس الألم غالباً في إبهام القدم. ومن مشاكل أصابع القدمين المتشرة:

- مسامير القدم وتورم إبهام القدم
- انغراس أظافر الأصابع في اللحم
- التواء وخلع مفاصل الأصابع
- كسور عظام الأصابع

تنوع علاجات إصابات أصابع القدم واضطراباتها؛ وقد تتضمن: إدخال بطانة في الحذاء أو ارتداء أحذية خاصة، أو وضع حشوات للحذاء، أو التثبيت بأربطة، أو تناول الأدوية أو تطبيق الأدوية على القدم مباشرةً، أو على راحة القدم، أو إجراء عملية جراحية في الحالات الشديدة.

ومن يتأمل في تركيب الرجل وفائدتها الكبرى، تتجلّي حكمة الخالق القدير سبحانه وتعالى الذي أتقن كل شيء خلقه، ويظهر له سر استعراض الإمام عليه السلام للرجل بالذكر، وأن لها حقاً كغيرها من الأعضاء تستوجب أن توضع في محلها وأن لا تستخدم في غير ما جعلت من أجله، لأنها ستكون مسؤولة يوم القيمة، قال تعالى: ﴿الَّيْوَمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشَهَّدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
يس: ٦٥.

وكذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمْ أَسْتِتْهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النور: ٢٤.

إن المؤمنين يعرفون أن هذه الأرجل ستشهد عليهم إذا انحرفو فلذا يحبون أن تشهد عليهم بالخيرات والبركات وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (وفرض على الرجلين أن لا يمشي بهما إلى شئ من معاصي الله وفرض عليهما المشي إلى ما يرضي

الله عز وجل فقال : ولا تمشي في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . وقال : ﴿وَاقْصِدْ فِي مَسْبِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩) .

فطوبى بعد عرف موقع أقدامه أين تقع فاختار لها الطاعة وابتعد بها عن المعصية ، وتذكر هذه النعمة العظيمة من حرم منها من أصابه الشلل وتعطلت رجلاه عن المسير أو من فقد جوارحه هذه .

يقول إمامنا الصادق عليه السلام في حديث الزكاة : «وزكاة الرجل السعي في حقوق الله تعالى من زيارة الصالحين ومجالس الذكر وإصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك .

ما أجمله من حديث على قصره فقد بين به زكاة الرجل :

- السعي في زيارة الإخوان سوءاً عيادة المرضى او إتيان مجالس الذكر .
- السعي في إصلاح الناس وصلة الرحم .
- السعي في الجهاد في سبيل الله «الجهاد بأنواعه» .
- السعي بها إلى العبادة كالذهاب إلى المساجد لأن فيها راحة القلوب ، وتشييع الجنائز لأن فيه صلة الإخوان .





حق اليد

رحلة حقوقية

كان الإمام زين العابدين يتعلق بأسτار الكعبة ليلاً ويقول: «إلهي نامت العيون، وعلت النجوم، وأنت الملك الحي القيوم، غلقت الملوك أبوابها، وأقامت عليها حراستها، وبابك مفتوح للسائلين، إلى أن ينشد قائلاً:

يا من يجب دعا المضطَّر في الظلم
يا كاشف الضَّر والبلوى مع السُّقمِ
قد نام وفتك حول البيت قاطبةً
وأنت وحدك يا قيَّوم لم تنِمِ
أدعوك رب دعاءً قد أمرت به
فارحم بكائي بحقَّ البيت والحرمِ
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف
فمن يوجد على العاصين بالنعمِ
وصلنا في رحلتنا الحقوقية السجادية العلوية إلى الحق السابع من حقوق الخالق
وهو حق اليد.

حق اليد

(وَأَمَّا حُقُّ يَدِكَ فَأَنْ لَا تَبْسُطُهَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
 لَكَ فَتَّالَ بِمَا تَبْسُطُهَا إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ الْعُقُوبَةِ
 فِي الْآجِلِ، وَمِنَ النَّاسِ بِلِسَانِ الْلَائَمَةِ فِي
 الْعَاجِلِ، وَلَا تَقْبضَهَا مِمَّا أَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهَا
 وَلَكِنْ تُوَقِّرَهَا بِقَبْضِهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَحِلُّ لَهَا
 وَبَسْطِهَا إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ
 عُقِّلَتْ وَشُرِّفَتْ فِي الْعَاجِلِ وَجَبَ لَهَا حُسْنُ
 الشَّوَّابِ فِي الْآجِلِ)

كلتا يديه غيات عم نفعهما يستوكفان ولا يعروهما عدم سهل الخليقة لا تخشى بسادره يزيشه اثنان حسن الخلق والشيم حمال اثقال اقوام إذا افتدعوا حلوا الشمائل تحلو عنده نعم تكررت كلمة اليد في القرآن الكريم ثلاثة وستين مرة بصيغ ومعان مختلفة، وجاء في المنجد في اللغة والأعلام، اليد بمعنى الكف أو من أطراف الأصابع إلى الكف، مثناها يدان والجمع أيدي وأيدي، وأكثر استعمال الأيدي بمعنى النعم، يقال له يد بيضاء في هذا الأمر أي حاذق فيه، يقال ذهبت أيادي سباً أو أيدي سباً أي تفرقوا، يقال مالك عليه يد أي ولاية وسلطان، ولا يدين لك بهذا أي لا قوة ولا طاقة، ومن أمثلهم «يد الله مع الجماعة» أي حفظه ووقايته، واليد لفلان على فلان أي القهر والغلبة، ويقال هذا في يدي أي في ملكي، وتأتي بمعنى الندم والذل يقال «سقط في يده»، وتأتي بمعنى الحجر ومنع الظلم يقال ضرب القاضي على يده، وتأتي بمعنى المحسن والطريق والجناح إلى غيرها من المعاني... وجاء في فرائد الأدب: «يد الحر ميزان»، «وبيدي لا بيد عمرو» وهم عليه يد واحدة، أي مجتمعون، ومهمها يكن من أمر إنما أتينا بهذه التعريفات لنقف على مختلف معانيها لتقرينا إلى الهدف المنشود وهو

معرفة حق هذه الجارحة تجاه خالقها وتتجاه الناس.

و قبل الذهاب الى معرفة حق اليد لنلقى نظرة على مكونات اليد من الناحية الطبية لنرى عظمة الخالق الذي اتقن كل شيء خلقه.

تتركب اليد من العضد فالساعد ثم الرسغ ثم الأمشاط وتسمى راحة اليد. والأصابع. وتفصيله كما يلي:

١ - عظم العَضُد (Humerus) من العظام الطويلة وهو جزء من الهيكل العظمي البشري، ويوجد في الذراع حيث يصل الكتف مع المرفق، ويرتبط مع عظم الكتف علويًا و مع عظمي الزند والكعبرة سفليًا، وينقسم ت Kamiya إلى ثلاثة أقسام: (الطرف العلوي) ويتكون من رأس عظمة العضد، وعنق العضد التشيريحي، وعنق العضد الجراحي، وحدبة عظمة العضد الكبيرة، وحدبة عظمة العضد الصغيرة وثلم بين حديبي العضد.. و (الجسم) ومنه يتتألف الجزء المستقيم من عظم العضد.. و (الطرف السفلي) الذي يتكون من: للقيمة الخارجية، للقيمة الداخلية، بكرة عظمة العضد، رئيس عظمة العضد. بالإضافة إلى ثلاث حُفر من أجل حركة بسط و ثني الذراع: الحفرة الكعبرية، الحفرة الإكليلانية، والحفرة الزجاجية.

٢ - الساعد: يتركب من عظمتين هما: الزند والكعبرة، والطرف العلوي للزند سميك، ويتصل بالعضد، أما الطرف السفلي فرقيق ويتصل بعظمتين من عظام الرسغ، والزند هو العظم المواجه للخنصر أما الكعبرة فهي عظم أصغر من الزند و مواجه للإبهام، والزند يظل ثابتًا في موضعه إذا قلبت اليد إلى الأسفل، بعكس الكعبرة فهي تتحرك بحيث تقاطع الزند، وهذا يساعد في انطلاق اليد في الأعمال اليدوية التي تؤديها.

٣ - رسغ اليد: وهو يتركب من ثانية عظام موضوعة في صفين متوازيين يتصل بعضهما مع العظام المجاورة لها بواسطة أربطة تسهل لكل منها حركة انزالية تمكن اليد من الانتلاء على الساعد وحركة الرسغ مضافة إلى حركة الزند والكعبرة

تعطيان اليد مرونة في حركتها.

■ **الرُّسْغ أو الرُّسْغ** هو عظمة عنقودية توجد لدى الفقاريات رباعية الأطراف تربط ما بين الكعبرة والزند من جهة ومشط اليد من جهة أخرى والرسغ لا يعتبر جزء من اليد.

■ عظام الرُّسْغ صغيرة ومكعبة وتصطف بشكل زوجي تسمح للرسغ بالتحرك والدوران بشكل عمودي وأفقي. هذه العظام تنتظم في صفين وعددها ثمانية وهي:

في الصُّفِّ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْعَصْمُ:

- العظم القاربي .
- العظم الاهالي .
- العظم المشافي .
- العظم الحنصي .

في الصُّفِّ الثَّانِي:

- العظم المربعي
- العظم شبه المنحرف
- العظم الكبير
- العظم الكلابي

ويجمعها بيت الشعر الآتي:

قرب الهلال مثلث من حمص شبه المربع أكبر الكلابي

٤ - **الأمشاط والسلاميات:** تتكون من عظام راحة اليد وتسمى الأمشاط، وعظام الأصابع وتسمى السلاميات، والأمشاط هي خمسة عظام طويلة رفيعة يتصل بكل منها أصبع مكون من ثلاث سلاميات ماعدا الإبهام فهو مكون من سلاميتين،

ويتحرك الإبهام حركة واسعة لكي يمكنه من مقابلة الأصابع الأخرى وهذا يمكن الإنسان من استعمال أصابعه في القبض (التقاط) الأشياء الكبيرة والتقاط الأشياء الصغيرة.

ولنرجع إلى المقطوعة الجميلة للإمام زين العابدين لنرى من الكنایات الجميلة عن معنى اليد فهي تمثل الجود والسخاء والإنفاق والقرض، والترحم على الأيتام والضيافة وطلب الحلال، كما أنها ترمي إلى البخل والتقتير.

السخاء: سخاء الإمام الحسين عليه السلام:

وفد أعرابي المدينة فسأل عن أكرم الناس بها، فدلّ على الحسين عليه السلام فدخل المسجد فوجده مصلياً، فوقف بيازئه وأنشأ يقول:

لم يخب الآن من رجاك ومن حرك من دون بابك الحلقة
أنت جواد وأنت معتمد أبوك قد كان قاتل الفسقة
لولا الذي كان من أوائلكم كانت علينا الجحيم منطبقه

وسلم الحسين وقال : يا قنبر ! .. هل بقي من مال الحجاز شيء ؟ .. قال : نعم ،
أربعة آلاف دينار ، فقال : هاتها ! .. قد جاء من هو أحق بها منّا ، ثم نزع بُرديه ، ولف
الدنانير فيها وأخرج يده من شق الباب حياءً من الأعرابي وأنشأ :

خذها فإني إليك معذرة واعلم بأنني عليك ذو شفقة
لو كان في سيرنا الغداة عصا أمست سمانا عليك مندفعه
لكن ريب الزمان ذو غير والكف مني قليلة النفقة
فأخذها الأعرابي وبكي ، فقال له : لعلك استقللت ما أعطيناك ، قال : لا ، ولكن
كيف يأكل التراب جودك .

ومن سخاء علي بن الحسين عليه السلام : عن عمرو بن دينار قال حضرت زيد بن
أسامة الوفاة فجعل يبكي ، فقال له علي بن الحسين عليه السلام ما يبكيك ؟ قال : يبكييني أن
علي خمسة عشر ألف دينار لم اترك لها وفاءً ، فقال له علي بن الحسين عليه السلام لا تبك فهي

عليَّ وانت بريء منها فقضها عنك.

الإنفاق :

وعن ابو عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْأَيْدِي قال قال رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْأَيْدِي ثلاثة سائلة ومنفقة ومسكة، فخير الأيدي منفقة.

جاء عن النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ انه قال: دينار أنفقته على أهلك ودينار أنفقته في سبيل الله، وديمار أنفقته في رقبة، ودينار أنفقته على مسكين، وأعظمها أجرا الدينار الذي أنفقته على أهلك.

قرض الحسنة:

عن الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الصدقية عشرة، والقرض بثمانية عشر، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربع وعشرين.

الرحم على الأيتام:

عن غياث بن ابراهيم عن الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ عن آبائه عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ : مامن مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحم له إلا كتب الله له بكل شعرة مرت يده عليها حسنة.

التقتير:

إن رجلا سأله الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ فقال: يا بن رسول الله ما حد التدبير والتبذير والتقتير؟ فقال: أن التبذير أن تتصدق بجميع مالك، والتدبير أن تنفق بعضه، والتقتير أن لا تنفق من مالك شيئاً، فقال زدني بيانا يا بن رسول الله، فقال فقبض عَلَيْهِ الْكَلَمُ قبضة من الأرض وفرق أصابعه ثم فتح كفه، فلم يقع في يده شيء، فقال: هذا التبذير، ثم قبض قبضة أخرى وفرق بين أصابعه فنزل البعض وبقي البعض، فقال: هذا التدبير، ثم قبض قبضة أخرى وضم كفه حتى لم ينزل منه شيء فقال هذا التقتير.

طلب الحلال:

رُوِيَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْأَسْدِيِّ، عَنْ سَالِمِ بْنِ مُكْرَمَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: اشْتَدَّ حَالُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَمْرَأُهُ لَوْ أَنِّي تَرَسَّوْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ فَجَاءَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَنَا أَعْطَيْنَاهُ وَمَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ». فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا يَعْنِي غَيْرِي. فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَمْرَأَهُ فَأَعْلَمَهَا. فَقَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَشَّرَ فَاعْلَمْهُ. فَأَتَاهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَنَا أَعْطَيْنَاهُ وَمَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ». حَتَّى فَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ ثَلَاثًا. ثُمَّ ذَهَبَ الرَّجُلُ فَاسْتَعَارَ مَعْوِلًا، ثُمَّ أَتَى الْجَبَلَ فَصَعَدَهُ فَقَطَعَ حَطَبًا ثُمَّ جَاءَ بِهِ فَبَاعَهُ بِنِصْفِ مُدٍّ مِنْ دَقِيقٍ. فَرَجَعَ بِهِ فَأَكَلَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ مِنَ الْغَدِ فَجَاءَ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ فَبَاعَهُ، فَلَمْ يَرْزُلْ يَعْمَلُ وَيَجْمَعُ حَتَّى اشْتَرَى مَعْوِلًا. ثُمَّ جَمَعَ حَتَّى اشْتَرَى بَكْرَيْنِ «الفتى من الإبل» وَغُلَامًا، ثُمَّ أَتَرَى حَتَّى أَيْسَرَ. فَجَاءَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَأَعْلَمَهُ كَيْفَ جَاءَ يَسْأَلُهُ وَكَيْفَ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُلْتُ لَكَ، مَنْ سَأَلَنَا أَعْطَيْنَاهُ، وَمَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ».

إن الإعتداء على الناس يأخذ أشكالاً متنوعة فتارة يكون اعتداءً كلامياً وأخرى سمعياً وثالثاً بصرياً وقد يتخذ أسلوباً أرقى وأشد عنفاً فتمتد الأيدي بالضرب أو تمتد إلى أموال الناس وتبعث بالأمن، إن هذه الأيدي التي تتجاوز حدودها ستتحمل أصحابها آثاراً سيئة تتبعهم في الدنيا والآخرة.

فمن امتدت يده إلى أموال الغير فهو سارق عند الله وعند الناس وهو موسوم بالإذراء والصغراء، وهو ضامن لما سرقه إلى جانب قيام الحد عليه. ومن امتدت يده إلى أجساد الغير تطاولاً واعتداها فسوف يؤدب ويعزر. لأن الحق هو سيد الموقف في المجتمع الإسلامي.

أيضاً أولئك الذين يكتبون بأيديهم ارضاً لصالحهم وخلافاً لما تملية ضمائركم ومصلحة مجتمعاتهم ودينهم، فهم يستخدمون هذه الجارحة فيها يغضب الله سبحانه

قال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مَمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مَمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩).

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال : (إن اعنى الناس على الله عز وجل من قتل غير قاتله ومن ضرب من لم يضر به).

وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام قال : (لو أن رجلاً ضرب رجلاً سوطاً لضربه الله سوطاً من نار).

وفي حديث المذاهبي عن النبي ﷺ قال : (ومن لطم خد امرئ مسلم أو وجهه بدد الله عظامه يوم القيمة وحشر مغلولاً حتى يدخل جهنم إلا أن يتوب).

نعم يجب استعمال هذه اليد في بسط الخير ومدتها لمعونة الآخرين ومساعدتهم وجاء في الأثر أن اليد العليا خير من اليد السفلية، وجاء في اليد من أمر الصدقة «حتى لا تعلم يمينه ما أنفقت شماليه، ولا تعلم شماليه ما أنفقت يمينه» كناية عن فعل الخير، وهذا ما رامه الإمام زين العابدين وقصده «ولا تقبضها مما افترض الله عليها» وهو هو عليه السلام يرفع سوطه على الناقة ولا يضرها بل يقول لها ما معناه لو لا خوف القصاص لضربك، فاليد إذن يجب أن تكون في إطارها المحدد لها وهذا ما بينه الإمام السجاد في رسالته حيث جعل لها حقاً أن لا تبسيط إلى ما لا يحمل لها فان امتدت نالت من الله العقوبة ومن الناس اللائمة وان هذه اليد لا يجوز أن تقبض ومتى نزع عن إعطاء الحق إلى أصحابه ولا تقوم بإعاقة الناس والمساكين وقضاء حاجة المحتاجين.





حق البطن

رحلة حقوقية

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحلُّ والحرُّ
هذا ابن خير عباد الله كُلُّهم
هذا التقى النقى الطاهر العلمُ
وليس قولك من هذا ؟ بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعجمُ

يا معاشر الناس : فمن عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفي فأنا أُعْرِفُه ... بنفسي ، أنا ابن مكَّةً وِمِنِي ، أنا ابن مروءة والصفا ، أنا ابن محمد المصطفى ، أنا ابن من علا فاستعلى ، فجاز سدرة المتهى ، وكان من ربِّه قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلٍّ بملائكة السماء مثنى مثنى ، أنا ابن من أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، أنا ابن علي المرتضى ، أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن خديجة الكبرى ، أنا ابن المقتول ظلماً ، أنا ابن المجزور الرأس من القفا ، أنا ابن العطشان حتى قضى ، أنا ابن صريع كربلاء ، أنا ابن مسلوب العمامه والرداء ، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء ، أنا ابن من ناحت عليه الجن في الأرض والطير في الهواء ، أنا ابن من رأسه على السنان يُهدى ، أنا ابن من حرمه من العراق إلى الشام تُسبى .

إمامنا زين العابدين يفيض بتعاليمه وعلومه على البشرية كلها، ولا زلنا في صحبته الحقوقية ولا زلنا في رحاب حق الخالق العظيم بما أنعمه علينا من جوراح وأدوات وكيف نؤدي شكرها، قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ والحق الثامن من حقوق الخالق وهو حق البطن.

حق البطن

﴿وَأَمَّا حَقُّ بَطْنِكَ فَأَنْ لَا تَجْعَلَهُ وَعَاءً لِقَلِيلٍ
مِنَ الْحَرَامِ وَلَا لِكَثِيرٍ، وَأَنْ تَقْتَصِدَ لَهُ فِي
الْحَلَالِ وَلَا تُخْرِجَهُ مِنْ حَدِّ التَّقْوِيَةِ إِلَى حَدِّ
الْتَّهْوِينِ وَذَهَابِ الْمُرُوَّةِ، وَضَبْطُهُ إِذَا هَمَ
بِالْجُوعِ وَالظُّمَاءِ فَإِنَّ الشَّيْعَ الْمُتَهَيِّبَ بِصَاحِبِهِ
إِلَى التَّخْمِ مَكْسَلَةً وَمَشْبَطَةً وَمَقْطَعَةً عَنْ كُلِّ بَرٍ
وَكَرَمٍ وَإِنَّ الرَّيِّ الْمُتَهَيِّبَ بِصَاحِبِهِ إِلَى السُّكْرِ
مَسْخَفَةً وَمَجْهَلَةً وَمَذْهَبَةً لِلْمُرُوَّةِ﴾.

ورد في المنجد في معنى البطن: بطون وأبطن وبطنان: خلاف الظهر جوف كل شيء. بطن الأرض: ما انخفض منها، ويقال ألت الدجاجة ذا بطنه أي باضت. «صاحب عصافير بطنه» أي جاع. البطن بفتح الباء والطاء داء البطن. يقال: «فلان عريض البطن» أي غني أو رخي البال. و«التفت حلقتا البطن» أي عظم الخطب واشتتد الأمر. البطنة بكسر الباء الإمتلاء المفرط من الأكل والبطين بفتح الباء الملان. وجاء في فرائد الأدب «البطنة تأفن الفطنة»، يضرب لمن استغنى غير استغناهه عقله وأفسده.

وهذا ما أشار إليه زين العابدين عليه السلام «فَإِنَّ الشَّيْعَ الْمُتَهَيِّبَ بِصَاحِبِهِ إِلَى التَّخْمِ

مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كل بروكرم».

هذا الحال في الوضع الطبيعي والاعتيادي، أما إذا ما أضيف إليه أكل الحرام ونسيان الفقراء والمعوزين وأصحاب الحاجة فإنه لا ريب أنه يقود صاحبه إلى العقاب العاجل من أمراض نفسية وجسدية وعقاب آجل وهو قصاص الآخرة.

وقد أشار إمامنا في حق البطن إلى أمرين مهمين وهما:

الأول - «أن لا تجعله وعاء لا لقليل من الحرام ولا كثير» إلى قوله «فإن الشبع»، ويقصد به الإسراف في الأكل، وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام «كم من أكلة منعت أكلات».

الثاني - وان الري المتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمرءة. وكلنا يعرف ما لعاقرة الخمرة من مساوى خلقية من ارتكاب الجريمة وذهاب المرءة. ومن هنا نقف على المعنى الحقيقي لقول رسول الله ﷺ «ما ملا ابن آدم وعاء شرًا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان فاعلا لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»، وكذلك قوله: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش».

إن هذا الحديث يدلل على أن الإنسان إذا شبع بطر وإذا بطر تحركت شهواته وإذا تحركت شهواته غلبته - إذا كان ضعيف الإرادة - وإذا غلت عليه قادته إلى النار فتحتتحول هذه الشهوات إلى جنود الشيطان تورده نفس ما يورده إليه الشيطان ولا يمكن التغلب على ذلك إلا أن يرضي الإنسان نفسه على الجوع والعطش ويتحسس آلام الفقراء والمساكين.

ومن هنا نفهم قول الصادق عليه السلام: إن البطن ليطغى من أكله وان اقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا خف بطنه وابغض ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا امتلأ بطنه.

وما أروع سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام: حيث يقول «ولو شئت لآهنتي
الطريق، إلى مصفي هذا العسل، ولما بـهذا القمـح، ونسـائح هذا القـز، ولـكـن هـيـهـاتـ
أن يـغـلـبـنـيـ هـوـايـ، ويـقـودـنـيـ جـشـعـيـ إـلـىـ تـحـيـرـ الـأـطـعـمـةـ وـلـعـلـ بـالـجـبـازـ أوـ الـيـمـامـةـ مـنـ
لـأـطـمـعـ لـهـ فـيـ الـقـرـصـ، وـلـأـعـهـدـ لـهـ بـالـشـبـعـ أـوـ أـبـيـتـ مـبـطـانـاـ وـحـوـلـ بـطـونـ غـرـثـيـ وـأـكـبـادـ
حـرـرـيـ، أـوـ أـكـوـنـ كـمـاـ قـالـ القـائـلـ»:

وـحـسـبـكـ دـاءـ أـنـ تـبـيـتـ بـطـنـةـ وـحـوـلـكـ أـكـبـادـ تـحـنـ إـلـىـ الـقـدـ
أـقـنـعـ مـنـ نـفـسيـ بـأـنـ يـقـالـ: أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ، وـلـأـشـارـكـهـمـ فـيـ مـكـارـهـ الـدـهـرـ، أـوـ أـكـوـنـ
أـسـوـةـ لـهـمـ فـيـ جـشـوـةـ الـعـيـشـ! فـمـاـ خـلـقـتـ لـيـشـغـلـنـيـ أـكـلـ الـطـبـيـاتـ، كـالـبـهـيمـةـ الـمـرـبـوـطـةـ
هـمـهـاـ عـلـفـهـاـ، أـوـ الـمـرـسـلـةـ شـغـلـهـاـ تـعـمـمـهـاـ، تـكـرـشـ مـنـ أـعـلـافـهـاـ، وـتـهـوـ عـمـاـ يـرـأـدـهـاـ، أـوـ
أـتـرـكـ سـدـيـ، أـوـ أـهـمـلـ عـابـثـاـ، أـوـ أـجـرـ حـبـلـ الـضـلـالـةـ، أـوـ أـعـتـسـفـ طـرـيقـ الـمـتـاهـةـ! وـكـانـ
بـقـائـلـكـ يـقـولـ: إـذـاـ كـانـ هـذـاـ قـوـتـ اـبـنـ أـبـيـ طـالـبـ، فـقـدـ قـعـدـ بـهـ الضـعـفـ عـنـ قـتـالـ الـأـقـرـانـ
وـمـنـازـلـةـ الشـبـجـعـانـ. أـلـاـ وـإـنـ الشـجـرـةـ الـبـرـيـةـ أـصـلـبـ عـوـدـاـ، وـالـرـوـأـعـ الـخـضـرـةـ أـرـقـ جـلـودـاـ،
وـالـنـبـاتـ الـعـدـيـةـ أـقـوـيـ وـقـوـدـاـ، وـأـبـطـأـ خـمـودـاـ، وـأـيـمـ اللـهـ يـمـيـنـاـ أـسـتـشـنـيـ فـيـهـاـ بـمـشـيـةـ اللـهـ
لـأـرـوـضـنـ نـفـسـيـ رـيـاضـةـ تـهـشـ مـعـهـاـ إـلـىـ الـقـرـصـ إـذـاـ قـدـرـتـ عـلـيـهـ مـطـعـوـمـاـ، وـتـقـنـعـ بـالـلـحـ
مـأـدـوـمـاـ؛ وـلـأـدـعـنـ مـقـلـاتـيـ كـعـيـنـ مـاءـ، تـضـبـ مـعـيـنـهـاـ، مـسـتـفـرـغـةـ دـمـوـعـهـاـ. أـمـتـلـئـ مـسـائـمـةـ
مـنـ رـعـيـهـاـ فـتـبـرـكـ؟ وـتـشـبـعـ الرـيـاضـةـ مـنـ عـشـبـهـاـ فـتـرـبـضـ؟ وـيـأـكـلـ عـلـيـهـ مـنـ زـادـهـ فـيـهـجـعـ؟
قـرـرـتـ إـذـاـ عـيـنـهـ إـذـاـ اـقـتـدـيـ بـعـدـ السـيـنـ الـمـتـطـاـوـلـةـ بـالـبـهـيمـةـ الـهـاـمـلـةـ، وـالـسـائـمـةـ الـمـرـعـيـةـ! طـوبـيـ
لـنـفـسـ أـدـدـتـ إـلـىـ رـبـهـاـ فـرـضـهـاـ.

كـمـاـ يـرـسـمـ لـنـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ صـورـةـ رـائـعـةـ فـيـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ:

وـلـقـدـ كـانـ فـيـ رـسـوـلـ اللـهـ -صـلـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ- كـافـ لـكـ فـيـ الـأـسـوـةـ، وـدـلـيلـ لـكـ
عـلـ ذـمـ الدـنـيـاـ وـعـيـنـهـاـ، وـكـثـرـةـ مـخـازـيـهـاـ وـمـسـاـوـيـهـاـ، إـذـ قـبـضـتـ عـنـهـ أـطـرـافـهـاـ، وـوـطـئـتـ لـغـيـرـهـ
أـكـنـافـهـاـ، وـفـطـمـ مـنـ رـضـاعـهـاـ، وـرـوـيـ عـنـ زـخـارـفـهـاـ.

وَإِنْ شِئْتَ ثَنَثَنْتُ بِمُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - إِذْ يَقُولُ: ﴿رَبِّ
إِنِّي لَا أَنْزَلْتُ إِلَيَّ مِنْ حَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، وَاللَّهُ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزًا يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةً
الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفٍ صِفَاقٍ بَطْنِهِ، هُرَّالِهِ وَتَشَدُّبُ لَحْمِهِ
وَإِنْ شِئْتَ ثَلَثْتُ بِدَاوِودَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَاحِبِ الْمُرَامِيرِ، وَقَارِئِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْحُوْصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلْسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا!
وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ،
وَيَلْبِسُ الْخَتِنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسَرَاجُهُ بِاللَّيلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشَّتَاءِ مَشَارِقَ
الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانُهُ مَا تُبْنِي الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَقْتِنُهُ،
وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُذْلِهُ، دَائِبُهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!

فَتَأَسَّسَ بِنِيَّكَ الْأَطِيبَ الْأَطْهَرِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةٌ لِمَنْ تَأَسَّى،
وَعَزَاءٌ لِمَنْ تَعَزَّى وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَّسِي بِنِيَّهِ، وَالْمُقْتَصِّ لِأُثْرِهِ. قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا،
وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَحْصَمُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا.

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام أكل من تمر دقل، ثم شرب عليه من الماء، وضرب
بيده على بطنه وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم تمثل:
فإنك مهما تعطي بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الدم اجمعها
وقال عليه السلام «تعسا لمن ادخله بطنه النار».

من هذه المواقف والكلمات النورانية، ومن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٣.

ومن قول رسول الله عليه السلام «الصوم جنة» وقوله «صوموا تصحوا» نفهم حكمة
الصوم التي بينها الإسلام في قرآن وعلي لسان المعصومين وندرك الأبعاد الحقيقة

التي تجعل الصائم انساناً مرهف الحس رقيق الشعور يعيش مع الفقراء والمحاجين يوفر لهم ظروف الحياة السعيدة.

ثم إن الإسلام لا يحرم الطيبات إذا كانت من الباب الحلال بل يبيحها دون إفراط فيها ولا تبذير بحيث يحفظ الإعتدال فلا يطغى جانب على جانب، قال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢).

ثم إن الإنسان لا يهتم بطعمه إلا ليتقوى به على عبادة الله وخدمة عباده وعمارة الدنيا ونشر العدل والحكمة ومن هنا يختلف عن الكافر الذي لا يهتم إلا بطنه وما يدخل فيه من المأكل والمشرب ولذا نرى كيف ذم الله الكافرين وشبيههم بالأئم في غفلتهم قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَّتُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَوْرِي لَهُمْ﴾ (محمد: ١٢).

وقال مولانا أمير المؤمنين «من كان همه ما يدخل فيه كانت قيمته ما يخرج منه».

ومن هذا البيان كله نعرف مدى كلمة الإمام زين العابدين في هذا المجال وكيف جعل لبطن الإنسان حقاً لا يجوز أن يتتجاوزه أو يتعداه واهم هذه الحدود أن لا يدخل بطنه الحرام ما قل منه وما كثر فلا يشرب الخمر ولا يأكل لحم الخنزير ولا يساور النجس ولا يباشر المحرمات بل يقتصر على الحلال، والحلال نفسه يجب أن يكون بقدر، حيث لا يؤدي إلى البطر بحيث يسلبه تفكيره واتزانه فيؤدي ذلك إلى الكسل والترaxي.



حق الفرج

رحلة حقوقية

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قبل هم

يتخيل البعض أن الإمام زين العابدين عليه السلام لما عاش فترة بعد أبيه ولم يقم بالسيف فهذا يعني أن القضايا صارت منسية. أبداً ليس الأمر كذلك فإنه عليه السلام كان يستفيد من أي مجال ليحفظ ويقى آثار ثورة أبيه عليه السلام حية، وإلا فلماذا كان ذلك البكاء الذي كان عليه السلام يبكيه وتلك الذكرى؟ هل أنها مجرد حالة رجل يحترق قلبه ويبكي بلا هدف؟ أم أنه كان يريد إبقاء الواقع حية وأن لا ينسى الناس لماذا ثار الإمام الحسين عليه السلام؟ ومن هم الذين قتلوه؟.

كان عليه السلام يبكي يوماً بكاءً شديداً فقال له أحد خدامه: ألم يئن الوقت يا مولاي كي تتوقف عن البكاء (ضنا منه أن بكاء الإمام لمجرد فقد عزيزه) فقال له: ما تقول؟ لم يكن ليعقوب أكثر من يوسف والقرآن يصف حالته بـ «وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ» وأنا قد رأيت بأم عيني ١٧ يوسفًا يسقط كل منهم تلو الآخر على الأرض.

وصلنا في رحلتنا الحقوقية إلى الحق الأخير من حقوق الخالق العظيم وهو حق «الفرج» وبذلك نكون قد ختمنا الباب الأول من رسالة الحقوق للإمام زين العابدين.

حق الفرج

«وَأَمَّا حَقُّ فَرِحَاتَ فَحِفْظُهُ مَا لَا يَحْلُّ لَكَ
وَالاسْتِعَانَةُ عَلَيْهِ بَغَضْ البَصَرِ - فَإِنَّهُ مِنْ
أَعْوَنِ الْأَعْوَانِ - وَكَثْرَةُ ذِكْرِ الْمُوتِ وَالتَّهَدُّدِ
لِنَفْسِكَ بِاللَّهِ وَالْتَّخْوِيفُ هَاهُبِهِ، وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ
وَالْتَّأْيِدُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ». *

كن في الطريق عفيف الخطى شريف السمع كريم النظر
وكن رجلا إن أتو بعده يقولون من، وهذا الأثر

ورد في المنجد في اللغة والأعلام كلمة «فرج» الشيء فتحه، وسعه. الفرج وجمعه
فروج: الخلل بين الشيئين - ومن الشوب: الفتق، ومن الإنسان: العورة ويطلق على
القبل والدبر، فرج الوادي بطنه - والطريق: متنه، والفروج بضم الفاء والراء: القوس
البائنة عن الوتر، والفرجة كل منفرج بين شيءين، والمفرج: المشط. ولها معانٍ أخرى.

وجاءت لفظة الفرج في القرآن الكريم في سبع مواضع والملفت للإنتباه أنها
جاءت إما مسبوقة أو ملحقة بكلمة أحصنت أو حافظون ويخفظن.

كما جاءت كلمة محسن بمختلف ألفاظها في عشرة مواضع، ولفظة فاحشة في
ثلاثة عشر آية ولفظة زنى وزاني في ستة مواضع، وان دل هذا على شيء فإنما يدل على
أهمية هذا الموضوع.

إن هذه الغريزة التي أودعها الله في هذا الإنسان إنما أودعها لفائدةه وحفظه
ولسعادته، ومتى ما نضجت واكتملت ثارت وتحركت وأعلنت عن وجودها متعددة في
كثير من الأحيان العادات والتقاليد بل الإيمان والدين وتتخذ سبلاً متنوعة هذا إذا ترك
لها العنان حتى طفت ولم يأخذ بها يلجمها ويكتبه جماحها ويردها إلى طريقها الطبيعي.

والإسلام لا يريد القضاء على هذه الشهوة ولا إعدامها لأن فيها حفظ الوجود
الإنساني بل يريد تهدبها وضبطها لكي تحفظ أعراض الناس وتحفظ الأنساب وتقل

الجرائم والآثام، ووضع الزواج على الطريقة الإسلامية سواء الدائم منه أو المنقطع وضع لهذا الزواج معايير لإختيار الزوج والزوجة وفيما جاء في الأثر:

إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقته فزوجوه إلا تفعلوا ذلك يكن فساد في الأرض كبير وورد أيضاً «أفضل نساء أمتي أصبحن وجهها واقلهن مهراً» تشجيعاً للزواج. وحضر من نكاح الزانية والمشركة والزاني والمشرك وان كانوا جميين. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الرِّزْنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا﴾ (الإسراء: ٣٢).

وقال تعالى: ﴿الرَّازِيَ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّازِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانِي أَوْ مُشْرِكَةً وَحُرْرَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٣).

كما أن عواقب هذه الشهوة إذا ما كبحت وتعدت حدودها كما في اقتراف جريمة اللواط والعياذ بالله لربما تصل إلى حد العقاب الجماعي ولربما يصل إلى حد الإستئصال كحدث لقوم لوط وقصة قرية سدوم.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَارِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٢).

وها هو الإمام زين العابدين يقول «إن أفضل الجهاد عفة البطن والفرج» فإنه يدعو إلى ترسیخ أعظم القيم في النفوس، أي إلى تهذيب هاتين الشهوتين اللتين بسببيهما تعلن الحروب وتشب المعارض وتترفع رایات الإقتتال على مستوى الأفراد والشعوب.

ولنرجع الآن إلى كلام مولانا زين العابدين لنرى أنه عندما ذكر هذا الحق في رسالته نرى انه يضع للإنسان ثلاثة أمور لكي يستعين بها على حفظ فرجه :

الأول : أن يغض بصره، فان البصر مفتاح الإثارة بل أهم المفاتيح لهذه الشهوة فإذا نظر تحرك شهوته وإذا تحرك شهوته سعى لإتباعها فإذا لم يجد المنفذ الحال سوف تخرج به إلى الحرام ومن هنا أمر الله بغض البصر حيث قال:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا

يُبَدِّلُ دِينَ زَيْنَتْهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴿النور: ٣١﴾.

الثاني: ذكر الموت وهو طريق يسلكه الصالحون والراغبون في طاعة الله، فإن ذكر الموت يذكر الإنسان بمصيره وما له وقبره وما يلاقيه من حساب عن كل صغيرة وكبيرة وبذلك يحتقر المللذات والشهوات فيعود إلى نفسه ليحدثها بمصيره فإن الموت منغص للذات.

ولذا ورد عن النبي ﷺ قوله: «اذكروا هادم اللذات ومنغص الشهوات».

الثالث: أن يجعل الله عليه رقباً فلا يهم بفاحشة إلا ويذكر الله وعقابه وأعده للعصاين والمتجاوزين على حدوده فيقف عندها عن ارتكاب المعاصي والمحارم وإن لا يهم بفعل شيء إلا ويذكر الله عنده وقبله وبعد كلامه يفعل أمير المؤمنين علي عليه السلام وورد عنه في دعاء كميل «وكنت أنت الرقيب علي من ورائهم والشاهد لما خفي عنهم».

وقد وردت الأحاديث الكثيرة في حفظ الفرج والبطن وأنهما يوردان الإنسان النار إذا لم يحفظهما ويقوم برعايتها.

عن أبي جعفر عليه السلام قال «ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج».

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلم من أمتى أربع خصال فله الجنة: (من الدخول في الدنيا، وإتباع الهوى، وشهوة البطن، وشهوة الفرج)».

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى النبي ﷺ أعرابي فقال له: أوصني يا رسول الله فقال: نعم أوصيك بحفظ ما بين رجليك.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **مَا الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ قَدَرَ فَعَفَّ، لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا مِنَ الْمُلَائِكَةِ.**



حق الصلاة

رحلة حقوقية

ينمى إلى ذروة الدين التي قصرت
عنها الأكف وعن إدراكها القدم
ينشق ثوب الدجى عن نور غرته
كالشمس تنجاب عن إشرافها الظلم
ما سر كون رجل مثل علي كله ايمان.

كل أهل البيت عليهم السلام كانوا كذلك وهذا من عجائبهم . والإنسان عندما يرى ذلك الخوف من الله عند علي ابن الحسين عليه السلام تلك الصلوات التي كانت في الواقع مناجاة - وحسب تعبير الكسيس كارل - كانت تحليق الروح نحو الله (فلم تكن صلاته مجرد أن يقف بيده مستقبلاً القبلة وتسرح الروح في مكان آخر أبداً . كانت لأن الروح قد انفصلت عن هذا البدن) أجل عندما يرى المرء علي ابن الحسين عليه السلام يسأل نفسه ما هذا الإسلام ؟ ما هذه الروح ؟

من أين تأتي كل ذي النغمات وان تكون من حلق عبد الله
عندما يرى المرء علي ابن الحسين عليه السلام يرى كأن النبي صلوات الله عليه وسلم في محراب عبادته
في الثلث الأخير من الليل أو كأنه النبي صلوات الله عليه وسلم في غار حراء .

ففي ليلة كان الإمام مشغولاً بالمناجاة والدعاء الذي كان يليق به عليه السلام فوقع أحد أولاده عليه السلام من مكان فانكسر عظمه بحيث احتاج إلى جبر فلم يأت أهل بيته عليه السلام إليه يقطعون عليه عبادته بل ذهبوا وجبروا الكسر وربطوا يد الطفل وقد اشتد صراحه حتى ارتاح الولد وانتهت المسألة. وفي الصباح يرى الإمام يدا ابنه فيسأل عنه؟ فقالوا له حدث كذا وكذا فسأل متى فقالوا ليلة أمس في الساعة الفلانية حيث كنت منشغلاً بالعبادة فاتضح أن الإمام عليه السلام في حالة انجداب بشكل كانت روحه محلقة نحو الله حتى انه لم يسمع صوت من تلك الأصوات.

قد ذكرنا في الرحلة السابقة أننا انتهينا من حقوق الخالق، والآن نبدأ المرحلة الثانية من رحلتنا الحقوقية وهي الرحلة إلى حقوق الأفعال وأول هذه الحقوق هو حق الصلاة.

حق الصلاة

﴿فَأَمَّا حُقُّ الصَّلَاةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وَفَادَةٌ إِلَى اللَّهِ وَأَنَّكَ قَائِمٌ بِهَا يَبْيَنَ يَدَيِ اللَّهِ، فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَقُومَ فِيهَا مَقَامَ الذَّلِيلِ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ الْخَائِفِ الرَّاجِي الْمُسْكِنِ الْمُتَضَرِّعِ الْمُعْظَمِ مَنْ قَامَ بِهِ يَدَيْهِ بِالسُّكُونِ وَالْإِطْرَاقِ وَخُشُوعِ الْأَطْرَافِ وَلِنِ الْجُنَاحَ وَحُسْنِ الْمُنَاجَاةِ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَالْطَّلْبِ إِلَيْهِ فِي فَكَالِ رَقَبَتِكَ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُكَ وَاسْتَهْلَكَتْهَا ذُنُوبُكَ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

أما معنى الصلاة فيمكن أن يكون مأخوذاً من صلى بالفتح، من صليت العود على النار، ومن المصلى، ومن الوصلة، أو بمعنى الزيارة، كما ورد عن علي عليه السلام في

تفسير قد قامت الصلاة، أي حان وقت الزيارة، أو الرحمة، وكل هذه المعاني لها مناسبة مع هذا المعجون الإلهي.

وردت لفظة صلاة في القرآن الكريم في ثلاثة وستين آية وما يلفت الإنتباه أن معظم الآيات الواردة فيها كلمة صلاة قد سبقت بـ: يقيمون أو أقاموا وأقم... الخ وهذا يدل على أهمية هذه الفريضة التي هي أحد أركان الإسلام بل هي عمود الدين.

إنها الصورة المبدعة التي يرسمها الإسلام برئاسة الإمام الرشيدة المسدة المعصومة، أنها صورة الصلاة كما يريدها الله وكما يجب أن يكون عليها صاحبها، صورة يرسم فيها هذا العبد كادحاً إلى ربه وافداً عليه موجهاً وجهه نحوه، انه الإنسان الصغير المحدود الضعيف الهزيل يقف أمام الله الكبير المطلق القوي العزيز، صورة توحى بكثير من المعاني المختلفة العميقية.

صورة توحى بعظمة الله وجلاله و موقف فيه من الخشوع والخضوع والإنابة والتوبة ما لا يمكن التعبير عنه لأنه من الأسرار الوجدانية التي يعيشها الفرد لذة روحية لا تفي بترجمتها الكلمات.

انه لقاء المحبة والسوق والصباة، لقاء يقف فيه الإمام الله ليعرف له بالربوبية وبكمال الأوصاف الإلهية من رحمة وحكمة وعلم وقوة، لقاء فيه طلب المدد والإستعانة لهذا الإنسان كي يستمر في الطريق المستقيم الذي يريد الله ويرسمه لعباده على لسان أنبيائه.

هذه الصلاة لها عشاق وأحباب عرفوا دورها ومكانتها ولمسوا ايجابياتها وخيراتها فحافظوا عليها وأتقنوا أفعالها واتوا بمستحباتها وأدابها.

- عرفوا أنها العروج إلى الله.

- عرفوا أنها عمود الدين.

- عرفوا أنها إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها.

- عرفوا أنها وجه الدين.

- عرفوا أنها أول شيء يسأل العبد عنه يوم القيمة.

- عرفوا أنه ما بين الكفر والإيمان إلا تركها.

- عرفوا أنها قربان كل تقي.

عرفوا أنها تنزيه لهم عن الكبر.

فإن الإنسان إذا أداها قائماً بوطائفها التي رتبت معها تخلى عن كل رذيلة وتحلى بكل فضيلة ورضا ظاهره وصفي باطنه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، وإنما أعارها هذا الاهتمام لأنها وإن كانت عملية بسيطة لكنها في الحقيقة ذات نظام دقيق ورموز عالية كما إنها في نفس الوقت فضيلة من أسمى الفضائل ونعمه من الله بها على عباده من أغلى النعم كما قال رسول الله محمد ﷺ: «أحب من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني الصلاة» وقرة العين لا تكون إلا في حصول نعمة أو دفع نعمة والصلاحة من الأولى.

أوجب الشارع المقدس للصلاة وظائف أولها إزالة النجاسة وإشعار العبد بأنه يريد منه إزالة الأخلاق الشيطانية كالكفر والبغض والحسد وما غيرها من الرذائل التي ينهى عنها والتخلق بالأخلاق الروحية ليعلم أن تنظيف الباطن هو موضع نظر الحق فهو وأن أوجب عليه من تطهير الظاهر بغسل الأطراف وتنظيفها واشترط عليه إباحة المكان واللباس ليعرف أن عليه حدوداً يجب عليه أن يحافظ عليها فلا ي تعداها ولو كان المكان للغير ولم يجوز لك أن تصرف فيه فلا صلاة لك، وكذلك اللباس لو كان للغير. فإذا فهمنا أن حق الغير لا يجوز لنا أن نتصرف فيه حتى في حاجة العبادة ففي غيرها بالأولى.

وأنت ترى أنه جعلها في أعمال مخصوصة وأقوال معقولة ودعوات ترجع إلى إشعار القلب بعظمة خالق هذه الأكونان فجعل في آخرها التسليم يميناً وشمالاً لذكر الصالحين المصلحين استحضاراً لهم بالقلب كما جعل في أولها التكبير وسمّاها تكبير الإحرام إشعاراً للعبد بأنه انتقل بقلبه إلى عالم الروح وأن كان هو بجسده في عالم المادة فيجب عليه وهو في هذه الحال أن لا يفكر في شيء من عالم المادة إلا ما كان له مساس بعالم الروح. من هنا قال رسول الله محمد ﷺ وليس لك من صلواتك إلا ما حضرت فيه بقلبك.

وأمر بقراءة الحمد في جميع الفرائض لأن المصلي إذا قرأ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ شعر فؤاده ما أبدع الله في العالم من الرحمة واللطف وكيف أن كل شيء خلقه برحمته من التدريج في التربية ويتصور أنه أمامه يناجيه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، أي لا أحد يستحق العبادة غيره ولا أحد يرجى للمعونة غيره. ويدعوه أيضاً فيقول: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، إرشاداً له بدعائه كأنه قال وأدعوك لتهديني الطريق التي ترضاه لعبادك الذين سبقت منك لهم العناية فلذا قال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧)، وجعل الوضوء مراتب لأسرار فيه، فغسل الوجه كشف غطاء الوجه للتعرف بما في عالم الروح من إبداع، وغسل اليدين إشارة عن الفصل بالأعمال الدنيوية للدخول في عالم الملائكة الحق، ومسح الرأس استنزال الرحمة لطلب المعونة من الحق تعالى، ومسح الرجلين انفصala عن أغراض الشهوة والغضب. وشرط فيه الماء أو بدله التراب لأن البشرية أولها ماء مهين وآخرها تراب ليذكر الإنسان نفسه دائمًا ليستنزل الكبر ويتردّع بالتواضع واشترط عليك في المكان الطهارة للتعرف أن بدنك أولى بها واشترط عليك فيه الاعتدال للتعرف أنك أولى به واشترط عليك في اللباس الطهارة وضميرك أولى بها.

أوجب على الإنسان في الصلاة نفسها أن يدخلها بالنية ليفصل بين عالمين ويكبر فيها بالتعظيم والإجلال وأن يقرأ بالترتيل ويركع بالخصوص لترجع النفس فيها إلى عالمها المقدس ويرفع نفسه بالتواضع ويسجد بالذل لأنه تمكين أشرف الأعضاء، وهو الوجه من أذل الأشياء اعني التراب الذي تعود أن يطأء برجله ليذكره بأصله وإن منه بدنه وإليه عوده منها طال به الزمن قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه: ٥٥)، ويجلس للتشهد فيتشهد بالإخلاص إلى بارئه قاطعاً جميع العلاقة المادية بقطع كل رابطة بينه وبين من هو دون خالقه، لا يأمل سواه ويسسلم بالرحمة راجياً وبالرغبة ويتصرف بالخفوف والرجاء كل ذلك بحضور القلب وإفراج الجوارح وذل المقام بين يديه فيجعل الجنة عن يمينه والنار عن شماليه والصراط بين يديه.

من هنا صارت مراجعاً للمؤمن ولا تكون مراجعاً من دون هذا، يقول الاستاذ «أوجست سباتيه» إننا لا نستطيع الآن أن نستخلص أصل الدين وأن نضع له تعريفاً فهو صلة وعلاقة معروفة ومرارة تنسئها الروح المكروبة بينها وبين القدرة الخفية التي تشعر هي أنها تابعة لها وأن مقدراتها تحت مشيئتها، فالصلاحة هي الدين في حالة العمل أو هي الدين الحق، والدين لا يكون شيئاً يعتد به إذا لم يكن عملاً حيوياً بواسطة تحاول النفس أن تنجو من الهلاك بالتجاهل إلى أصلها الذي تنزلت منه وهذا العمل هو الصلاة وهي كما أعنيها ليست التلفظ بكلمات أو تردید عبارات ولكنها الحركة التي تقوم بها النفس لتضع نفسها في علاقة شخصية واتصال مباشر بالقدرة الخفية التي يحس الإنسان بوجودها حتى قبل أن يستطيع أن يطلق عليها أسمًا فحيث لا توجد هذه الصلاة الباطنية فلا يكون هناك دين، ويقول الدكتور «كاريل» (إنها تحدث بعض النشاط في أجهزة الجسم وأعضائه بل هي أعظم مولد للنشاط عرف) إلى يومنا هذا وقد رأيت بوصفي طبيباً كثيراً من المرضى أخفقت العقاقير في علاجهم فلما رفع الطب يديه عجزاً أو تسليناً تدخلت

الصلاه فأبرأ لهم من عللهم.

يقول علي عليه السلام تعاهدوا أمر الصلاه وحافظوا واستكثروا منها وقربوا بها فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ما سلككم في سقر قالوا لم نكن من المصلين وأنها تحت الذنوب حتى الورق وتطلقها.

اولئك الذين عرفوا الصلاه، عرفوا عنها الشيء الكثير فلذا وقفوا منها تلك المواقف الإيجابية الرائعة التي تمثلت في مسلكهم العملي تارة وفي مسلكهم القولي والتوجهي تارة أخرى.

قال بعض أزواج النبي عليهما السلام : كان النبي عليهما السلام يحدثنا ونحدثه فإذا حضر الصلاه فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه.

وهذا هو أمير المؤمنين إذا أخذ في الوضوء تغير وجهه من خيفة الله. وكان إذا حضر وقت الصلاه يتزلزل، ويبلون، وقيل له: مالك يا أمير المؤمنين، فقال جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض، فأبى أن يحملنها وأشفقن منها.

وكانت فاطمة عليهما السلام تنهج - النهج تتبع النفس - في الصلاه من خيفة الله. وهذا هو الحسن عليهما السلام إذا فرغ من وضوئه تغير لونه، فقيل له في ذلك، فقال: حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه.

وكان علي ابن الحسين عليهما السلام إذا قام إلى الصلاه تغير لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقا.

وعن الصادق عليهما السلام كان أبي يقول كان علي ابن الحسين إذا قام إلى الصلاه كأنه ساق شجرة، لا يتحرك إلا ما حركت الريح منه.

نعم هناك أيضاً أمر مهم يشير إليه الإمام زين العابدين لتكون الصلاة كاملة

: وهي :

حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياة.

فعن أبي جعفر عليه السلام : يقول بينما رأى رسول الله صلوات الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ دخل رجل فقام فصلى فلم يتم ركوعه ولا سجوده فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم نقر كنقر الغراب لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموت على غير ملتي.

واسمع الصادق في مقام التوجيه التكاملي حيث يقول: إذا صليت فريضة فصلها لوقتها صلاة مودع يخاف أن لا يعود أبداً.

ثم اصرف نظرك إلى موضع سجودك فلو تعلم من عن يمينك وشمالك لأحسنت صلاتك وأعلم أنك بين يدي من يراك ولا تراه.

إن الإمام زين العابدين في هذه اللوحة الجميلة يريد أن يصلنا بالله ويوقفنا أمامه ومن خلال هذه الصلة وهذا الموقف يريد أن يعلمنا الأدب معه. الأدب الجوارحي والأدب الجوانحي، كيف تكون في مقامنا معه وعلى أي هيئة يجب أن تكون؟. فالأطراف خاشعة والجوانح لينة والعيون مطروقة فلا حركة من يد تخرج عن المرسوم لها ولا نظر يمتد إلى خارج دائرة الصلاة والصلة بالله.

يجب علينا أن نعي النظر في صلاتنا وان نقف عند كل كلمة وذكر وحركة وندخل في عمقها وما هي فلسفتها وأثارها لا مجرد تهمات نرددها بألسنتنا لأننا تعودنا عليها. ولتکتمل الصورة فلنندرج على كيفية صلاة النبي صلوات الله عليه وسلم وأهل البيت :

ورد في الكافي للشيخ الكليني الجزء: «٣» رقم الصفحة: «٣١٢ / ٣١١».

- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام يوماً: يا حماد تحسن أن تصلي؟ قال: فقلت: يا سيدي أنا أحفظ كتاب حريز في الصلاة

قال: لا عليك يا حماد^(١)، قم فصل قال: فقمت بين يديه متوجهاً إلى القبلة فاستفتحت الصلاة فركعت وسجدة، فقال: يا حماد لا تحسن أن تصلي ما أصبح بالرجل منكم يأتي عليه ستون سنة أو سبعون سنة فلا يقيم صلاة واحدة بحدودها تامة، قال: حماد فأصابني في نفسي الذل، فقلت: جعلت فداك فعلماني الصلاة فقام أبو عبد الله عليه السلام مستقبل القبلة متتصباً فأرسل يديه جميعاً على فخذيه، قد ضم أصابعه وقرب بين قدميه حتى كان بينهما قدر ثلات أصابع منفرجات وإستقبل بأصابع رجليه جميعاً القبلة لم يحرفهم عن القبلة وقال بخشوع: الله أكبر ثم قرأ الحمد بترتيل^(٢) وقل هو الله أحد ثم صبر هنية^(٣) بقدر ما يتنفس وهو قائم ثم رفع يديه حيال وجهه وقال: الله أكبر. وهو قائم ثم رفع وملأ كفيه من منفرجات ورد ركبتيه إلى خلفه حتى إستوى ظهره حتى لو صب عليه قطرة من ماء أو دهن لم تزل لإستواء ظهره ومد عنقه وغمض عينيه ثم سبح ثلاثة بترتيل فقال: سبحان رب العظيم وبحمده.

ثم إستوى قائماً فلما إستمكن من القيام قال: سمع الله لمن حمده، ثم كبر وهو قائم ورفع يديه حيال وجهه ثم سجد وبسط كفيه مضمومتي الأصابع بين يدي ركبتيه حيال وجهه فقال: سبحان رب الأعلى وبحمده ثلاثة مرات ولم يضع شيئاً من جسده على شئ منه وسجد على ثانية أعظم الكفين والركبتين وأنامل إبهامي الرجلين والجبهة والأنف وقال: سبعة منها فرض يسجد عليها وهي التي ذكرها الله في كتابه

(١) أي لا بأس عليك بالعمل بكتاب حريز.

(٢) قال شيخنا البهائي : الترتيل : الثاني وتبين الحروف بحيث يتمكن السامع من عدها، مأخوذه من قوله لهم ثغر رتل ومرتل إذا كان مفلجاً وبه فسر قوله تعالى : ﴿وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه حفظ الوقوف وبيان الحروف، أي مراعاة الوقف والحسن والإتيان بالحروف على الصفات المعتبرة من الحمس والجهر والإستعلاء والإطابق والغنة وأمثالها والتترتيل بكل من هذين التفسيرين مستحب ومن حمل الأمر في الآية على الوجوب فسر الترتيل بإخراج الحروف من مخارجها علي وجه يتميز ولا يندمج بعضها في بعض.

(٣) هنية - بضم الهاء وتشديد الياء بمعنى الوقت اليسير.

فقال: وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً^(١) فخذله وهي الجبهة والكفان والركبتان والإبهامان ووضع الأنف على الأرض سنة، ثم رفع رأسه من السجدة فلما إستوى جالساً قال : الله أكبر، ثم قعد على الأيسر وقد وضع ظاهر قدمه الأيمن على بطن قدمه الأيسر وقال: أستغفر الله ربِّي وأتوب إليه، ثم كبر وهو جالس وسجد السجدة الثانية وقال: كما قال في الأولى ولم يضع شيئاً من بدنَه على شيء منه في ركوع ولا سجود وكان مجنحاً^(٢) ولم يضع ذراعيه على الأرض فصل ركعتين على هذا ويداه مضمومتاً الأصابع وهو جالس في التشهد فلما فرغ من التشهد سلم، فقال: يا حماد هكذا صل.



- (١) الجن - ١٧١ -

(٢) أي رافعاً مرفقيه عن الأرض حال السجود جاعلاً يديه كالجناحين فقوله : لم يضع عطف تفسيري ، و قوله : وصلى ركعتين على هذا قال الشيخ رحمه الله : هذا يعطى أنه عليه السلام قد أسرورة التوحيد في الركعة الثانية أيضاً وهو ينافي المشهور بين أصحابنا من إستحبب مغایرة السورة في الركعتين وكراهة تكرار الواحدة فيها إذا أحسن غيرها كما رواه علي بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ما يقال إليه بعضهم من إستثناء سورة الإخلاص عن هذا الحكم وهو جيد ويعضده ما رواه زراره عن أبي جعفر عليهما السلام أن رسول الله عليه السلام صلى ركعتين وقرأ في كل منها قل هو الله أحد، وكون ذلك لبيان الجواز بعيد ولعل إستثناء سورة الإخلاص بين السور وإختصاصها بهذا الحكم لما فيه من مزيد الشرف والفضل.



حق الصوم

رحلة حقوقية

لا ينقص العسر بسطا من أكفهم
سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا

في الحديث عن الباقي عليه السلام قال: كان علي ابن الحسين عليه السلام شديد الإجتهاد في العبادة، نهاره صائم وليله قائم، فأصر ذلك بجسمه.

فقلت له يا أبي كم هذا الدؤوب؟

فقال له: أتحبب إلى ربى لعله يزلفني. وحج عليه السلام ماشيا في عشرين يوما من المدينة إلى مكة.

ودخل أبو جعفر ابنه عليه السلام عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فرأه وقد اصفر لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء ودبرت جبهته وانخر انفه من السجود وقد ورمت ساقاه من القيام في الصلاة.

فقال: أبو جعفر عليه السلام فلم املك حين رأيته بتلك الحال البكاء، فبككت رحمة له فإذا هو يفك فالتفت إلى بعد هنีهة من دخولي.

فقال يابني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام فأعطيته فقرأ فيها شيئا يسيرا ثم تركها من يده تضجرا وقال: من يقوى على

عبدة علي بن أبي طالب عليه السلام.

واسمعه في مناجاته ودعائه فإنك لا تملك نفسك عن البكاء والخشوع وانكسار القلب، إنها ترنيمة ملائكة في ثياب بشرية، اسمعه كما يحدث طاوس اليماني، يقول: رأيته - علي ابن الحسين - يطوف من عشاء إلى سحر ويتعبد فلما لم ير أحد رقم السماء بطرفه وقال: إلهي غارت نجوم سماء واتك وهجمت عين انامك، وأبوابك مفاتح للسائلين، جئتك لغفر لي وترحني وترئني وجه جدي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه في عرصات القيامة ثم بكى وقال: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي خالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وانا بك شاك ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سولت لي نفسي وأعانتي على ذلك سترك المرخي علي، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبoglobin من اعتصم إن قطعت حبلكعني؟ فوا سوأاته غدا من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين جوزوا وللمقلين حطوا، أمع المخفين أجوز؟ أم مع المقلين أحظ؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطایا فكم أتوب لكم أعود؟ أما آن لي أن استحي من ربِّي؟

ثم بكى وأنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين محبتي
أتیت بأعمال قباح ردية وما في الورى خلق جنى كجنائي
ثم بكى وقال: سبحانك تعصى كأنك لا ترى وتحلم كأنك لم تعصى، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيد الغني عنهم ثم خر إلى الأرض ساجدا.

قال: فدنوت منه وشلت برأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده فاستوى جالسا وقال: من الذي شغلني عن ذكر ربِّي.

فقلت: إنما طاوس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمونا أن نفعل مثل هذا، ونحن عاصون، جانون، أبوك الحسين ابن علي وأملك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: فالتفت إلى وقال: هيئات، هيئات، يا طاوس دع عنك

حديث أبي وأمي وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قريشاً أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يُوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ والله لا ينفعك غداً إلا تقدمة تقدمها من عمل صالح.

محطتنا الثانية أيماناً الأحبة من الرحلة الحقيقية من حقوق الأفعال لإمامنا زين العابدين هي مع حق الصوم.

حق الصوم

«وَأَمَّا حَقُّ الصَّوْمِ فَإِنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ حِجَابٌ
ضَرَبَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِكَ وَسَمِعَكَ وَبَصَرَكَ
وَفَرِحَكَ وَبَطَنِكَ لِيُسْتَرِكَ بِهِ مِنَ النَّارِ وَهَذَا
جَاءَ فِي الْحُدَيْثِ «الصَّوْمُ جُنَاحٌ مِنَ النَّارِ» فَإِنْ
سَكَنَتْ أَطْرَافُكَ فِي حِجَابِهَا رَجُوتَ أَنْ
تَكُونَ مَحْجُوبًا. وَإِنْ أَنْتَ تَرْكَهَا تَضْطَرِّبُ
فِي حِجَابِهَا وَتَرْفَعُ جَبَنَاتِ الْحِجَابِ فَتُطَلِّعُ إِلَى
مَا لَيْسَ لَهَا بِالنَّظَرِ الدَّاعِيَةِ لِلشَّهْوَةِ وَالْقُوَّةِ
الْخَارِجَةِ عَنْ حَدِّ التَّقْيَةِ لِلَّهِ لَمْ تَأْمُنْ أَنْ تَخْرِقَ
الْحِجَابَ وَتَخْرُجَ مِنْهُ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.»

ورد في المنجد في اللغة والأعلام كلمة صام:

- ١ - صام - صوماً وصياماً: أمسك عن الطعام والشراب والكلام والسير وغير ذلك فهو صائم وجمعها صائمون وصوماً وصوم وصياماً، إصطدام: صام - والمصدر الصوم وجمعه أصوم: الإمساك عن الفعل، الامتناع عن الأكل والشرب في أوقات معلومة، الصائم بلفظ واحد مع الجميع. يقال وهو صوم

وهي صوم وهم صوم وهلم جرا، والصوم من الأراضي اليابسة لا ماء فيها، الصومان جمع صيامي. يقال ماء صائم أي ساكن راكد، الصائمة من الخيل: القائمة على غير اعتلال.

- صام - صوما وصياما النهار: صار الظهر منه والشمس صارت في كبد السماء، والريح ركبت، الصائمة من السكاين الكليلة التي لا تقطع ومن البكرات التي لا تدور. يقال جئته والشمس في مصاحها أي في كبد السماء.
- صام - صوما وصياما وصطام منيته: ذاقها.

وقد تكررت لفظة صيام وصوم وصائم في القرآن الكريم ١٤ مرة ولأحكام متعددة.

ومن هذه الأحكام حكم فريضة الصوم في قوله تعالى :
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ - البقرة : ١٨٣ .

على أن في العمل بهذا الحكم رجاءً ما نبغي ونطلب بإيماناً و هو التقوى التي هي خير زاد لمن آمن بالله واليوم الآخر .

وورد في الحديث القدسي ، قال الله تعالى: «الصوم لي و أنا أجز به».

والوجه في كون الصوم لله سبحانه أنه هو العبادة الوحيدة التي تألفت من النفي ، وغيره كالصلاوة والحج و غيرهما متألف من الإثبات أو لا يخلو من الإثبات . وذلك أن الصوم أمر بين العبد وربه لا يطلع عليه سوى الله سبحانه بخلاف الصلاة والحج ففيها أفعال خارجية ولربما تكون عرضة للرياء والسمعة .

والذي يعنينا من هذه التعريفات ويقرب لنا معنى الصوم هو التعريف الأول كما بينه الإمام السجاد علیه السلام لا إمساك عن الأكل والشرب فقط بل عن فحش اللسان وفحش البصر وفحش الفرج وفحش البطن .

ويؤكّد لنا الإمام هذا المعنى في مقطوعة أخرى:

«واعلم ويحك يا ابن آدم أن قسوة البطنة وفطرة الميلة وسكر الشبع وعزّة الملك مما يشطب عن العمل وينسي الذكر ويلهي عن اقتراب الأجل حتى كأن المبتلى بحب الدنيا به خبل من سكر الشراب، وإن العاقل عن الله، الخائف منه، العامل له ليمرن نفسه ويعودها الجوع حتى ما تشتاق إلى الشبع وكذلك تضمر الخيل لسباق الرهان.

وروي عن إمامنا الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: إذا أصبحت صائمًا فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك وجميع جوارحك، أي عن المحرمات بل المكرهات أيضاً. وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن الصيام ليس عن الطعام والشراب وحدهما، فإذا صمتم فاخفضوا ألسنتكم عن الكذب، وغضوا أبصاركم عما حرم الله، ولا تنازعوا، ولا تحاسدوا، ولا تغتابوا، ولا تماروا، ولا تحالفوا كذباً بل ولا صدقاً، ولا تسابوا، ولا تشاتموا، ولا تظلموا، ولا تسافهوا، ولا تضاجروا، ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة والزموا الصمت والسكوت والصبر ومحابية أهل الشر، واجتنبوا الكذب والفري والخصوصة وظن السوء والغيبة والنميمة، وكونوا مشرفين على الآخرة متظرين لأيامكم متظرين لما وعدكم الله متزودين للقاء الله... والحديث طويل.

انه دستور كامل للأخلاق وفيها أسرار وخفايا وقف عليها أئمة أهل البيت، ولذا نرى رسول الله ﷺ عندما سمع امرأة تسب جارية لها وهي صائمة كيف دعا لها بطعم و قال لها: كلي. فقالت إني صائمة. فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك، إن الصوم ليس من الطعام والشراب فقط.

فإن هذا الموقف النبوي تعبير آخر عن صيام سائر الجسد عن الحرام والفحش والإيذاء وهذا ما وضحه الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديثه آنف الذكر.

ولو لم يكن إلا هذا الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ لكفى: «صوموا تصحوا» ليس فقط صحة البدن بل صحة العقل والفكر والأخلاق والعلاقات الإجتماعية.

وهذه بعض فوائد الصوم:

١- الصوم رياضة روحية يتجرد الإنسان فيه من كل شهوات الدنيا ولذائتها.

وبذلك يرتفع بها عن الأرض التي تشهده إليها إلى الملاأ الأعلى.

٢- في الصوم تتجسد المساواة بين المسلمين حيث يجمعهم شهر رمضان ويوحد نفوسهم، بحيث يوقد صغيرهم كبارهم ويرحم كبارهم صغيرهم ويخنو غنيهم على فقيرهم.

٣- الصيام طريقاً إلى صفاء النفس والمودة والحب والتآلف بين الناس ومنه ما ورد من استحباب الإفطار للصائم ندباً إذا دعاه أخاه المؤمن إلى الإفطار فعن الصادقين: «من دخل على أخيه وهو صائم طوعاً فأفترط كان له أجران: أجر لنيته لصيامه وأجر لإدخال السرور عليه» وفي حديث آخر «فتركك لأخيك وإدخالك السرور عليه أعظم أجراً من صيامك».

٤- في الصوم راحة للجسد والتخلص من كثير من الأمراض بحسب الدراسات الطبية. وحسبك ما ورد من الحديث السابق «صوموا تصحوا» و«المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء».

٥- في الصوم تهذيب للأخلاق والإبعاد عن الرذائل والتي ذكرها رسول الله وأهل بيته في كثير من أحاديثهم بل وجمعتها كلمة واحدة «علكم تتقوون».

٦- الصيام يعلمنا على تنظيم حياتنا الاقتصادية والمالية حيث الإبعاد عن السرف والترف والإحساس بآلام الآخرين.

هذه بعض فوائد الصيام ولربما غاب عنا الكثير من فلسفة تشريعيه.

ومن هذا كله نقف على تلك الفقرة الشريفة ذات العمق الرسالي التي صدرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام وندرك أن كلام الأئمة كله معدن واحد ونور واحد يصدر عن نفس الذات القدسية. فيعد الصوم عند الإمام زين العابدين حجاباً لكل الجوارح من ارتكاب الحرام، وبهذا يكون الصوم وقاية من النار كما ورد في الأثر: «الصوم جنة من النار» أي وقاية، وإلا والعياذ بالله إن طغت هذه الجوارح وحدت عن الطريق الصحيح فالنهاية إلى ما لا تحمد عقباه.



حق الحج

رحلة حقوقيه

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
الله شرفه قدمًا وعظمه
جري بذاك له في لوحه القلم

حاول حكام الجور والظلم على مدى العصور تفريح الحج من محتواه الحقيقى
لأنه يهدى عروشهم إذ إن في مناسك الحج ركينين أساسين، التوحيد أولاً ويتمثل
برمزية الكعبة، والبراءة من المشركين والظلمة ثانياً ويتمثل برمي الجمار. ورأينا في
التاريخ المحاولات المحمومة لجعل الحج عباده فقط ومجرد طقوس يؤدّيها المسلمون
ليس إلا. وما أقدم عليه الـأموي من هدم الكعبة على عهد يزيد بن معاوية،
وهدّمها ثانية بالمنجنيق على عهد الحجاج بن يوسف الثقفي إلا دليل على خوفهم
من هذا البيت ومن هذه الشعيرة. ولكن التاريخ ينقل لنا في الجانب الآخر صورة
مشرقية حين حمل الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام آية البراءة ليبلغها يوم الحج الأكبر
﴿وَأَذْانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحُجَّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ وليعطى الحجّ بعده العالمي، ثم يأتي من بعده ابنه الإمام الحسين ليقف
يوم التروية في موسم الحجّ فيعلن ثورته المباركة من جوار الكعبة المشرفة «أيها

الناس خط الموت على ابن آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وخير مصرع أنا لاقيه وكأن أوصالي تقطعنها عسلان الفلوات بين النواويس وكرباء، ألا من كان باذلا فيما مهجته موطننا نفسه على لقاء ربه فليرحل معنا». وستكون هناك ثورة أكبر حين يقف إمامنا المهدى - حيث نعيش كل سنة ذكرى ميلاده الشريف - ويُسند ظهره للكعبة قائلاً بقية الله خير لكم إن كنتم تعلمون حيث يتحقق وعد الله وحلم الأنبياء والمصلحين على وجه المعمورة.

لما رجع مولانا زين العابدين من الحج استقبله الشبلي، فقال عليه السلام له: (حججت يا شibli). قال: نعم، يا بن رسول الله.

فقال عليه السلام: (أنزلت الميقات وتجبردت عن مخيط الثياب واغتسلت؟) قال: نعم. قال عليه السلام: (فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية، ولبست ثوب الطاعة؟) قال: لا. قال عليه السلام: (فحين تجبردت عن مخيط ثيابك نويت أنك تجبردت من الرياء والتفاق والدخول في الشبهات)، قال: لا.

قال عليه السلام: (فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟) قال: لا. قال عليه السلام: (فما نزلت الميقات، ولا تجبردت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت!).

ثم قال عليه السلام: (تنظفت وأحرمت وعقدت بالحج؟). قال: نعم. قال عليه السلام: (فحين تنظفت وأحرمت وعقدت الحج، نويت أنك تنظفت بنور التوبة الخالصة لله تعالى؟). قال: لا. قال عليه السلام: (فحين عقدت الحج نويت أنك حللت كل عقد لغير الله؟). قال: لا. قال عليه السلام له: (ما تنظفت ولا أحرمت ولا عقدت الحج!).

قال عليه السلام: (أدخلت الميقات وصليت ركعتي الإحرام ولبيت؟) قال: نعم قال عليه السلام: (فحين صليت الركعتين نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال من الصلاة، وأكبر حسنات العباد؟) قال: لا. قال عليه السلام: (فحين لبيت نويت أنك نطقـت

لله سبحانه بكل طاعة، وصمت عن كل معصية؟). قال عليه السلام: (فحين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل حرم حرمه الله عز وجل؟). قال: لا. قال عليه السلام له: (ما دخلت الميقات ولا صليت ولا لبيت !)

ثم قال عليه السلام: (أدخلت الحرم ورأيت الكعبة وصليت؟). قال: نعم.

قال عليه السلام: (فحين دخلت الحرم نويت أنك حرمت على نفسك كل غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملة الإسلام؟). قال: لا. قال عليه السلام: (فحين وصلت مكة نويت بقلبك أنك قصدت الله؟). قال: لا. قال عليه السلام: (فما دخلت الحرم ولا رأيت الكعبة ولا صليت!).

ولا زال الإمام مسترسلا بين للشبي فلسفة الحج الإبراهيمي المحمدي من الناحية الروحية حتى نهاية جميع مناسك الحج والحديث طويل وشيق جدا وفي نهاية حديثه نراه يقول: (فعندما رميت الجمار نويت أنك رميت عدوك ابليس وغضبه بتمام حجك النفيس؟). قال: لا. قال عليه السلام: (فعندما حلقت رأسك نويت أنك تطهرت من الأذناس ومن تبعةبني آدم، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟). قال: لا. قال عليه السلام: (فعندما صليت في مسجد الخيف نويت أنك لا تخاف إلا الله عز وجل وذنبك، ولا ترجو إلا رحمة الله؟). قال: لا. قال عليه السلام: (فعندما ذبحت هديك نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من الورع، وأنك اتبعت سنة إبراهيم عليه السلام بذبح ولده وثمرة فؤاده وريحانة قلبه، وأحييت سنته لمن بعده، وقربه إلى الله تعالى لمن خلقه؟). قال: لا. قال عليه السلام: (فعندما رجعت إلى مكة وطفت طوف الإفاضة نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى ورجعت إلى طاعته، وتمسكت بوعده، وأديت فرائضه وتقربت إلى الله تعالى؟). قال: لا. قال له زين العابدين عليه السلام: (فما وصلت مني، ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك ولا أديت نسكك، ولا صليت في مسجد الخيف، ولا

طفت طواف الإفاضة، ولا تقربت، ارجع فإنك لم تحج!).

فطفق الشبلي يبكي على ما فرطه في حجه وما زال يتعلم حتى حج من قابل
بمعرفة ويقين.

وصلنا إلى الحق الثالث من حقوق الأفعال وهو حق الحج، فمعاً أيها الأحبة
مع إمامنا زين العابدين لنقف على بعض إسرار هذه الشعيرة الكبيرة وما فيها من
منافع.

حق الحج

(وَأَمَّا حُقُّ الْحَجَّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ وِفَادَةٌ إِلَى رَبِّكَ
وَفِرَارٌ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِكَ وَفِيهِ قَبُولٌ تَوْبَتِكَ
وَقَضَاءُ الْفَرْضِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ).

الحج في اللغة يعني القصد، وفي الإصطلاح هو قصد بيت الله حقيقة، قال تعالى
عن لسان إبراهيم الخليل: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِي دِينِ﴾ (الصفات، ٩٩).

وعن لسان لوط عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
(العنكبوت، ٢٦).

تكررت كلمة الحج في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وكعادة القرآن الكريم
إنما يكرر الكلمات للتأكيد على أهمية الحكم أو الحدث أو الواقعة. بل هناك سورة
كاملة بإسم الحج.

الإمام السجاد عليه السلام يريد بيان البعد الملكوني الباطني لمناسك الحج، حيث أنه
البعد الذي يتقرب به العبد إلى الله تعالى بقلبه، ومن الواضح أن فلسفة العبادات هي
التقرب إليه تعالى. وأما سائر النتائج منها كانت كبيرة إلا إنها ليست العلة في تشريع

العبدات، كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأَذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحِجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٨). فالآلية تؤكد على هذه الحقيقة حيث أن المنافع عائدة إلى هؤلاء الراجلين الفقراء وأصحاب الضامر وهو المزيل من الإبل.

قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ إلخ، اللام للتعليق أو الغاية والجار والمجرور متعلق بقوله: ﴿يَأْتُوكَ﴾ والمعنى يأتيوك لشهادة منافع لهم أو يأتيوك فيشهدوا منافع لهم وقد أطلقت المنافع ولم تتقييد بالدنيوية أو الأخروية.

والمนาفع نوعان: منافع دنيوية وهي التي تقدم بها حياة الإنسان الاجتماعية ويصفو بها العيش وترفع بها الحاجات المتنوعة وتكميل بها النواقص المختلفة من أنواع التجارة والسياسة والولاية والتدبير وأقسام الرسوم والأداب والسنن والعادات ومتعدد التعاونات والتعاضدات الاجتماعية وغيرها.

فإذا اجتمعت أقوام وأمم من مختلف مناطق الأرض وأصقاعها على ما لهم من اختلاف الأنساب والألوان والسنن والأداب ثم تعارفوا بينهم وكلماتهم واحدة هي كلمة الحق وإلههم واحد وهو الله عز اسمه ووجهتهم واحدة هي الكعبة البيت الحرام حملهم اتحاد الأرواح ووحدة القول على تشابه الفعل فأخذ هذا من ذاك ما يرضيه وأعطاه ما يرضيه، واستعان قوم بآخرين في حل مشكلاتهم وأعانوهم بما في مقدرتهم فيبدل كل مجتمع جزئي مجتمعاً أرقي، ثم امتزجت المجتمعات فكانت مجتمعاً وسيعاله من القوة والعدة ما لا تقوم له الجبال الرواسي، ولا تقوى عليه أي قوة جباره طاحنة، ولا وسيلة إلى حل مشكلات الحياة كالتعاضد ولا سبيل إلى التعاضد كالتفاهم، ولا تفاهم كتفاهم

الدين والمنافع أخروية وهي وجوه التقرب إلى الله تعالى بما يمثل عبودية الإنسان من قول وفعل وآداء الحج بما له من المناسب يتضمن أنواع العبادات من التوجه إلى الله وترك لذائذ الحياة وشواغل العيش والسعى إليه بتحمل المشاق والطوابح حول بيته والصلوة والتضحية والإنفاق والصيام وغير ذلك.

وقد قسم الشهيد الصدر المصالح المتواخة من الحج إلى قسمين:

- ١ - مصالح متواخة من الحج كوظيفة اجتماعية موحدة منظوراً إلى أفعاله على وجه المجموع لتكون العمل الإسلامي الواحد المسمى بالحج.
- ٢ - المصالح المتواخة من وراء كل فعل من أفعاله إذا نظر إليه بحاله، كجزء من الفرضية الكبرى.

و سنلخصها كالتالي: القسم الأول:

بعض هذه المصالح شخصي وبعضه اجتماعي فما كان منه اجتماعيا فهو يفيد الأمة، وما هو شخصي فهو يفيد الأمة عن طريق صياغة نفس الفرد وتربيته.

وبعضها حسي مباشر وبعضها رمزي.

وهي كالتالي:

- ١ - تذكر الله تعالى دائمًا. حيث أن الهدف هو الله سبحانه وتعالى وذلك وجب ذكر الله في جميع أعمال الحج.
- ٢ - العمل في سبيل الله. حيث يقوم في المشاعر كلها من أجله وإطاعة أوامر الله.
- ٣ - التضحية في سبيله بقيامه بهذا العمل حيث معلوم أن الحج ليس أمراً سهلا وإنما يحتاج إلى جهد بدني وفكير كبير.
- ٤ - غفران الذنوب وتصفية النفس. الحج دورة أخلاقية كاملة وحيث أن لا أحد

- يخلوا من عمل الذنوب عاداً المعصومون فإنه فرصة لطلب رضوان الله.
- ٥- تمثل التاريخ الإسلامي في الأماكن المقدسة. ما اسعد الحاج أن يؤدي الحج في نفس الأماكن التي نشأ فيها رسول الله وعاش فيها صحابته وعدد من المعصومين من أهل بيته عليهم السلام.
- ٦- الشعور بعظمة الإسلام وعمق هيبته وهيمنته على النفوس، وقوته ومنتها بهم عند الإحتكاك بالألاف المؤلفة من الحجاج الذين يؤمنون بيت الله الحرام زرافات ووحدانا، كل عام منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا.
- ٧- الشعور بالوحدة والأخوة مع الحجاج المسلمين وبالهدف الواحد المشترك بينهم. حيث لا تجمعهم لغة ولا زyi ولا تقاليد ولا حدود ولا يعرف الفرد منهم الآخر.
- ٨- التعرف على الام وآمال الأمة الإسلامية ومشاكلهم وثقافاتهم ومستويات تفكيرهم، فإنه من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم.
- ٩- الحج مؤتمر إسلامي سياسي كبير ويضم عدد مهم من رجال الفكر والعلم والأدب والإجتماع والسياسة مما يكون على المستوى الرفيع من المداولة في الشؤون العامة لل المسلمين. ولو وفق إلى قيادة رشيدة واعية وأفكار بناة ملخصة، لنالت الأمة الإسلامية ومن تكراره كل عام أفضل الثمار ولأصبح العقبة الكبيرة أمام قوى الشرك والإنحراف والصوت المجلجل للأمة الإسلامية والخطوة الموقعة لدفع الألام وتحقيق الآمال.
- ١٠- الدعوة إلى الإسلام وتبلیغ أحكامه إلى الناس. فإن الحج يعتبر الفرصة الكبرى الوحيدة لـإجتماع مثل هذا العدد الضخم من المسلمين بتوجه وخشوع لله وعلى استعداد كبير لتقي أحكام الإسلام حيث أن الحج هو

الفريضة الوحيدة التي تجمع بين أكثر الفرائض إذ أن الصلاة والصوم والخمس جزء من أحكام الحج.

المصالح الخاصة لأعمال الحج:

- هناك مصالح متعلقة بأفعال الحج بما لها من رمزية أو صراحة وبها فيها من نفع فردي أو اجتماعي ومن هذه المصالح ما بينها الإمام زين العابدين للشبل في حدثه والتي ذكرنا بعضها منها في مقدمة الكلام. وهي بشكل ملخص:

- الإحرام والمقصود الرئيسي منه التجرد عن المادة وعلاقتها الدنيا.
- التلبية، ولا يعقد الإحرام إلا به وهي إجابة لنداء الهي ورباني كبير وهي دعوة إبراهيم الخليل.

- الطواف، حيث أن الكعبة تمثل الوجود المادي الرمزي للتوحيد والطواف حولها هو طواف حول التوحيد وحول دين الله القويم.

- صلاة الطواف، وفيها أنها شرط من شرائط الحج وان الله لم يرد للحج أن يخلو من عمود الدين وهو الصلاة وان من لم يعرف الصلاة بطل حجه، وإنها تحية معطرة وفيض من الإحترام لنبينا إبراهيم عليه السلام حيث أنها تؤدي في مقامه.

- السعي، وهو يمثل السعي في حدود الشريعة الإسلامية والأوامر الإلهية ويعطي رمزية واضحة عن التردد داخل حدود تلك الأوامر والتعاليم.

- الموقفان، عرفات والمشعر وهم المكان والزمان الوحد الذي يجتمع فيه الحجاج جميعاً وفيهما فرصة للتقارب والتعارف حيث أن بقية إعمال الحج لا توحد الحجاج اجمعهم.

- الذبح والهدى، جعل الله فيها للفقير حق في أموال الأغنياء، وشرع فيها

الضمان الاجتماعي العام.

- الحلق، وفيه حكمتان: الأولى إحلال الحاج لكتير من الأمور المحرمة عليه حال الإحرام وتمكنه من الالتزام بنواهي الإحرام طيلة الحج. والثانية النظافة التي هي من الإيمان ومن واصحات المطلوبات في الإسلام.

- رمي الجمرات، حيث أن الكعبة رمز التوحيد والطواف حولها يمثل الإخلاص لله ورمز الخير، فإن الرمز الآخر لا بد أن يستقطب كل معاني الشر والظلم باعتبارهما المتوجتين الأساسيةين لما ترمز إليه الجمرة وهي فكرة الشيطان وما تعدد الجمرات إلا فكرة لتعدد الطواغيت والظالمين وعليه فيجب رجمهم ورفضهم ليس فقط في أيام الحج بل في كل زمان ومكان.

هذه نبذة يسيرة ومحضرة عن فلسفة الحج حيث لا يسقط الميسور بالمعسور ولعلنا نوفق في مكان آخر لتبيان بعض إسرار الحج. إنما أراده إمامنا زين العابدين هو الحج الحقيقي الذي يخرج فيه الحاج من ذنبه كيوم ولدته أمه والذي يشعر فيه الفرد المسلم بأخيه المسلم في كل مكان وزمان.

وهذا ما أكدته إمامنا الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ففي العيون، فيما كتبه الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل: وعلة الحج الوفادة إلى الله عز وجل وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف ولن يكون تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان، وحضرها عن الشهوات اللذات والتقرب بالعبادة إلى الله عز وجل والخصوص والاستكانة. والذل شاخصاً في الحر والبرد والأمن والخوف، دائباً في ذلك دائماً. وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، والرغبة والرهبة إلى الله تعالى، ومنه ترك قساوة القلب وجسارة النفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق وحظر النفس عن الفساد، ومنفعة من في شرق الأرض

وغربها ومن في البر والبحر من يحج ومن لا يحج من تاجر وجالب وبائع ومشتر وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكн لهم الاجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم.



حق الصدقة

رحلة حقوقية

لا يستطيع جواد بعد جودهم
ولا يدان لهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمت
والأسدُ أسدُ الشرى والباس محتمد
لا ينقص العسر بسطا من أكفهم
سيان ذلك ان أثروا وإن عدموا
الصدقة نوعان مادية ومعنوية وهي إما صدقة في سبيل الله وأجرها الجنة بل لا
يعلم أجرها إلا الله:

﴿وَمَثُلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْيِتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلَ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابْلُ فَاتَتْ أَكُلُّهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنَّ لَمْ يُصِبْهَا وَابْلُ فَطَلْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٦٥).

وإما الصدقة في سبيل الطاغوت، فأولئك الذين يسرقون أموال شعوبهم
ويحرمونهم من أقل الحقوق ثم يذرونها ويصرفونها لدعم الإرهاب وقتل الأبرياء هنا
وهناك، وعلى ملذاتهم الخاصة هؤلاء أجرهم نار جهنم وغلبة وحسرة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ

عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ (الأنفال: ٣٦).

ولم يكن الإمام زين العابدين بموافقه أو مناقبه الفريدة، يريد تسجيل لوحات استهلاكية للتشدق والرياء، ولم يكن يرغب في تدوينها للتسويق السياسي والتجارة، وإنما كانت سجّيته هكذا، بل كانت أخلاقه ملكة لم يستطع أكثر أعدائه خصوصةً له، تسجيلها عليه على أنها نوازع خاصة لأهداف مبيتة يرغب في تسويقها من أجل اكتساب السمعة أو الشهرة أو توسيع دائرة المعجبين والمحبين، كما يفعل الكثيرون.

ولعلَّ (صدقة السر) المنسوبة له عَلَيْهِمُ اللَّهُ تَعَالَى تجسيدٌ مثالٍ رائعٌ لهذه الملكة الخالدة والسجية العظيمة، فكان يسمى (صاحب الجراب)، إذ كان يقصد بجرابه فقراء المسلمين ليلاً ملثماً، فيقرع أبوابهم بباباً ليضع ما يوضعه أمامها في جوف الليل من طعام أو صرّة مال، ولم يكن ليعرف المسلمون (صاحب الجراب) هذا حتى مات عَلَيْهِمُ اللَّهُ تَعَالَى حيث كشف بعض خواصه كلمته الخالدة: «إِنَّ صدقة السرّ، أو صدقة الليل تطفئ غضب الرب» لتبقى شعاراً خالداً يندد بالمرائين وتجار السياسة وعشاق الوجاهة والرئاسة وشراء الذمم والأصوات

منقبة أخرى، بل مناقبة أخرى، تكشف هذه السجية في شخصيته، خلاصتها أنه عَلَيْهِمُ اللَّهُ تَعَالَى كان يحصي على عبيده أخطاءهم في شهر رمضان، ويسجل ذلك عليهم دون علمهم، ودون أن يعاقبهم أو يُقرّعهم أو يحاسبهم حتى إذا جاء عيد الفطر جمعهم، وأخذ يذكّرهم بأخطائهم وذنوبهم أثناء الشهر الكريم مع تحديد الوقت والخطأ الذي ارتكبه كُلّ منهم، وحين يتذكّر المخطيء منهم فعلته أو خطأه ويعرف بذنبه، يغفو عنه ويطلب منه أن يدعوه بالغفرة والعتق من النار كما عفا هو عنه أو عنهم، ثم يعتقه أو يعتقهم أحراجاً لوجه الله وهو يردد وهم

جيمعاً يرددون معه وبصوت وداعاء ملائكي حزين: «ربّنا أمرتنا أن نعفو عنمن ظلمنا وقد عفونا كما أمرت، فاعفْ عننا، ربنا وأمرتنا ألا نرد سائلًا عن أبوابنا وقد أتيناك سؤالاً ومساكين، وقد أنخنا بفنائك وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطائك، فامن بذلك علينا ولا تخيبنا».

نسألك اللهم بالمخزون من أسئلتك وبما وارته الحجب من بهائك إلا رحمت هذه النفس الجزوعة وهذه الرمة الملوعة التي لا تستطيع حر شمسك، فكيف تستطيع حر نارك، والتي لا تستطيع صوت رعدك، فكيف تستطيع صوت غضبك». ثم يقبل علیستلة على عبيده فيقول لهم: «قد عفوت عنكم، فهل عفوت عنّي مما كان مني إليكم من سوء ملكي؟ فإني ملك سوء، لئيم ظالم، مملوك ملليك كريم جواد عادل محسن متفضل».

فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأّت فيقول لهم قولوا: «الله أَعْفُ عن علي بن الحسين كما عفا عننا، فاعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق».

ثم يقول: «الله تولّني في جيراني بإقامة ستّك والأخذ بمحاسن أدبك في إرفاق ضعيفهم وسد خلتهم، وتعهد قادمهم، وعيادة مريضهم، وهداية مسترشدتهم، ومناصحة مستشيرهم، وكتمان أسرارهم، وستر عوراتهم، ونصرة مظلومتهم، وحسن مواساتهم بالмаعون، والعود عليهم بالجلدة والأفضال وإعطائهم ما يجب لهم قبل السؤال» وهكذا، مما لا عد له ولا حصر في إحصاء زوايا النفس الإنسانية والتنقيب عن مكنوناتها النبيلة في حب الآخرين والرفق بهم والاعطف عليهم و(مواساتهم بالماعون) لاحظ الدقة ونصحهم والانتصار لمظلومتهم وتعهد قادمهم وما ذكره وردده وما زالت تذكره وتردده الأجيال جيلاً بعد جيل رغم تعاقب الدهور والعصور.

أحبتي بعد هذه المقدمة الجميلة تصل رحلتنا الحقوقية في حقوق الأفعال إلى حق الصدقة حيث يقول مولانا زين العابدين:

حق الصدقة

(وَأَمَّا حَقُّ الصَّدَقَةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا دُخْرُكَ عِنْدَ رَبِّكَ وَوَدِيعَتُكَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى الإِشْهَادِ، فَإِذَا عِلِّمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ سِرًّا أَوْثَقَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ عَلَانِيَّةً، وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تَكُونَ أَسْرَرُتَ إِلَيْهِ أَمْرًا أَعْلَنْتَهُ، وَكَانَ الْأَمْرُ يَبْيَنُكَ وَبَيْنَهُ فِيهَا سِرًّا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَمْ تَسْتَظِهِ عَلَيْهِ فِيهَا اسْتَوْدَعْتَهُ مِنْهَا بِإِشَهَادِ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ عَلَيْهِ بِهَا كَائِنَهَا أَوْثَقَ فِي نَفْسِكَ لَا كَائِنَكَ لَا تَشِقُّ بِهِ فِي تَأْدِيَةِ وَدِيعَتِكَ إِلَيْكَ، ثُمَّ لَمْ تَمَنَّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ لَا كَائِنَهَا لَكَ فَإِذَا امْتَنَنتَ بِهَا لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ بِهَا مِثْلَ تَهْرِينِ حَالِكَ مِنْهَا إِلَى مَنْ مَنَنْتَ بِهَا عَلَيْهِ لَا كَائِنَ فِي ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ نَفْسَكَ بِهَا، وَلَوْ أَرَدْتَ نَفْسَكَ بِهَا لَمْ تَمَنَّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ).

ربما لم ترد كلمات مترادفة في القرآن الكريم بقدر ما اتي في الصدقة فقد جاءت بمعنى الإنفاق الإيتاء والمجاهدة بالأموال والزكاة والخمس ولقد جاءت كالأتي :

- ١٠ مرات كلمة صدقات بمختلف صيغها

- ٢٠ مرة انفقوا ومعظمها متلازمة بالمال

- ٢١ مرة ينفقون كذلك متلازمة بالمال

- ٧ مرات جاهدوا بأموالكم

- ٤ مرات أنفقتم

- ٢٨ مرة كلمة الزكاة

- ومرة واحدة لكلمة حسن ومجاهدون ومجاهدين بأموالهم

هذا التكرار وبكلمات متراوحة يدل على أهمية العطاء بمفهومه الواسع على أن الزكاة والخمس من الواجبات إذا اكتمل فيها النصاب ووجدت الأرباح، ولا شك أن البذل والعطاء والإيثار والكرم والمهدايا والهبات والتبرعات والصدقات أمور يرغب الإسلام في ممارستها وأحيائها ويدعوا المسلمين إلى أن تعيش بينهم روح المحبة والسماحة والحنان.

والعطاء بمفهومه الإسلامي الواسع يشمل المعنوي والمادي ومن هذا العطاء ما هو واجب ومنه ما هو مستحب:

- فالواجب منه يتمثل بالحقوق الشرعية من خمس وزكاة وغيرها ومن تعليم جاهل لأحكام دينهتمثلة بالصلوة والصيام وغيرها من الواجبات.

- المستحب قد يتمثل في باقي الحقوق غير الواجبة فقد يأخذ صفة الصدقة والهدية والهبة وقد يأخذ صفة تثقيف لمفهوم إسلامي أو لقضية إسلامية أو لحكم إسلامي لا يتعرض له المكلف ولا يبيتلي به شخصيا.

والإمام زين العابدين يضع أمامنا في هذا المقام صورة الصدقة التي تتجسد في العطاء المجاني دون مقابل سواء كانت واجبة أو مستحبة ولعلها إلى الإستحباب أقرب منها إلى الوجوب فإن هذه الصدقة التي تخرجها من ملكك لتقدمها إلى فقير هو بحاجة إليها.

وربما لا يستطيع باحث حصر فوائد الإنفاق والصدقة، ولكن لا يسقط المisor بالمعسor فمن فوائدها :

١- فوائد شخصية تعود على المنفق نفسه إذا بذل عن نفس طيبة، عن نفس تحسّن بالآخرين، إذا قصد بها وجه الله وتنفيس كربة ورفع عوز أرملة وسد خلة فإنها تحول إلى عبادة تعادل الصلاة والصيام بل وقد تفوق صلاة الكثرين من لا يتعاطفون مع الناس ولا يعيشون آلامهم.

٢- الأجر والثواب الكثير من الله سبحانه وتعالى كما صرحت بها الكثير من الآيات ومنها :

﴿تَمَلَّ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَنَلَ حَبَّةً أَنْبَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبْنَبِلَةِ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ . والذكر الطيب وقد ينزل فيه قرآنًّا منها كانت قليلة. وحادثة الإطعام التي قدم فيها أهل البيت عليهم السلام طعامهم إلى المسكين واليتييم والأسير نموذج من هذا الطهر والإيمان الذي دفعهم للإثمار وتقديم الخير فنزل القرآن لمدحهم ويشني عليهم في سورة كاملة هي سورة الإنسان ﴿وَجَزَاهُمْ بِهَا صَبْرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَكَبِّئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ ، وما احلي هذه الآيات لأمير المؤمنين علي في الشجاعة والكرم :

عناق الطير تنجدل انجدلا	أنا الصقر الذي حدثت عنه
فلما شبّت أفننت الرجال	واقسيت الحروب أنا ابن سبع
ولم يدع السخاء لدى مala	فلم تدع السيوف لنا عدوا

٣- فوائد اجتماعية : تقوية اللحمة والأواصر بين إفراد المجتمع بين الفقراء والمساكين والمحاجين والمعوزين وبين الأغنياء والواجدين، وارتفاع سطح معيشة الطبقة المتدنية.

٤- تقليل بل ربما القضاء على الجرائم الخلقية من سرقة وبيع شرف، فإن هذا المحتاج

لربما تدفعه حاجته لبيع شرفه أو للسرقة أو الإعتداء على الآخرين. فإذا بذل هذا الغنى وإعطاءه هذا المحتاج وسد حاجته فقد سد بابا من أبواب الإجرام.

٤- دفع البلاء، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ «ادفعوا البلاء بالصدقة» و«وداوا مرضاكم بالصدقة».

ثم يرشدنا الإمام زين العابدين إلى عدة أمور لكي نستكمل بها قيمة العطاء والثواب:

أولاً - أن هذه الصدقة لا تضيع وليس أجرها وثوابها يضيع بل إنها لا تحتاج إلى الإشهاد ولا إلى وثائق ومستمسكات لأنها كما في بعض الروايات تقع في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل.

ثانياً - كلما كانت سرا كانت أكثر ثوابا لأنها تحفظ على الفقير ماء وجهه وتصون كرامته وتستر عليه حاجته، وهي بذلك تكون معاملة مباشرة مع عالم الغيب والشهادة وابعد عن الرياء والظهور والكبriاء، ومن هنا كان فضل العبادة سرا على الجهر بها، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤).

وقد مر علينا في بداية الحديث كيف أن الإمام زين العابدين كان يسمى (صاحب الجراب) لأنه يتصدق بجراب الأموال بالليل سرا. وعن الإمام الصادق ع: كل ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره وما كان تطوعا فإسراره أفضل من إعلانه.

ثالثاً - أن تكون حالية من المنطبقا لقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَبِّعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَا وَلَا أَذْى هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فإن من يفسدها ويضيع اجرها وإذا أفسدها وضاع اجرها لم يستفد منها لنفسه شيئا ولو كان مريدا أجرها لراعي شروط قبولها. أخرج ابن المنذر والحاكم وصححه: إن رسول الله ﷺ سأل البراء

بن عازب فقال: يا براء كيف نفقتك على أملك؟ وكان موسعاً على أهله فقال: يا رسول الله ما أحسنها؟ قال: فإن نفقتك على أهلك وولدك وخدمك صدقة فلا تتبع ذلك منا ولا أذى.

وأخيراً وضربنا الأمثال في العطاء والبذل والجحود فلن نجد مثل رسول الله ﷺ في عطائه وجوده، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس كفا وأكرمهم عشرة من خالطه فعرفه أحبه.

وفي مكارم الأخلاق عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال أنا أديب الله وعلي أديبي أمرني ربى بالسخاء والبر ونهاني عن البخل والجفاء وما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من البخل وسوء الخلق وإنه ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل.





حق الهدى

رحلة حقوقيّة

يكاد يمسكه عرفان راحته

ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

نجد في سيرة الأئمة عليهم السلام العديد من الأدلة التي أوضحتوا من خلالها للناس
سبب الاختلاف في أساليبهم في قيادة الحركة الإسلامية من إمام لآخر.

فإليام السجاد عليه السلام قال له عبّاد البصري وهو في طريق مكة: تركت الجهاد
وصعوبته وأقبلت على الحجّ ولينه، و«إنّ الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم»
فأجابه الإمام عليه السلام: إقرأ بعدها: «التابعون العابدون الحامدون السائرون الراكعون
الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر
المؤمنين»، ثمّ قال عليه السلام: إذا ظهر هؤلاء يعني المؤمنين حسب مواصفاتهم في الآية لم
نؤثر على الجهاد شيئاً.

وبهذه الإجابة حدد الإمام عليه السلام بشكل صارم سياساته ولون كفاحه، ووجهة
حركته في عصره، ومن ثمّ الأسباب الموجبة لذلك المسار، فإنّ عدوله عن الكفاح
المسلح والمواجهة العسكرية للحكم الأموي لم تأتِ حبّاً في الحياة ونعمتها كما تصور
عبدالبصري، وإنما جاء ذلك لأنّ مستلزمات العمل العسكري الناجح غير متوفّرة،
ولأنّ التائج من أيّ تحدّ للسلطان في تلك الظروف تكون عكسيّة تماماً.

وبعد ملحمة كربلاء مباشرةً تبنى الإمام السجاد عليه السلام وكرائم أهل البيت كزبيب وأم كلثوم عليهم صلوات الله وسلامه سياسة إسقاط الأقنعة التي كان الأمويون قد غطّوا وجوه سياستهم الكالحة الخطيرة بها، وحملوا الأمة كذلك مسؤوليتها التاريخية أمام الله والرسالة.

حجّه عليه السلام :

وكان يحيّ على الحج والعمرة بقوله: «حجّوا واعتمروا تصح أجسادكم، وتتسع أرزاقكم، ويصلح إيمانكم، وتكفوا مؤونة الناس ومؤونة عيالكم»، وقال عليه السلام: «ال الحاج مغفور له، ومحروم له الجنة، ومستأنف به العمل، ومحفوظ في أهله وماليه».

وقال عليه السلام: «الساعي بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة».

وكان عليه السلام يدعو إلى تكريم الحجاج إذا قدموا من بيت الله الحرام ويقول: «استبشروا بالحجاج إذا قدموا وصافحوهم، وعظموا لهم تشاركتهم في الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب».

وحجّ عليه السلام غير مرّة ماسياً كما حج أبوه وعمّه الحسن عليهما السلام، وحج على ناقته عشرين حجّة وكان يرفق بها كثيراً.

وقال ابراهيم بن علي: حجّت مع علي بن الحسين فتكلّأت ناقته فأشار إليها بالقضيب، ثم ردّ يده، وقال: «آه من القصاص». .

وكان الإمام عليه السلام إذا أراد السفر إلى بيت الله الحرام احتفّ به القراء والعلماء؛ لأنّهم كانوا يتزوّدون منه العلوم والمعارف والحكم والأداب، وقال سعيد بن المسيب: إن القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج علي بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب.

وإذا انتهى الإمام إلى إحدى المواقت التي يحرم منها؛ يأخذ بعمل سنن الإحرام، وإذا أراد التلبية عند عقد الإحرام اصفر لونه واضطرب ولم يستطع أن يلبي، فإذا قيل له: مالك لا تلبّي؟ قال: «أخشى أن أقول: لبيك، فيقال لي: «لا لبيك».

وإذا لبّي غشي عليه من كثرة خوفه من الله تعالى، ويسقط من راحلته، ولا يزال يعتريه هذا الحال حتى يقضي حجّه.

وكان الإمام عليه السلام إذا أدى مناسكه في البيت الحرام؛ أقبل على الصلاة تحت مizarب الرحمة. ورأه طاوس اليهاني في ذلك المكان قائماً وهو يدعوه وي بكى من خشية الله، فلما فرغ من صلاته قال له طاوس: رأيتك على حالة من الخشوع ولك ثلاثة أمور، أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها: أنك ابن رسول الله عليه السلام، الثاني: شفاعة جدّك، الثالث: رحمة الله.

فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً: «يا طاوس، أما أنا في ابن رسول الله عليه السلام فلا يؤمنني وقد سمعت الله تعالى يقول: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، وأما شفاعة جدي فلا تؤمنني؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى﴾ وأما رحمة الله فالله يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولا أعلم أنني محسن».

قد سبق وذكر الإمام زين العابدين حق الحج وطرقنا بعض أسراره وفلسفته وفلسفة بعض مناسكه وأركانه من خلال حديث الإمام مع الشبلي ومن خلال تخليلات المشرع والعلماء. ثم لا يكتفي الإمام زين العابدين بهذا بل ويدرك حق الهدى الذي هو إحدى فروع الحج، فيا ترى لماذا خص الإمام هذا الفرع دون غيره من فروع الحج بالذكر. هذا ما سنا حاول أن نسلط عليه الضوء في رحلتنا الحقوقية هذه والذي يمثل آخر حقوق الأفعال في رسالة الحقوق.

حق الهدى

«وَأَمَّا حُقُّ الْهَدِيِّ فَأَنْ تُخَلِّصَ بِهَا إِلَرَادَةَ إِلَى
رَبِّكَ وَالْتَّعَرُضَ لِرَحْمَتِهِ وَقُبُولِهِ وَلَا تُرِيدَ عَيْنُونَ
النَّاظِرِينَ دُونَهُ، فَإِذَا كُنْتَ كَذِيلَكَ لَمْ تَكُنْ
مُتَكَلِّفًا وَلَا مُتَصَنِّعًا وَكُنْتَ إِنَّمَا تَقْصِدُ إِلَى اللَّهِ.
وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يُرِادُ بِالْيَسِيرِ وَلَا يُرِادُ بِالْعَسِيرِ
كَمَا أَرَادَ بِحَلْقِهِ التَّيسِيرَ وَمَمْرِدَ بِهِمُ التَّعْسِيرَ،
وَكَذِيلَكَ التَّذَلَّلَ أَوْلَى بِكَ مِنَ التَّدَهُنِ لِأَنَّ
الْكُلْفَةَ وَالْمَؤْنَةَ فِي الْمُتَدَهُنِينَ. فَأَمَّا التَّذَلَّلُ
وَالْتَّمَسْكُنُ فَلَا كُلْفَةَ فِيهِمَا وَلَا مَؤْنَةَ عَلَيْهِمَا
لَا نَهْمَهُمَا الْخُلْقَةَ وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي الطَّبِيعَةِ. وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»

ورد ذكر الهدى في القرآن الكريم سبع مرات في أربع آيات دلالة على أهمية هذا الركن.

لكل عبادة أبعاد روحية عرفانية وفوائد فردية ذاتية، وأبعاد اجتماعية سياسية وفوائدها للمجتمع، وهذه الأبعاد قد تختص بالمكان والزمان معاً كما في الحج وقد تختص بالوقت كما في الصيام والصلوة. فالهدى مثلاً من أبعاده الروحية قتل الطمع والهوى عند الإنسان، وفي الجانب الاجتماعي مثلاً إطعام القانع والمقرن.

١- الأبعاد الروحية للهدى:

ولقد ذكرنا سابقاً قول الإمام زين العابدين عليه السلام للشبلبي: «فعندي ما ذبحث هديك انك ذبحث حنجرة الطمع بها تمسكت به من حقيقة الورع، وانك اتبعت سنة

ابراهيم عليه السلام بذبح ولده وثمرة فؤاده وريحانة قلبه، وأحييت سنته لمن بعده وقربه إلى الله تعالى لمن خلقه».

وعن الصادق عليه السلام «واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة».

إن الحج بما فيه من نسك يرجع إلى إبراهيم عليه السلام لأنه هو الذي قال الله عنه جل وعلا :

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنْيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى
قَالَ يَا أَبَّتِ افْعُلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَلَهُ لِلْجِنِّينِ
* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا هُوَ
الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٧).

هذه الصورة الرائعة والموقف الإلهي والتسليم المطلق الذي يبين حقيقة وفلسفة الهدى عملياً حيث وصل بالنبي إبراهيم واسمهاعيل عليهما السلام إلى مستوى الإستعداد بالتضحيه بالنفس في سبيل الله تعالى ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَلَهُ لِلْجِنِّينِ﴾، حيث أن الهدى يرمز إلى الفداء والعطاء.

بل وأوضح منه درساً عملياً تقديم سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين دمه ودماء ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وصحبه الكرام يوم الطف تضحية وفاء للإسلام العظيم لأكبر مصدق لقوله تعالى : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ إذ فسر الذبح العظيم انه الإمام الحسين عليه السلام.

وورد عن علي سمعت رسول الله عليه السلام يخطب يوم النحر ويقول: «هذا يوم الشج والعج» والشج ما يهرق من الدماء فمن صدق نيته كانت أول قطرة كفاراة لكل ذنب اقترفه إذا أراد بذلك أن يتخل عن حيويته، عندئذ تكون هذه قطرة تمثل توبة نصوحًا يصل بها العبد إلى رضوان الله ومغفرته، فهي كفاراة لكل ذنب. والعج رفع

الصوت بالتكبير والتلبية والدعاة فعجو الله فوالذي نفس محمد بيده لا ينصرف من هذا الموضع أحد إلا مغفور له، وكذا الحال في مني يوم النحر بعد الذبح والتقشير يغفر للجميع.

هذا هو بعض أسرار الهدي في بعده العبادي العرفاني.

٢- الهدي في بعده الإجتماعي

﴿وَالْبُلْدُنَ جَعَلْنَا هَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَ كَذَلِكَ سَخْرَنَا هَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج: ٣٦)، ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ حُلُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى﴾ (الحج: ٣٧). نزلت هاتان الآياتان في بعض آيات لتبيين تشريع الحج وأحكامه، وقد بينت الآية موارد صرف الأضحية وهي:

- الأهل

- القانع

- المسكين

*ورد في الميزان عن سيف التمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن سعيد بن عبد الملك قدم حاجا فلقي أبي فقال: إني سقت هديا فكيف أصنع؟ فقال: أطعم أهلك ثلاثة، وأطعم القانع ثلاثة، وأطعم المسكين ثلاثة. قلت: المسكين هو السائل؟ قال: نعم، والقانع يقنع بما أرسلت إليه من البضعة فما فوقها، والمعتر يعتريك لا يسألك.

إن من فوائد الحج الإجتماعية والإقتصادية أن يستفيد تجار ومربي المواشي من موسم الحج بضخ الملايين من رؤوس المواشي كل عام لأن عدد الحجاج يزيد على الثلاثة ملايين كل سنة وهم في ازدياد مطرد، وبعض الحجاج إلى جانب

الهدي يذبحون الأضاحي عن ذويهم وآبائهم وبذلك تقوى عجلة الاقتصاد في بلاد المسلمين، أيضا المسالخ التي تهتم بذبح الأضاحي تدر الكثير من المال، أيضا شركات التبريد والنقل التي تبرد وتجمد الأضاحي وتنقلها إلى مختلف البلاد الإسلامية عن طريق الجمعيات الرسمية والأهلية فتوصلها إلى الفقراء والمحاجين والمساكين.

ومن الأمثلة العملية التي وقفت عليها شخصيا لجنة الهدي بفرع جمعية الفيصلية والمرز التي أخذت على عاتقها سنويا في موسم الحج حيث تنسق مع حملات الحج المحلية بل والقادمة من الخارج للإستفادة من أضاحي الهدي وجلبها إلى الأحساء ودول الخليج وال العراق.

إن مثل هذه اللجان لو وجدت بكثرة لأمكن الإستفادة من الهدي بشكل اكبر ولغطت رقعة اكبر من دول المسلمين ولشملت اسر أكثر من المحاجين.

ومن فوائدها الإجتماعية بعث روح التكافل الإجتماعية بين إفراد المسلمين

هذه بعض منافع الهدي والحج بشكل إجمالي، على أن الإمام زين العابدين عليه السلام قد لفت انتباها في مقولته إلى عدة أمور ليكون هدينا هادفا وقادسا و خالصا مقبولا لله رب العالمين:

أولاًً: إخلاص الإرادة لله وان هذا الهدي يجب أن يراد به وجه الله طاهرا نقيا فإن الشرك يفسده والتوجه إلى غير الله يفقده مضامونه ومعناه.

ثانياً: بين الإمام امرا مهما وذا أبعاد، بين لنا قاعدة اليسر التي هي من أهم القواعد الإسلامية وأعظمها وقد استمدتها من القرآن الكريم التي يرسمها بقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

ثالثاً: التذلل أولى بال المسلم من التدهن، وهو التكبر والتجبر والتبختر بسبب

المال والسلطان.

وكذلك أراد الإمام من هذا الإنسان أن يبقى على طبيعته من دون تكلف ولا
تصنع في سلوكه وحديثه ونيته.





حق سائسك بالسلطان

رحلة حقوقية

سهل الخليقة لا تخشى بـ وادره
يزينه اثنان حسن الخلق والشيم

موقف الإمام زين العابدين من أعوان الظلمة:

إن الطواغيت ليس بإمكانهم الوصول إلى مآربهم إذا لم يجدوا أعواناً لهم يعينونهم على ما يقومون به من مظالم وما تهم، ولعلَّ من السذاجة بمكان إلقاء اللوم على عاتق شخص واحد توضع على مشجبه أو شماعته كل الجرائم والجنایات التي ترتكب بحق الأمم والشعوب، وإغصاء الطرف عن الدائرة المحيطة به، الملتئفة حوله، بدءاً بولاته وقادته العسكريين، مروراً بعلاميه وأبواقه وفقهائه ووعاظ سلطنته، وانتهاءً بهذا المطرب أو ذاك الشاعر اللذين لا ينفكان ينشدان لنظامه الظالم ويروجان له ويخففان جرائمها ويخذلان على أيدي من يحاول التعریض بها أو الحديث عن جرائمها.

ولعلَّ الزيارة الشهيرة المعروفة بزيارة «عاشوراء» الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام التي جاء نصّها: «فلعن الله أمَّةٌ قتلتكم، ولعن الله أمَّةٌ ظلمتكم، ولعن الله أمَّةٌ سمعت بذلك فرضيت به» تعبر بشكل واضح وصريح عن هذه النقطة المهمة، أي على ضرورة تحمل الأمَّة مسؤولية حرب الحسين عليه السلام ومناهضته وتکثیر سواد خصومه.

هذا الخيط الرابط بين الطاغية وبين أعنانه، استطاع الإمام السجاد عليه السلام تشخيصه بدقة، وتأكيده والطرق عليه، أي إن موالة الجائز تعتبر كبيرة من الكبائر لما تنطوي عليه من تمكين واضح له لدرس الحق وإحياء الباطل وإظهار الظلم والجور، وإبطال الكتب، وقتل الأنبياء والمؤمنين، وهدم المساجد وتبديل السنة وتغيير شرائع الله وتعاليم دينه.

فكان الخطوة الثانية بعد أن ثبت الإمام مرکزه في الأمة هي: تنبية الأمة على أنّ أيّ تعامل مع الحكام وأية مساعدة لهم، حتّى في أبسط الأمور وأدنى الأشياء يعتبر تقويةً لحكومتهم، ومشاركةً لهم في جنایاتهم لأنّ تقديم أيّ خدمةٍ لهم وإن كانت ضئيلة جدًا يكون بقدرها تمكيناً ومعاضدةً لهم، فراح عليه السلام يؤكّد على لعن (من لاق لهم دواة، أو قطّ لهم قلماً، أو خاط لهم ثوباً، أو ناولهم عصاً)، بل حرم العمل معهم ومعونتهم والكسب عن طريقهم.

اعتمد الإمام السجاد عليه السلام هذه القاعدة الإسلامية، وجعلها ركيزة مهمة في مقاومة النظام الفاسد، وحاول تحريره من سلاح الوعاظ المحظيين به، أو عصابات المترافقين المتملقين الذين تمرّر السلطة الظالمه مشاريعها من خلال ملتهم وتزلفهم وتلميدهم لإجراءات هذه السلطة لدى العوام والسدّج والبساطاء.

وكان الإمام السجاد كثيراً ما يقول: «العامل بالظلم والمعين له، والراضي به شركاء ثلاثة»، وكان عليه السلام يحذّر الناس من التورّط في أعمال الظلمة، ولو بتكتير سعادهم والتواجد في مجالسهم ومصاحبتهم، لأنّ الظالم لا يريد من الصالح فعلاً الاستفادة من صلاحه أو الإقتداء به، وإنّما يحاول توريشه في جرائمها وأثامه أو توظيفه لتحقيق مفاسده ومشاريعه، فكان عليه السلام يقول: «ولا يقول رجل في رجل من الخير مالا يعلم، إلاّ أوشك أن يقول فيه من الشرّ مالا يعلم، ولا اصطحب اثنان على غير طاعة الله إلاّ أوشك أن يتفرقَا على غير طاعة الله».

ما أعظمها من رسالة حقوق، بعد أن يربطنا الإمام زين العابدين بالخالق ويبيّن لنا حقوقه وحقوق الأفعال المرتبطة بعبادته، يتنتقل الإمام إلى حق آخر من الحقوق وهو حقوق الناس كحقوق الأئمة والرعاية والرحم و... وهذا ما سوف نتطرق له تباعاً.

واللافت للنظر أن الإمام خصص في حقوق الأئمة، حقين من ثلاثة في «الحاكم» أو «الوالي» وذلك لأهمية هذا الأمر، وهو حق «سائسك بالسلطان» وحق «سائسك بالملك».

حق سائسك بالسلطان

(فَأَمَّا حُقُّ سَائِسَكَ بِالسُّلْطَانِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ جُعِلْتَ لَهُ فِتْنَةً وَأَنَّهُ مُبْتَلٌ فِيهَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ عَلَيْكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَأَنْ تُخْلِصَ لَهُ فِي النَّصِيحةِ وَأَنْ لَا تُمَاحِكَهُ وَقَدْ بُسِطَتْ يَدُهُ عَلَيْكَ فَتَكُونَ سَبَبَ هَلاكِ نَفْسِكَ وَهلاكِهِ . وَتَذَلَّلُ وَتَلَطَّفُ لِإِعْطَاءِهِ مِنَ الرِّضَا مَا يَكُفُّهُ عَنْكَ وَلَا يُضُرُّ بِدِينِكَ وَتَسْتَعِينُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِاللهِ . وَلَا تُعَازِّهُ وَلَا تُعَانِدَهُ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ عَقْقَتَهُ وَعَقْقَقْتَ نَفْسَكَ فَعَرَضْتَهَا لِكَرُوبِهِ وَعَرَضْتَهُ لِلْهَلْكَةِ فِيهَا وَكُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَكُونَ مُعِيناً لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَشَرِيكًا لَهُ فِيمَا أَتَى إِلَيْكَ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ).

لكل إمام وحاكم وولي وأمير حقوق على رعيته هذا إن كان ذلك الوالي والحاكم شرعاً من قبل الشعب مرضياً عند الله وعند رسوله متصفًا بصفة

الصلاح والعدل لا مسلطا عليهم بقوة السلاح والجهل مبذرًا لأموالهم ضاربا بعرض الحائط مصالح البلاد والعباد كما نرى اليوم من حكام الجحور الذين يركضون وراء الفتنة وتزييق الأمة بل وتمزيق الوطن الواحد بالمشاريع الطائفية والتفرقة العنصرية وتصنيف المواطنين عرقياً واثنياً، تاركين مواطنיהם يئنون تحت الفقر المدقع، تاركين تنمية البلاد اقتصادياً وعلمياً واجتماعياً. إن هؤلاء لا يعنيهم الإمام بكلمته تلك بل على الأمة خلعهم والبراءة منهم كما رأينا في قصص التاريخ الغابرية كفرعون ونمرود وطواوغيت قريش، وليس بعيد عننا ما حدث لطواوغيت العصر صدام وحسني مبارك، والقذافي، وزين العابدين، وعلى صالح، ومن سيلحقهم قريباً وما هي من الظالمين بعيد، قد رمتهم شعوبهم في مزبلة التاريخ وإلى الأبد، ستتجري سنن التاريخ والكون عليهم حينما تنهض وتقوم شعوبهم. والحمد لله قاصم الجبارين مبير الظالمين مدرك الهاريين نكال الظالمين، والحمد لله الذي يهلك ملوكاً ويستخلف آخرين.

إن الذين يعنيهم الإمام علي ابن الحسين هم أولئك الذين يصفهم جده أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله الذي يبين فيه سبب طلبه للحكم ويصف الإمام الحق:

(اللَّهُمَّ إِنِّي تَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافِسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا أَتَتَنَا شَيْءٌ مِّنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنِرَادِ الْمُعَالَمِ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهَرَ الْإِصْلَاحُ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمُظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعْتَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَّا بَأَنَّا، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالصَّلَاةِ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالدَّمَاءِ وَالْمَغَانِيمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ هَمَّتُهُ، وَلَا جَاهِلٌ فَيُضْلِلُهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا جَحَافِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَافِهِ، وَلَا أَحَادِيفُ لِلْدُّوَلِ فَيَتَّخِذُهُمْ دُونَ قَوْمٍ، وَلَا مُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذَهَبُ بِالْحُقُوقِ وَيَقْفَى بِهَا دُونَ الْمَاقِطِعِ، وَلَا مُعْطَلٌ لِلسُّنْنَةِ فِيهِلَّكَ الْأُمَّةَ).

نعم لا بد للناس من سلطان ومن والي ومن حاكم لتكون بيده السلطة وكل الصالحيات لرد معلم الدين ولإقامة الإصلاح ولكي يأمن المظلوم من العباد وتقام المعطلة من الحدود يدير الأمور ويدبر الشئون وإلا لأنخلل النظام وعمت الفوضى وانتشر الفساد فلم يعد يأمن الناس على دمائهم ولا أعراضهم ولا أموالهم.

إن الحكم والحاكم المطلق هو الله سبحانه وتعالى فهو الذي يملك حياتنا ومماتنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ...﴾ وقد اختار ما خلق رسلا وأنبياء حملهم أمانة تبلغ الرسالة كما جعلهم حكامًا يقومون بتنفيذ ما حملهم، ثم أن النبي أي نبي ستجري عليه سنن الله سبحانه وسيموت ولا بد من خليفة بعده ذي مواصفات إلهية حدّدها الرسول لكى يحكم الناس بالعدل ويقوم بالمهام التي أقيمت على عاتقه وقد بين أمير المؤمنين هذه الشروط حيث قال: (وقد علمتم انه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين :

١ - أن لا يكون بخيلا، لماذا يا أمير المؤمنين؟ لكى لا يكون مفرطا في الحرث على الإنفاق في الإصلاح بل يكون نهرا له ولقرابته وبطانته.

٢ - أن لا يكون جاهلا فيضلهم بجهله، يجب أن يكون أعلم الناس بالشريعة لأن وضيفته القيادية تحتم عليه حفظها من جهة وبيانها من جهة أخرى. وبيانها لا يكون إلا على أيدي أعلم الناس فيها لأن ذلك أقرب إلى مراد الله وحكمه مضافا إلى هناك أحكاما مستجدة باستمرار ولا يعرف حكمها على حقيقتها إلا من قبل أعلم الناس وأشدّهم تفهما لروح الشريعة ونصوصها وأقواهم على الوقوف على مطلقات الخطابات وخصوصيتها وعلى محملها ومبينها وعلى سائر ما يتعلق بأصول الإستنباط ومبانيه ومن هنا قال الإمام علي عليه السلام: «ألا وان أحق الناس بهذا الأمر - الخلافة - أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه».

٣ - أن لا يكون جافياً فيقطع الرعية بجفائه. ويالها من صورة معبرة يرسمها أمير المؤمنين للحاكم الجافي (فِيَ عَجَبًا! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لَآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا! فَصَرَّرَهَا فِي حَوْزَةِ خَشْنَاءِ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْسُنُ مَسْهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالْأَعْتَذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبُ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنْيَ النَّاسُ لَعْمَرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِسَاسٍ، وَتَلَوْنٍ وَاعْتِرَاضٍ).

٤ - أن لا يكون ظالماً جاعلاً عباد الله دولاً. بل يجب أن يكون عادلاً عارفاً بالأصول والفروع عاماً بها مجانينا للحرام، لأن الفاسق الحائف يفضل قوم على قوم في العطاء وتقسيم الأموال بلا موجب للتفضيل» والدول بضم الدال هي الأموال، قال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾. وما أجمل وصف أمير المؤمنين في هذا المجال (إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ، نَافِجًا حِضْنِيَّةَ بَيْنَ نَيْلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْصِمُونَ مَالَ اللَّهِ خَصْمَ الْإِبْلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنْ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَّتْ بِهِ بِطْتُهُ).

٥ - أن لا يكون مرتشياً في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع وهي الحدود التي عينها الله.

٦ - أن لا يكون معطلاً للسنة فنهلك الأمة بل يجب أن يكون مؤمناً يعتقد بالشريعة الإسلامية أصولاً وفروعاً، عقائداً وأحكاماً لأن الكافر يحمل الفكرة التي تناقض الإيمان وتخالفه وبهذا يكون خطراً يلحق بالدين والدولة.

ومن هنا وبعد أن عرفنا الشروط التي يجب أن تتوفر في الحاكم كي يصبح حاكماً وقادداً شرعاً يقبله الإسلام نرفض كل القيادات المزيفة التي احتلست الحكم في جنح الظلام دون مؤهلات ولا كفاءات بل هذه القيادات في نظر الإسلام

غاصبة معتدية لا يجوز مساندتها ولا الدخول معها في ظلمها ومن هنا يجب على المجتمعات الإسلامية أن تهين الأجواء لقيادات مؤهلة بكل الكفاءات المطلوبة لأن هذه القيادات المؤهلة هي التي تقلب مفاهيم الناس وثقافاتهم وتحوّلهم إلى أن يكونوا أعضاء صالحين وتحلّب لهم الإستقلال والعزّة وكما يقول المثل «الناس على دين ملوكهم».

هذه القيادات المؤهلة هي التي يرشدنا الإمام زين العابدين في رسالته إلى كيفية التعامل معها وما هو واجبنا نحوها إذ أن الحاكم يتمتع بصلاحيات فصل الخصومة وقطع المنازعات وإعلان الحرب وعقد الصلح والهادنة وببيده أزمة الأمور كلها، إليه تنتهي وعنده تصدر وقد ينطوي في مورد أو يتعرّض في قضية فعل الرعية إرشاده بأيسر الطرق وأسهلها بحيث تخرج عن تبعه ما يلحقها من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عليك أن لا ت تعرض سبيله إلى مستوى اللعنة والشورة والفوبي لآن ذلك يؤدي إلى أن ينال منك وبذلك تعرّضه للعقوبة فيك وتعرض نفسك لنقمته، فلا يجوز الوقوف في وجهه ولا رفض أمره ولا مخالفته في رأيه لأن ذلك يسلبه صلاحية التنفيذ وتسقط هيئته من النفووس ويتمرد عليه كل من يخالفه في هواه ومعتقداته وتوجهه فيجب أن تقدم له النصيحة وعليك إذا رأيت خطأً أن تصلحه فتحاول أن تدلّه عليه وتوقفه على وجهه السليم وغير ذلك.

أما إذا كان خلاف ذلك فوجب فيه قول رسول الله ووجب فيه الجهاد والتضحية بالدماء، قال الإمام الحسين عليه السلام: «أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قال من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفًا لسُنة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعداوة، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول

كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلو المحدود، واستأثروا بالفيء، وأحللوا حرام الله وحرموا حلاله» يعنيبني أمية.





حق سائسٍ بالعلم

أو

حق المعلم

رحلة حقوقية

ينمى إلى ذروة الدين التي قصرت
عنها الأكف وعن إدراكها القدم

حينما كان الإمام زين العابدين عليه السلام في مسجد الجامع بدمشق إبان السببى،
سمع خطيب المسجد يسب علياً والحسن والحسين، التفت إليه قائلاً: «ويحك أىّها
الخاطب اشتريت رضى المخلوق بسخط الخالق فتبواً مقدلك من النار».

مثل هؤلاء العلماء وعاظ السلطانين لا طاعة ولا احترام لهم، ثم ان الإمام زين العابدين عليه السلام صعد المنبر بعد اذن الطاغية يزيد بن معاوية وكان الأخير كارها لذلك، ولم يستجب لرغبة الحضور بالسماح له بارتقاء المنبر حتى قالوا له: وما قدر ما يحسن هذا، فقال لهم: إنه من أهل بيت زقوا العلم زقا لأن صعد المنبر لن ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان»، لكنه بعد ذلك استجاب لهم وطلب من الإمام الاختصار فقال عليه السلام: «إيه الناس اعطينا ستاً وفضلنا بسبعين، أعطينا: العلم، والحلم، والفصاحة، والبلاغة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن مناً النبي

المختار، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا اسد الله واسد رسوله، ومنا سيدة النساء، ومنا سبطا هذه الأمة، ومنا مهديها.

فإن الإمام بدأ خطابه بأن الله سبحانه قد أعطاهم العلم، وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «علموني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب»، وما يجري لعلي يجري للحسن والحسين وهكذا بقية المعصومين من العترة الطاهرة إلى آخرهم وقائمهم ويقول فيهم «هم عيُشُ الْعِلْمَ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُجْزِرُكُمْ حَلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمَ مَنْظَقِهِمْ. لَا يُحَالُفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ. هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ، وَوَلَائِجُ الْإِعْتِصَامِ، يَهْمِ عَادَ الْحَقَّ فِي نِصَابِهِ، وَانْرَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ. عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلًا وِعَالَيَةً وَرِعَاءَيَةً، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةً. فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتُهُ قَلِيلٌ».

هؤلاء هم العلماء ومن استن بستهم وسار بسيرتهم من علماء المسلمين التي يجب طاعتهم واحترامهم والسماع لهم.

هذا الذي علمه رسول الله عليه السلام ألف باب من العلم «يقول من علموني حرفا صرت له عبدا، ويقول أنا عبد من عبيد محمد عليهما السلام، والعبودية هنا بمعنى الطاعة والإنقياد والسمع، لا بمعنى العبادة من دون الله».

وقال زين العابدين في نشر العلم:

كي لا يرى العلم ذو جهل فيفتنا إلى الحسين وأوصى قبله الحسن لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا يرون أقبح ما يأتونه حسنا	إني لا اكتم من علمي جواهره وقد تقدم في هذا أبو حسن فرب جوهر علم لو أبوج به ولأستحل رجال صالحون دمي
---	---

وقال الشيخ المقيد رضوان الله عليه مشيدا بعلوم زين العابدين عليه السلام وقد روى عنه الفقهاء من العلوم ما لا تمحى كثرة، وحفظ عنه من الموعظ والأدعية، وفضائل القرآن، والحلال والحرام، والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء.

ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «أنا وأنت يا علي أبو هذه الأمة» وقال تعالى في حق رسوله: «يُرِيزُ كُلَّهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» هم معلموها ومربيها، فحق على كل متعلم أن يحترم ويسمع معلمه إن كان ناطقا بالحق.

لا زلنا احتبى في حقوق الأئمة والحق الثاني منها وهو «حق السائس بالعلم».

حق سائس بالعلم أو حق المعلم

وَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ فَالْتَّعْظِيمُ لَهُ
وَالتَّوْقِيرُ لِجُلْسِهِ وَحُسْنُ الْاسْتِئْاعِ إِلَيْهِ
وَالإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَالْمُعْوَنَةُ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ فِيهَا لَا
غِنَى بِكَ عَنْهُ مِنْ الْعِلْمِ بَأْنَ تُفَرِّغَ لَهُ عَقْلَكَ
وَتُخْضِرَهُ فَهَمَكَ وَتُزَكِّيَ لَهُ قَلْبَكَ وَتُجْلِي لَهُ
بَصَرَكَ بِتَرَكِ اللَّذَاتِ وَنَقْصِ الشَّهَوَاتِ، وَأَنْ
تَعْلَمَ أَنَّكَ فِيهَا أَلْقَى إِلَيْكَ رَسُولُهُ إِلَى مِنْ
لَقِيَكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهَلِ فَلَزِمَكَ حُسْنُ التَّأْدِيدِ
عَنْهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا تُخْنِهِ فِي تَأْدِيدِ رِسَالَتِهِ وَالْقِيَامِ
بِهَا عَنْهُ إِذَا تَقَدَّمَتَهَا وَأَنْ لَا تُرْفَعَ عَلَيْهِ صَوْتُكَ،
وَلَا تُجِيبَ أَحَدًا يُسَأَّلُهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى يَكُونَ
هُوَ الَّذِي يُجِيبُ، وَلَا تَحْدُثَ فِي مَجْلِسِهِ أَحَدًا،
وَلَا تُغْتَابَ عَنْهُ أَحَدًا، وَأَنْ تُدْفَعَ عَنْهُ إِذَا
ذُكِرَ عَنْكَ بِسُوءٍ، وَأَنْ تُسْتَرِ عِيوبُهُ وَتُظَهِّرَ
مَنَاقِبَهُ، وَلَا تُجَالِسَ لَهُ عَدُوًا وَلَا تَعْادِي لَهُ
وَلِيًّا، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ شَهَدَ لَكَ مَلَائِكَةُ اللهِ
بِأَنَّكَ قَصْدَتَهُ، وَتَعْلَمَتْ عِلْمَهُ اللهُ جَلَّ اسْمَهُ
لَا لِلنَّاسِ وَلَا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ إِلَّا بِاللهِ.

وردت كلمة «علم» ومشتقاتها في القرآن الكريم «٤٨٦» مرة، ولعلها من أكثر الألفاظ تكراراً بعد لفظ الجلالة. ولا يعلم كتاب القرآن الكريم اهتم بالعلم وطلبه وأهله واحترامهم وتكريمهم فقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ﴾.

إن لقب المعلم كبير، ولقد كان الأولون لا يطلقون لقب المعلم إلا على من أحرز اثنين وستين على وفنا (أفلاطون وسocrates والفارابي وابن سينا) وبعضهم يحجب اللقب عن أفلاطون وابن سينا لعدم توفره فيهما.

المعلم أكرم به رجالاً عظيماء فك عقال الجهل بالعلم وفجر عقريات الرجال بما أعطى وقدم، انه إنسان ذو رسالة تمتاز بالعطاء والبذل انه شمعة انارت الطريق للسالكين، ذابت من اجل وصوتهم إلى الحقيقة وشاطئ السلام، إنسان ارتفع عن الأنانيات وحب الذات ليعيش من اجل الآخرين، من اجل أن يفتح قلوبهم ويحمل عماهم ويرفع مستوىهم، إنسان في كل حرف من ابجدياته نداء بالحب وصرخة بالتقدم وثورة للتحرير والإنقاذ، عاش مع الأطفال البراءة والطهر يغدق عليهم من حبه وحنانه ويزرع في نفوسهم الألفة والكبراء وعاش مع الشباب في تطلعاتهم وأمامهم يدفعهم نحو الأمجاد العظيمة والفتوحات الكبيرة في كل مجالات العلم والأدب والأخلاق والمدنيات والحضارات، عاش في المدرسة معلمًا ناجحاً تمعن بسلامة الرؤية وحسن النية والعمل المخلص والجهاد المشرّم^(١).

المعلم مع تلامذته أب رحيم وأم حنون يدخل إلى نفوسهم فيظهرها من الرذائل والنقائص ويكملاها بالفضائل والمحاسن، يترك تلامذته في أوقات عطلاتهم ولكنه يبقى يفكر فيهم وفيما يصلحهم، انه إنسان فوق الناس يستحق الإحترام والتقدير من كل الناس وخصوصاً من أحسن إليهم وأكرمهم وعلمهم وهذب نفوسهم.

قال أمير الشعراء «شوقي»:

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا

(١) رسالة الحقوق «عباس الموسوي» - حق المعلم.

يبني وينشئ أنفساً وعقولاً
علمت بالقلم القرون الأولى
وهديته النور المبين سبيلاً
صدئ الحديد وتارة مصقولاً
وابن البتول فعلم الإنجيلا
فسقى الحديث وناول التنزيلا
روح العدالة في الشباب ضئيلاً
جاءت على يده البصائر حولاً
ومن الغرور فسمه التضليلا
فأقام عليهم مائماً وعوياً

أعلمت أشرف أو أجل من الذي
سبحانك اللهم خير معلم
أخرجت هذا العقل من ظلماته
وطبعته بيد المعلم تارة
ارسلت بالتوراة موسى مرشداً
وبحرت بنبوع البيان محمداً
وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى
وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة
وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم

ويقول السيد محمد جمال الهاشمي :

أيها الأستاذ في مدرجك النشئ تسلق
فحناناً كم فؤاد.... حول توجيهك قد رق
قد نشرت البذر في التربة فأمتد وأرق
قائد يزحف من آرائه في ألف فيلق
خالق الأمة والأمة من روحك تخلق
 بإسمك المحبوب من روحك بالشعر تأنق

أجل المعلم أب روحى يعطينا غذاء روحياً فكريياً ثميناً، فيجب تعظيمه وتقديره
واحترامه والتعاون معه في سبيل التعليم، لأن التعليم عملية تعاون بين المعلم
والتعلم فيجب على المتعلم أن يحسن الإصغاء والإستماع والإقبال على المعلم بكل
نفسه، ففي ذلك تعظيم وتقدير وإجلال لمقام المعلم و شأنه.

ويضيف الإمام السجاد عليه السلام إلى ذلك كله أن نؤدي عن المعلم فنحسن الأداء،
ولا ننقص ولا نزيد على ما قال «ولا تَخْنُهُ فِي تَأْدِيَةِ رِسَالَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهَا عَنْهُ إِذَا تَقَلَّدَتْهُ».

ويزيد ﷺ بالتعظيم والتوقير أن تكون عند معلمك كما تكون بين يدي أبويك. يجب عليك أن لا ترفع فوق صوته وأن تدفع عنه كل ما يمسه بسوء في حال حضوره وغيبته، وأن تظهر ما تعرف له من فضل، وتنشر بين الناس ما لمست منه من معروف، وأن تخفي عن الناس ما اطلعت على بعض مكنوناته مما لا يحسن أن يطلع عليها أحد»، وبديهي أن للمعلم شأنًا عظيمًا، ومقامًا محمودًا في المجتمع الذي يقدر مهمة التعليم حق رعايتها.

وسائل الإسكندر : ما بالك توفر معلمك أكثر من والدك ؟ فقال: «لأن المعلم سبب لحياني الباقيه ووالدي سبب لحياتي الفانية».

وما كان سقراط إلا معلمًا علم تلاميذه المبادئ الطيبة حتى عزموا على أن يضحووا بحياتهم من أجل تخلصه من حكم الإعدام الصادرة بحقه، لكنه أبي وما في سبيل الواجب ورعاية القانون، فعلم الناس بمorte حب الموت من أجل المحافظة على النظام. وكذلك «أرسطو» و«أفلاطون» و«فيتاغورس» و«ارخميدس» و«أقليدس» وغيرهم من الحكماء الذين كانوا معلمين، هذبوا اليونان القديم وكونوا له مدينة هي أساس حضارات الأمم التي لا نزال نشاهد آثارها وعظمتها إلى اليوم.

المعلم في نظر الإسلام له حقوق كثيرة وخصوصا على طلابه وتلامذته.

كيف يجب أن يكون التلميذ أمام أستاذه في مدرسته ؟ وفي خارجه ؟ في حضوره وفي غيابه ؟ كيف يخاطبه ؟ كيف يستفهم منه ؟ كيف يعامله ؟

إن المعلم قدوة وصاحب فضل يجب توقيره وتعظيمه كما يقول الإمام زين العابدين في رسالته وقد كان أمير المؤمنين ﷺ يقول: إن من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال ولا تأخذ بثوبه وإذا دخلت عليه وعنه قوم فسلم عليهم وخصه بالتحية دونهم واجلس بين يديه ولا تحبس خلفه ولا تغمز عينيك ولا تشر بيده ولا تكثر من القول: قال فلان وقال فلان خلافا لقوله ولا تضجر بطول صحبه.

وقد ذكر عدد من العلماء جملة من الآداب المختصة بالتعلم مع أستاذه ومعلمه، ومنهم الشيخ الشهيد الثاني في كتابه «منية المرید في آداب المفید والمستفید» وقد ذكر

- أربعين أمرا من آداب المتعلم ونحن هنا نذكر بعضا منها بإختصار.
- وهو أهمها: أن يقدم النظر فمن يأخذ عنه العلم ويكتسب حسن الأخلاق والأداب، فليختر من كملت أهليته وظهرت ديانته وتحقق معرفته وعرفت عفته واشتهرت صيانته وسيادته وظهرت مرونته.
 - أن يعتقد في شيخه أستاذه انه الأب الحقيقي والوالد الروحاني وهو أعظم من الوالد الجسmani فيبالغ بعد الأب في حقه.
 - أن ينظر بعين الاحترام والإجلال والإكرام ويضرب صفحات عن عيوبه فان ذلك اقرب إلى انتفاعه به ورسوخ ما يسمعه منه في ذهنه.
 - أن يتواضع له زيادة على ما أمر به من التواضع للعلماء وأن التشمر في خدمته شرف وقد قال النبي ﷺ من علم أحدا مسألة ملك رقه قيل: أيبيعه ويشتريه؟ قال: يأمره وينهاه.
 - أن يجلس بين يديه جلسة الأدب بسكون وخصوص واطراق رأس وتواضع وخشوع.
 - أن يصغي إلى الشيخ «المعلم» ناظرا إليه ويقبل بكليته عليه متعقلا لقوله بحيث لا يحوجه إلى إعادة الكلام وهذا ما أشار إليه الإمام زين العابدين بقوله «وحسن الاستماع إليه والإقبال عليه».
 - انه لا ينبغي «للطالب» أن يكرر سؤال ما يعلم ولا استفهم ما يفهمه، كما ذكر الشيخ النراقي في كتابه جامع السعادات الجزء الأول في باب آداب التعلم والتعليم ثمانية أمور من الآداب ومنها:
 - أن يعمل «الطالب» بما يفهم ويعلم فإن من عمل بما يعلم ورثه الله ما لم يعلم. قال الصادق عليه السلام «العلم مقرون إلى العمل، من علم عمل ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه» وعن السجاد عليه السلام: «مكتوب في الأنجليل لا طلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعلموا بما عملتم، فإن العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا ولم يزدهه من الله الا بعده».

- أن يحافظ شرائط الخصوص والأدب للمعلم، ولا يرد عليه شيئاً بالمواجهة، ويكون محبًا له بقلبه، ولا ينسى حقوقه، لأنَّه والده المعنوي الروحاني، وهو أعظم الآباء الثلاثة. قال الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ: «اطلبو العلم وتزینوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا من تعلمنه العلم، وتواضعوا من طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحكمكم».

وقال الغزالى: «اعلم أنَّ للإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال، إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسباً، وحال ادخار فيكون غنياً عن السؤال، وحال إنفاق على نفسه فيكون متتفعاً، وحال بذل لغيره فيكون سخياً متفضلاً، وهي أشرف أحواله. فكذلك العلم يقتني كما يقتني المال: فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يعني عن السؤال، وحال استبصر وهو التفكير في الحصول والتتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال».

فمن علم وعمل وعلم فهو يدعى عظيماً، فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها، وكالمشك يطيب غيره وهو طيب.

والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن التعلم وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحرق كما قيل:

ما هو إلا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحرق

إن علماءنا تمعنوا بأخلاق وأداب هي في قمة الكمال كطلاب متعلمين وكأساتذة معلمين، إنها تعاليم الإسلام العظيم الذي يدخل إلى القلب والروح فيقلب الموازين ويصوغ الرجال صياغة ربانية تتجسد في كل حركة وخطرة قلب وفي كل هاجس وضمير ورفة عين يرسمها لنا ويبينها لنا سيدنا زين العابدين في تعاليمه تلك راجين من كل متعلم ومعلم الأخذ بها وتطبيقاتها، نسأل المولى أن يمن علينا بمراجعة تراثنا وأدابنا وأخلاقنا وتعاليمنا حتى نجسدها من جديد ونطبق مدليلها كما هي وبالله التوفيق.



حق المالك

رحلة حقوقيّة

ما ذا تقولون ان قال النبي لكم
ما ذا صنعتم وانتم آخر الأمم
بعترتي وبأهل بيتي بعد منقلبي
منهم اساري ومنهم ضرروا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم
خلفتموني بسوء في ذوي رحمي

كان الرق نظاماً متّبعاً قبل الإسلام وجاء الإسلام لعلاجه واجتثاثه ﴿فَلَا اقْتَحِمُ
الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُرَبَّةٌ﴾، كما أنه كان نتيجة طبيعية للفتوحات
الإسلامية ووقوع الآلاف من أبناء البلدان المفتوحة أسرى بأيدي المسلمين، الأمر
الذي لا بد منه لمساومة حكام البلدان الأخرى على تحرير أسرى المسلمين... فضلاً
عن كونه حالة طبيعية في الوسط الاجتماعي آنذاك.

ولما كان هؤلاء العبيد يشكّلون شريحة إجتماعية مهمّة يُنظر إليها نظرة إزدراء
ودونية طبعاً، وكان معظمهم لا يستطيع التمرد على سيده بحكم النظام الإجتماعي
القائم، ولا يجد بدّاً من العمل معه أوله مقابل لقيمات يسدّ بها رمقه، أو أمان يحفظ له
حياته، من خلال إنتمائه لهذا البيت أو هذا الرجل، كان على الإمام زين العابدين أن

يتعامل مع الظاهرة من موقع المسؤولية، إذ عليه أولاً أن يعاملهم كبشر لا يختلفون عن غيرهم في طموحاتهم وتطلعاتهم وأماهم، وأيضاً في تطلعاته هو عليه لكتابه لكسب ودّهم وتربيتهم وزرع القيم الرسالية في نفوسهم.

وحيث كان الواحد من هؤلاء يخاطب بكلمة «يا عبدي ويَا أَمْتِي» كان عليه يخاطبهم «يا فتاي ويَا فتاتِي»؛ إذ كان يرى فيهم رصيداً اجتماعياً مؤثراً النشر الإسلام وقيمه وتعاليمه.

لا زلنا في حقوق الأئمة وحق السائس بالملك

حق سائسك بالملك

وَأَمَّا حُقُّ سَائِسِكَ بِالْمَلْكِ فَنَحْوُ مِنْ سَائِسِكَ
بِالسُّلْطَانِ إِلَّا أَنَّ هَذَا يَمْلِكُ مَا لَا يَمْلِكُهُ
ذَاكَ، تَلْزُمُكَ طَاعَتُهُ فِيمَا دَقَّ وَجَلَّ مِنْكَ إِلَّا
أَنْ تُخْرِجَكَ مِنْ وُجُوبِ حَقِّ اللَّهِ، وَيَحُولَ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ حَقِّهِ وَحُقُوقِ الْخَلْقِ، فَإِذَا قَضَيْتَهُ
رَجَعْتَ إِلَى حَقِّهِ فَتَشَاغَلْتَ بِهِ. وَلَا فُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ.

لقد نظر الإمام العظيم إلى الملك نظرة مستمدّة من جوهر الإسلام وواقعه، فالمملوك كالحر قد صنعه الله، وخلق له السمع والبصر، وأجرى له الرزق، كما صنع ذلك للحر، وليس للملك أن يتجرّأ أو يتکبر عليه، وليس له أن يرهقه، أو يحمله فوق طاقته، وإنما عليه أن يعامله بالحسنى، فيطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، وينظر إليه كما ينظر إلى أفراد عائلته، وبهذا فقد حفظ الإسلام للرق مكانته، ونفي عنه كل منقصة أو حزارة.

ما هي سياسة الإسلام ورجال الإسلام وممثليه تجاه ظاهرة الرق والإستعباد،

هذا ما سنحاول أن نسلط الضوء عليه من خلال الأمثلة والتطبيقات الحية لا كما يتصدق به الغرب حاضراً ومن يؤيدونه في ذلك.

سير الاستعباد في التاريخ:

سنة الرق والاستعباد ربما كانت مجهلة من حيث تاريخ شيوعها في المجتمع الإنساني لكن أكثر الرقيق كانوا مأخوذين في أول الأمر بالقتال والتغلب ثم يلحق به الأولاد والنساء، ولذلك نعثر في تاريخ الأمم القوية الحربية من القصص والحكايات وكذا القوانين والأحكام المربوطة بالاسترقاق بالسيبي على مالا يوجد في غيرهم.

وقد كان دائراً بين الأمم المتقدمة كالهند واليونان والرومان وإيران، وبين المليين كاليهود والنصارى على ما يستفاد من التوراة والإنجيل حتى ظهور الإسلام فأنفذه أصله مع تضييق في دائرته وإصلاح لأحكامه المقررة، ثم آل الأمر إلى أن قرر مؤتمر بروسل إلغاء الاستعباد سنة ١٨٩٠ م.

قال «فردينان توتل» في معجمه لأعلام الشرق والغرب:

كان الرق شائعاً عند الأقدمين، وكان الرقيق يؤخذ من أسرى وسبايا الحرب ومن الشعوب المغلوبة، كان للرق نظام معروف عند اليهود واليونان والرومان والعرب في الجاهلية والإسلام.

وقد أُلغي نظام الرق تدريجياً: في الهند (١٨٤٣م) وفي المستعمرات الفرنسية (١٨٤٨م) وفي الولايات المتحدة بعد حرب الانفصال (١٨٦٥م) وفي البرازيل (١٨٨٨م) إلى أن اتخذ مؤتمر بروسل قراراً بإلغاء الاستعباد (١٨٩٠) غير أنه لا يزال موجوداً فعلاً بين بعض القبائل في أفريقيا وآسيا.

ومبدأ إلغاء الرق هو تساوي البشر بالحقوق والواجبات.

وسننقسم بحثنا هذا في ثلاثة فصول الأول في أسباب حصول الرق والإستعباد،

ثانياً سياسة معاملة الأرقاء، وأخيراً سياسة سبل إعتاقهم، ولن نتطرق في بحثنا عن المقارنة بين معاملة الأرقاء بين مختلف الأمم حتى لا نطيل الحديث.

أولاً: أسباب الرق:

قسم الإسلام الاستعباد بحسب أسبابه، إلى ثلاثة: الحرب، والتغلب والولاية كالأبوة ونحوها فألغى سبيلاً من الثلاثة من أصله وهم التغلب والولاية. فاعتبر احترام الناس شرعاً سواءً من ملك ورعيه وحاكم ومحكوم وأمير وجندى ومخذوم وخادم بإلغاء الامتيازات والاختصاصات الحيوية، والتسوية بين الأفراد في حرمة نفوسهم وأعراضهم وأموالهم، والاعتناء بشعورهم وإرادتهم - وهو الاختيار التام في حدود الحقوق المحترمة - وأعماهم وما اكتسبوا وهو تسلطهم على أموالهم ومنافع وجودهم من الأفعال فليس لولي الأمر في الإسلام إلا الولاية على الناس في إجراء الحدود والأحكام وفي أطراف المصالح العامة العائدة على المجتمع الديني، وأما ما تستهيه نفسه وما يستحبه حياته الفردية فهو لأحد الناس لا يختص من بينهم بخاصية، ولا ينفذ أمره في الكثير مما يهوه لنفسه ولا في القليل، يرتفع بذلك الاسترقاق التغليبي بارتفاع موضوعه.

وعدل ولاية الآباء لأبنائهم فلهم حق الحضانة والحفظ وعليهم حق التربية والتعليم وحفظ أموالهم ما داموا محجورين بالصغر فإذا بلغوا بالرشد فهم وأباؤهم سواء في الحقوق الإجتماعية الدينية، وهم أحرار في حياتهم، لهم الخيرة فيما رضوا لأنفسهم نعم أكدت التوصية لأبائهم عليهم بإحسان ومراعاة حرمة التربية.^(١)

وأما النساء فقد وضع لهن من المكانة في المجتمع واعتبر لهن من الزينة الاجتماعية ما لا يجوز عند العقل السليم التخطي عنه ولو بخطوة، فصرن بذلك أحد شقي المجتمع الإنساني وقد كن في الدنيا محرومات من ذلك، وأُعطيهن الحرية والإختيار في الزواج وتملك المال وقد كن محرومات أو غير مستقلات في ذلك.

(١) المصدر تفسير الميزان ج ٦.

وشاركن الرجال في أمور واختصصن بهن بأمور أخرى واختص الرجال بأمور كأمر النفقة وحضور معارك القتال ونحو ذلك، كل ذلك عن مراعاة تامة لقوام وجودهن وتركيب بنانهن.

وقد ورد ذلك كله تفصيلاً في أواخر سورة البقرة وفي أوائل سورة النساء وتبيّن أن النساء مختصات في الإسلام بمزيد من الرفق من قبل الرجال بما لا يوجد نحوه في سائر السنن الإجتماعية قديمها وحديثها.

وقد أبقى الإسلام السبب الثالث من الأسباب الثلاثة للاستعباد أعني الحرب، وهو أن يسي比 الكافر المحارب لله ورسوله والمؤمنين، وأما اقتتال المؤمنين بعضهم مع بعض فلا سبب فيه ولا استعباد بل يقاتل الباغي من الطائفتين حتى ينقاد لأمر الله قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوهَا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوهَا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنْفَعَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوهَا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَجُوهُ فَأَصْلِحُوهَا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ الحجرات: ٩ - ١٠ . وذلك أن العدو المحارب الذي لا هم له إلا أن يفني الإنسانية ويهلك الحمر والنسل لا ترتاب الفطرة الإنسانية أدنى ريب في أنه يجب أن لا يعد جزء من المجتمع الإنساني الذي له التمتع بمزايا الحياة والتنوع بحقوق الاجتماع، وأنه يجب دفعه بالإففاء فما دونه، وعلى ذلك جرت سنةبني آدم منذ عمروا في الأرض إلى يومنا هذا وعلى ذلك ستجري.

والإسلام لما وضع بنية المجتمع الدينية على أساس التوحيد وحكومة الدين الإسلامي ألغى جزئية كل مستنكف عن التوحيد وحكومة الدين من المجتمع الإنساني إلا مع ذمة أو عهد فكان الخارج عن الدين وحكومته وعهده خارجاً عن المجتمع الإنساني لا يعامل معه إلا معاملة غير الإنسان، وللإنسان - في هذه الحالة - أن يحرمه عن أي نعمة يتمتع بها الإنسان في حياته، ويدفعه بتطهير الأرض من

رجس استكباره وإفساده فهو مسلوب الحرمة عن نفسه وعمله ونتائج أي مسعى من مساعيه، فللجيش الإسلامي أن يتخذ أسرى ويستبعد عند الغلبة.

ما هو السبيل إلى الاستعباد في الإسلام؟

يتأهب المسلمون على من يلوهم من الكفار فيتمون عليهم الحجة ويدعونهم إلى كلمة الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والتي هي أحسن فإن أجابوا فإن خوان في الدين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وإن أبوا إلا الرد فإن كانوا أهل كتاب وقبلوا الجزية تركوا وهم على ذمتهم، وإن أخذوا اعهداً كانوا كأهل كتاب وفي بعدهم، وإن لم يكن شيء من ذلك أو ذنوا على سواء وقوتوا.

يقتل منهم من شهر سيفاً ودخل المعركة، ولا يقتل منهم من ألقى السلام، ولا يقتل منهم المستضعفون من الرجال والنساء والولدان، ولا يبيتون ولا يغتالون، ولا يقطع عنهم الماء، ولا يذبون ولا يمثل بهم فيقاتلون حتى لا تكون فتنة ويكون الدين الله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين.

فإذا غلبوهم ووضعت الحرب أوزارها فما تسلط عليه المسلمون من نفوسهم وأموالهم فهو لهم، وقد اشتمل تاريخ حروب رسول الله ﷺ ومعازيه على صحائف غير ملوعة من السيرة العادلة الجميلة، فيها لطائف الفتوة والمرورة، وطرائف البر والإحسان.

ثانياً: سياسة معاملة الأرقاء:

ما هي سيرة الإسلام في العبيد والإماء؟ إذا استقرت العبودية على من استقرت عليه صار ملك يمين، منافع عمله لغيره ونفقته على مولاه، وقد وصى الإسلام أن يعامل المولى مع عبده معاملة الواحد من أهله وهو منهم فيساوهم في لوازم الحياة وحوائجها، وقد كان رسول الله ﷺ يؤكل عبيده وخدمه ويجالسهم، ولا يؤثر نفسه عليهم في مأكل ولا ملبس ونحوهما. وأن لا يشق عليهم ولا يذبوا ولا يسبوا ولا يظلموا، وأجيز أن يتزوجوا فيما بينهم بإذن أهلهما، وأن يتزوج بهم الأحرار، وأن

يشاركونهم في الشهادات، ويساهمون في الأعمال حال الرق وبعد الإنعماق.

وقد بلغ من رفق الإسلام في حقهم أن شاركوا الأحرار في عامة الأمور، وقد قلد جمّعاً منهم الولاية والإمارة وقيادة الجيش على ما يضبوه تاريخ صدر الإسلام، ويوجد بين الصحابة الكبار عدة من الموالي كسلمان وبلال وغيرهما. وهذا رسول الله ﷺ اعتق جاريته صفية بنت حبي بن أخطب وتزوج بها، وتزوج جويرية بنت الحارث بعد وقعةبني المصطلق وقد كانت بين سباياهم، وصار ذلك سبباً لانعماق الجميع.

ومن الضروري من سيرة الإسلام أنه يقدم العبد المتلقى على المولى الحر الفاسق، وأنه يبيع للعبد أن يمتلك المال ويتمتع بكلّة مزايا الحياة بإذن من أهله، هذا إجمالاً من صنيع الإسلام فيهم.

ثم أكد الوصيّة وندب أجل الندب إلى تحرير رقبتهم، وإخراجهم من ظرف الاستعباد إلى جو الحرية ولا يزال يقل بذلك عددهم ويتبادل جمعهم موالي وأحراراً لوجه الله، ولم يقنع بذلك دون أن جعل تحرير الرقبة أحد خصال الكفارات مثل كفارة القتل وكفارة الإفطار، وكفارة الظهار وما شابه ذلك، وأجاز لهم الاشتراط والكتابة والتديير، كل ذلك عناء بهم وقصدًا إلى تخليصهم وإلحاقة لهم بالمجتمع الإنساني الصالح إلحاقاً تاماً يقطع دابر الاستدلال.

بناءً على ما سبق كان رأي الإمام زين العابدين أن يتعامل مع الضاهرة وفق الأسس التالية:

- 1- التأكيد على قيم الإسلام في نظرته إلى البشر بأنهم جيغاً لآدم وآدم من تراب، «يا أئيّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» وأن: «الناس سواسية كأسنان المشط» وأنه «لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتفوي» و«لا فضل لابن البيضاء على ابن السوداء إلا بالحق» وأن «الناس صنفان : إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»، وبالتالي فإنّ على الإمام عليه السلام تجسيد هذه المثل النبيلة

في التعامل مع أولئك العبيد ورعايتهم وتربيتهم وأخيراً تحريرهم، أي عتقهم، وبثّهم في ربوع العالم الإسلامي لأداء الأمانة وتبلغ الرسالة.

٢- تربية المسلمين وحثّهم على إنهاء هذه الظاهرة غير المدوحة عبر تشجيعهم على شراء العبيد وعتقهم، وكل ذلك بعد تأكيده على عدم التعالي عليهم ومعاملتهم معاملة إنسانية، أي بآدمية ورفق كما هو شأن القيم الإسلامية في النظر إلى الضعيف أو المستضعف ممّن لا مال لديه ولا أهل ولا عشيرة.

٣- السعي إلى زجّ هؤلاء العبيد في المجتمع من خلال تبنيّهم ورعايّة شؤونهم واحتضانهم واجتثاث عقدة النقص من نفوسهم، وكذلك اجتثاث جذور الفوقيّة والعرقية من نفوس أسيادهم بغية استئثار المؤهليّين منهم في الوسط الاجتماعيّ كقادة ومربيّين ومبلغين، فضلاً عن هدف الإمام العظيم لمواجهة الحالة العنصرية التي أوجّدتها السياسة الأموية في التفريق بين العرب والموالي أو تفضيل العرب على غيرهم، باعتبارهم (مادة الإسلام) كما زعموا، أو زعم بعضهم.

وهكذا فقد أوجد الإمام السجاد عليه السلام تشكيلاً أو وجوداً اجتماعياً مؤثراً، كان يحترم الإمام وي يكن له كل ألوان التقدير والإعتزاز والحبّ، وخاصة حين تأتي تفاصيل تلك المعاملة الأخوية من السموّ والمثالية ما بقي يُذكر على امتداد الدهور والأزمان.

ثالثاً: وأخيراً سبل تحرير الأرقاء:

تحصل مما مرّ أمرور ثلاث:

الأول: أن الإسلام لم يأْل جهداً في إلغاء أسباب الاستعباد وتقليلها وتضييفها مع أنه أكد جواز استعباد كل إنسان محارب للدين مضاد للمجتمع الإنساني غير خاضع للحق بوجه من وجوه الخصوص.

الثاني: استعمل جميع الوسائل الممكنة في إكرام - العبيد والإماء - وتقريب شؤونهم الحياتية حتى صاروا جزءاً من المجتمع وصار لا فرق بين الحر والعبد في الإسلام إلا إذن المولى في العبد.

الثالث: عمل بكل الوسائل على إلحاق صنف الماليك إلى مجتمع الأحرار بالترغيب والتحريض في موارد، وبالفرض والإيجاب في أخرى كالكافارات مثل كفارة الإفطار وقتل الخطأ وكفارة الظهار وكفارة نذر العتق وكفارة غفران حث الحلف بالله وغيرها.

وربما يتساءل بعض الناس، لماذا لم يكن المسلمون هم البداؤن بإلغاء الرق؟
بأنه اذا كان هذا هو موقف الإسلام من الرق بإعلان إبطال الرق وإلغائه في العالم؟

أن هذه الجهود المبذولة من المسلمين طوال ثلات عشرة قرناً وجل القرن الحالي في تحرير العبيد والإماء والمحاولات الجدية للقضاء على الرق بالفعل لا بالقول، لم يكن للمسلمين حاجة إلى إعلان هذا القرار، ولا سيما والشناعة التي كانت تلازم الاسترقاق في العالم القديم وببلاد أوروبا وأمريكا في العهود الأخيرة، بما يصحبه من سوء المعاملة والقوانين الجائرة وعد الرقيق آلات مسخرة لأسيادهم لم يكن لها وجود في عالم الإسلام بتاتاً. وليس أدل على ذلك من شهادة الأجانب انفسهم فقد قال (جوستاف لوبيون) في كتابه حضارة العرب: (أن الرق عند المسلمين غيره عند النصارى فيما مضى، وأن حال الأرقاء في الشرق أفضل من حال الخدم في أوروبا، فالأرقاء في الشرق يؤلفون جزءاً من الأسرة، ويستطيعون الزواج ببنات سادتهم أحياناً، ويقدرون أن يتسلّموا أعلى الرتب. وفي الشرق لا يرون في الرقيق عاراً، والرقيق فيه أكثر صلة بسيده من صلة الأجير في بلادنا).

ثم نقل عن بعض الكتاب الأوروبيين فقرة تبين ما قاله من كون الرق لا يعد في الشرق عاراً جاء فيها ما يلي: (ولا يكاد المسلمون ينظرون إلى الرق بعين الاحتقار، فأمهات سلاطين آل عثمان. وهم زعماء الإسلام المحترمون. من الإماء فلا يرون في ذلك ما يحبط قدرهم). ونقل عن كاتب آخر: إن الأرقاء في المشرق الإسلامي ربما فضلوا البقاء على حالة الرق لأنهم مع الحرية المنوحة لهم يرون إن المصاعب التي تواجههم فيما إذا ملكوا أنفسهم تجعلهم أقل سعادة وأشقى حال.

ولا يخفى عليكم أن هذه المعاملة الحسنة التي كان الرقيق يحظون بها في البلاد

الإسلامية هي من أثر استيصاء النبي ﷺ بهم خيراً، وحضر المسلمين على الرفق به ومزيد الرعاية له، كما جاء في الحديث الشريف القائل: (إن هؤلئك خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم مما لا يطيقون، فإذا كلفتموهم فأعینوهم فإنهم لحم ودم مثلكم) وبلغ ما أدب به النبي ﷺ المسلمين في محاسنة الرقيق إنه نهى أن يقول الرجل لمملوكه «عبدي وأمتى» وليرسل «فتاي وفتاتي».

إذن فلا عجب أن يكون المسلمون على هذه الأخلاق العالية في معاملة الرقيق لما كان هناك رقيق، لأنهم ينفذون وصية نبيهم ويطبقون تعاليم دينهم. ولا عجب أيضاً أن يكون موقف الإسلام في الماضي والحاضر على السواء من الرق، هو ما ذكرنا من عدم اعترافه به إلا على سبيل الضرورة المؤقتة، لذلك لما زال سببها كان المسلمون وكانت دولتهم من تلقى قرار مؤتمر بروكسل الدولي بإلغاء الرقيق بالقبول والموافقة، ولم ينشأ عليه أي اعتراض لا من طرف علماء الدين ولا من طرف الجمهور المؤمن والحكومات الإسلامية التي صادقت عليه كانت تعرف أن هذا الأمر هو من مقتضيات الحضارة وتقدم الإنسانية ومن المطالب التي يؤيدها الشّرع الإسلامي، ويرغب فيها أتباعه والناس كافة وكأنها الإسلام والمسلمون كانوا يتظرون بهذا القرار وصدوره من الجهات التي كانت هي المسؤولة في الحقيقة عن قيام الرق واستمراره إلى الوقت الذي ألغى فيه.





حق الرعية بالسلطان

رحلة حقوقية

والنّاسُ بِالْأَمْنِ وَالسُّرُورِ وَلَا
يَأْمُنُ طَوْلَ الزَّمَانِ خَائِفُنَا
يَحْكُمُ فِينَا وَالْحُكْمُ فِيهِ لَنَا
جَاهَدُنَا حَقَّنَا وَغَاصَبُنَا

موقف الإمام زين العابدين من الظالمين:

بعد أن رسخ الإمام السجاد عليه السلام موقعه في قاعده الشعية، وبعد أن عرف إماماً عادلاً ورعاً تقياً، يعرف الدين وحدوده، وأصوله وفروعه، ويقف وجهاً لوجه لمقارعة مختصبي الخلافة والولاية والإمامية من الأمويين وأزلامهم، وحين شعر أنهم سيقتلونه لا حاللة، إثر اتساع قاعده وشهرته وظهور أمره، صار لزاماً عليه أن يُشهر عداه و(يُظهر علمه) في مقارعتهم ومواجهتهم وكشف زيفهم وأحابيلهم، وبكلمة أخرى، يقلص دائرة التقى التي اتسعت له سنين طويلة للإمتداد أفقاً وعمقاً في الوسط الجماهيري، ولم يبق أمامه إلا اقتحام المحظور والتهيب والمسكوت عنه في هذا الوسط المهزوم المغلوب على أمره، المضلل بالخطاب الإعلامي الأموي الموجّه الصاغط.

رأى الإمام عليه السلام أن الخطوة الأولى التي عليه تقدمها رغم وعورتها وخطورتها هو كسر هيبة الحكام الأمويين وتهشيم هالتهم التي صنعواها بشراستهم وفرعونيتهم ودعواهم العريضة بالانتساب إلى الإسلام ونبي الإسلام. فقد روي أن عبد الملك بن مروان كان يطوف بالبيت العتيق، وعلى بن الحسين يطوف أمامه غير ملتفت إليه، أو لا يلتفت إليه. فقال عبد الملك من هذا الذي يطوف بين أيدينا؟ ولا يلتفت إلينا؟ فقيل له: إنه علي بن الحسين. فجلس عبد الملك مكانه غاضباً وقال: ردّوه إلى فردّوه، فقال له: يا علي بن الحسين، إني لست قاتل أبيك! فما يمنعك من السير إلينا؟ فأجابه عليه السلام: «إن قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبي عليه آخرته. فإن أحببت أن تكون هو فكن».

ويبدو من هذه السطور أن الإمام كان مقاطعاً عبد الملك، أو أن مقاطعته ليست مجرد عزلة أو مقاطعة عابرة، وإنما مقصودة ومتعمدة، وتعبر عن موقف سياسي وإعراض متعمد مع سبق الإصرار، ولعلها أظهر أشكال الجihad السياسي واتخاذ الموقف السياسي في حدود المعروف أو المسموح به في ذلك العهد.

كما أن قول عبد الملك (إني لست قاتل أبيك) يتضمن الغلظة ويوحي بالتهديد والتوعيد والإرهاب. فيما كان رد الإمام: «إن أحببت أن تكون هو فكن» يعبر عن تحذّف سافر لسلطة خليفة متجرّب لا يمنعه فعل أي شيء، بما في ذلك القتل وسفك الدم، وفي ذلك دليل قاطع على أن الإمام عليه السلام لم يكن في هذه المرحلة ذلك الوديع المداع، المنعزل عن الدنيا، المشغول بالدعاء والعبادة، البكاء الحزين، وإنما المواجه، المنازل، الشديد، القاطع، المقاطع، المتحدي، العنيف الذي لا يخشى الإرهاب ولا يرهبه استخدام الطغاة عصاهم الغليظة، أو تلوّيهم بهراوات الإهانة أو التصفية أو الموت.

وهكذا كان موقفه عليه السلام مع عبد الملك هذا في قصة سيف رسول الله عليه السلام الموجود عنده، والذي حاول عبد الملك استفزاز الإمام عليه السلام بطلب ذلك السيف أو

استيهابه منه أو أخذه منه، لما فيه من رمزية يمكن أن يوظفها الحاكم الظالم إلى شرعيته المزيفة، فأبى الإمام عليه السلام إعطاء السيف، فكتب إليه عبد الملك يهدّده بأن يقطع رزقه من بيت المال. فأجاب الإمام عليه السلام: «أما بعد.. فإنَّ الله تعالى ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾، ثم قال: فانظر أينما أولى بهذه الآية؟».

ويظهر من رفض الإمام إعطاء السيف، وتوظيفه لهذه الآية الكريمة، قوله: (أينما أولى بها) ! واستصغاره لتهديد الخليفة بقطع رزقه من بيت المال واستهانته بطلبـه، أن القطيعة بالغ حدّها بين الطرفين، وأن المواجهة في أقصاهـا، وأن كلمة الحاجـ الشفـي الذي كتب إلى عبد الملك ما نصـه (إنْ أردتَ أـن يثـبت مـلكـكـ، فـاقـتـل عـلـيـ بنـ الـحسـينـ)، إنـما تـعبـر تـعبـيراً دـقيـقاً -هي الأـخـرى- عن شـدـةـ المـواـجهـةـ وـعـقـمـ الـأـرـمـةـ وـخـطـورـةـ المـوقـفـ.

كان هذا إذن موقف الإمام عليه السلام مع عبد الملك بن مروان أو بعض موافقـهـ، وهـكـذاـ كانـ موـقـفـهـ عـلـيـهـ السلامـ معـ هـشـامـ بنـ عبدـ الملكـ، فيـ قضـيـةـ الحـجـرـ الأـسـودـ المشـهـورـةـ، وكـيفـ أنـ الـأـمـوـيـنـ سـجـنـواـ الفـرـزـدقـ عـلـىـ قـصـيـدةـ شـعـرـيـةـ اـعـتـبـرـوـهـاـ إـهـانـةـ لـقـامـ الـخـلـافـةـ، فـيـماـ سـارـعـ الإـيـامـ السـجـادـ عـلـيـهـ السـلـامـ لـلـاتـصالـ بـالـفـرـزـدقـ وـهـوـ فـيـ السـجـنـ، وـوـصـلـهـ بشـيءـ رـمـزيـ منـ الـمـالـ تعـضـيـداًـ لـهـ عـلـىـ مـوـقـفـهـ، وـمـكـافـأـةـ لـمـوـقـفـهـ الشـجـاعـ ذـاكـ، وـتـعبـيراًـ عـنـ موـاسـاةـ وـاضـحةـ الـمـقـاصـدـ وـالـأـهـدـافـ فـيـ الـعـرـفـ السـيـاسـيـ السـائـدـ.

الموقف من أعوان الظلمة:

إن الطواغيت ليس بإمكانهم الوصول إلى مآربـهمـ إـذـ لمـ يـجـدـواـ أـعـوـانـاًـ لـهـمـ يـعـيـنـوـنـهمـ علىـ ماـ يـقـومـونـ بهـ منـ مـظـالـمـ وـمـآـثـمـ، ولـعـلـّـ منـ السـذـاجـةـ بـمـكـانـ إـلـقاءـ اللـوـمـ عـلـىـ عـاتـقـ شخصـ وـاحـدـ توـضـعـ عـلـىـ شـمـاعـتـهـ كـلـ الجـرـائـمـ وـالـجـنـيـاتـ التـيـ تـرـتكـ بـحـقـ الـأـمـمـ

والشعوب، وإغصاء الطرف عن الدائرة المحيطة به، الملتفة حوله، بدءاً بولاته وقادته العسكريين، مروراً بإعلاميه وأبواقه وفقهائه وواعاظ سلطته، وانتهاءً بهذا المطلب أو ذاك الشاعر اللذين لا ينفكان ينشدان لنظامه الظالم ويروجان له ويخففان جرائمه ويأخذان على أيدي من يحاول التعریض به أو الحديث عن جرائمها.

هذا الخيط الرابط بين الطاغية وبين أعوانه، استطاع الإمام السجاد عليه السلام تشييده بدقة، وتأكيده والطرق عليه، أي إن موالة الجائز تعتبر كبيرة من الكبائر لما تنطوي عليه من تمكين واضح له لدرس الحق وإحياء الباطل وإظهار الظلم والجور، وإبطال الكتب، وقتل الأنبياء والمؤمنين، وهدم المساجد وتبدل السنّة وتغيير شرائع الله وتعاليم دينه، فكانت الخطوة الثانية هي تنبيه الأمة على أنّ أيّ تعامل مع الحكام وأية مساعدة لهم، حتّى في أبسط الأمور وأدنى الأشياء يعتبر تقويةً لحكومتهم، ومشاركةً لهم في جنایاتهم لأنّ تقديم أيّ خدمةٍ لهم وإن كانت ضئيلة جدًا يكون بقدره تمكيناً ومعاضدةً لهم، فراح عليه السلام يؤكّد على لعن (من لاق لهم دواة، أو قطّ لهم قلماً، أو خاط لهم ثوباً، أو ناولهم عصاً)، بل حرم العمل معهم ومعونتهم والكسب معهم. اعتمد الإمام السجاد عليه السلام هذه القاعدة الإسلامية، وجعلها ركيزة مهمة في مقاومة النظام الفاسد، وحاول تحريره من سلاح الوعاظ المحيطين به، أو عصابات المترافقين المتملقين الذين تمرّر السلطة الظالمة مشاريعها من خلال ملتهم وتزلفهم وتلميعهم لإجراءات هذه السلطة لدى العوام والسدّج والبساطة.

وكان الإمام السجاد كثيراً ما يقول: «العامل بالظلم والمعين له، والراضي به شركاء ثلاثة».

وكان عليه السلام يحذر الناس من التورّط في أعمال الظلمة، ولو بتكثير سواتهم والتواجد في مجالسهم ومصاحبتهم، لأنّ الظالم لا يريد من الصالح فعلاً الاستفادة من صلاحه أو الإقتداء به، وإنّما يحاول توريطه في جرائمها وآثامه أو توظيفه لتحقيق

مفاسده ومشاريعه، فكان عليهما يقول «ولا يقول رجل في رجل من الخير مالا يعلم، إلا أَوْشَكَ أَنْ يَقُولَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ مَا لَا يَعْلَمُ، وَلَا اصْطَحِبَ اثْنَانِ عَلَى غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَتَفَرَّقَا عَلَى غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ».

قد يتصور بعض الناس من ذوي المكانة في المجتمع أنَّ اصطحاب أولئك الحكام الظالمين لا يضر شيئاً، وإنما يفيد خدمة أو تقديم خدمة للطرفين : للظالم بتحفيض ظلمه والحدّ من سُعاره، ولأعوان الصالح وأصحابه ليكتفي بهم شره ويدفع عنهم وعن إخوانهم ضرره، وما دروا، أو غاب عنهم، خبث الظالم باستغلال صلاحهم وأسمائهم وسمعتهم في تنفيذ ما لا يرضي الله، وتمريره على البسطاء من الناس والتغريبهم، وربما راحوا يستعملون كلمات الملاطفة والتجليل المقصّ لهذا الظالم أو ذاك، متوجهين أن في بعض ذلك تصحيحاً لتصرّفاته وتقليله هو سه، متناسين براءة الناس وانخداعهم به عبر إسباغ الشرعية على أفعاله من قبل هؤلاء وذلك بالتقرب إليه أو القرب منه، وما يجر ذلك من ارتياح قيم ونسف مقاييس واهتزاز ثوابت ومعايير.

ولعل أكثر مواقف الإمام عليهما السلام وضوحاً في مساعيه لسلخ الوعاظ عن حاشية الحاكم الظالم هو موقفه عليهما السلام من الزهري الذي أكسبه الأمويون شهرة عظيمة، وروجوا له كثيراً، حيث شدد هو والعلماء الصالحون النكير عليه لقربه من بنى أمية والسكوت عن جرائمهم وشناعتهم، وفيها كان هو يبرر صحته لهم بقوله: (أنا شريك في خيرهم دون شرهم). كان العلماء يردون عليه بقولهم: (ألا ترى ما هم فيه فتسكت؟!). فبسكت ولا يغير جواباً.

ومن حوارات الإمام الساخنة مع بعض أعوان الظلمة ردّه على الزهري هذا الذي قال للإمام يوماً: (كان معاوية يُسكته الحلم، وينطقه العلم) !! فقال الإمام: «كذبت يا زهري، كان يُسكته الحصر، وينطقه البطر».

لقد اراد أئمتنا عليهما السلام إفهام الأمة ما على الحكام من حقوق تجاه محاكمتهم من

اعطائهم جميع الحرایات كحریة الرأی والتعبير والعبادة وغيرها، وما يجب على الحکام من حفظ ثروات البلاد والمال العام والإنصاف وغير ذلك.

ومن هنا رأينا الإمام زین العابدین علیه السلام يركز على هذا الأمر وذلك لأهميته. رأيناه يذكر حق السائس بالسلطان في باب حقوق الأئمة ومن ثم حق الرعیة بالسلطان في باب حقوق الرعیة.

أيها الأحبة الكرام لا زالت رحلتنا تشق طريقها وهاهي تطرق أبواب حق الرعیة وهو الباب الرابع من رسالة الحقوق لإمامنا علي الحسين علیه السلام ومع حق الرعیة بالسلطان.

حق الرعیة بالسلطان

فَآمَّا حُقُوقُ رَعِيَّتَكَ بِالسُّلْطَانِ فَآنَ تَعْلَمَ أَنَّكَ إِنَّمَا اسْتَرْعَيْتُهُمْ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَحَلَّهُمْ حَلَّ الرَّعِيَّةِ لَكَ ضَعْفُهُمْ وَذُلُّهُمْ، فَمَا أَوْلَى مَنْ كَفَاكَهُ ضَعْفُهُ وَذُلُّهُ حَتَّى صَرَرَهُ لَكَ رَعِيَّةً وَصَرَرَ حُكْمَكَ عَلَيْهِ نَافِذًا، لَا يَمْتَنِعُ مِنْكَ بِعِزَّةٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا يَسْتَنْصِرُ فِيهَا تَعَاظِمُهُ مِنْكَ إِلَّا بِاللهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْحِيَاةِ وَالْأَنَاءِ وَمَا أَوْلَاكَ إِذَا عَرَفْتَ مَا أَعْطَاكَ اللهُ مِنْ فَضْلٍ هَذِهِ الْعِزَّةُ وَالْقُوَّةُ الَّتِي قَهَرَتْ بِهَا أَنْ تَكُونَ اللَّهُ شَاكِرًا، وَمَنْ شَكَرَ اللَّهُ أَعْطَاهُ فِيهَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

لقد ذم القرآن الكريم الملوك والحكام الظالمين الجائرين الذين إذا دخلوا بلدًا افسدوا فيها بل أكثر من ذلك إذ يجعلون أعزء أهلها أذلة والذين لا يحكمون بها انزل الله

سبحانه وعدهم ظالمين وفاسقين وكافرين، قال سبحانه :

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً وَكَذَّلَكَ يَفْعَلُونَ﴾ (سورة النمل: ٣٤).

وقال في سورة المائدة تباعاً :

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥).

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٧).

لقد ذكر القرآن الكريم طواغيت وحكاما من أمثال فرعون وهامان ونمروذ من جلوسا على كراسي الحكم بالقهر والقوة والغلبة فساموا الناس بالقتل والخسف والتروع بدون رأفة أو رحمة كما ذكر التاريخ طواغيتا من امثال يزيد وابن زياد وما اكثراهم الأن بين ظهرينا يسمون الناس الذل والهوان ويأخذون الناس بالتهمة والظنة دون شفقة حفاظا على عروشهم وكراسيهم.

وللأسف إن هؤلاء الطواغيت يحكمون بإسم الإسلام، والإسلام منهم بريء بل أنهم حكموا ليحاربو الإسلام بمعونة أسيادهم المستعمرين والمستكرين. إن هؤلاء الحكام لا يعترف الإسلام بشرعية حكمهم ولا يسمح للشعب أن يتقييد بما يقولون ويأمرون.

لقد ذكرنا سابقا في حق السائس بالسلطان خصائص الحاكم العادل الذي يجب أن يتصدى لأمور الناس، كالعلم والرفق والتقوى.

إن السلطة والملك عقد بين الشعب والأمة وتوكيل بين المجموع والفرد، الذي انتخبه هذا المجموع انتخابا شعبيا حراليكون راعيا لهم قائما بأماناتهم منفذ الشريعة الله بينهم موفراللحياة السعيدة الحررة الكريمة.

إذ هو ليس شخصاً مقدساً حاكماً بأمره، وليس وارثاً للملك ولا مهيمنا على عقائد الناس وقلوبهم، بل كما أسلفنا هو طرف في عقد ليقوم بـأعمال الوكالة بإسم الشعب.

فعليه إذاً أن:

يكون أباً رحيمًا على رعيته يرعاهم ويتفقد شؤونهم ويعيش آمالهم وأحلامهم ويطلع إلى أشواقهم وأماناتهم فلا يعيش في الأبراج العاجية كبعض الملوك والأمراء في التاريخ الماضي والحاضر اللذين يصرفون أموال الشعب في ملذاتهم.

أين هذا من كلام الإمام علي عليه السلام في عهده للأشرتر «ولا تكونن عليهم - على الرعية - سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ووالى الأمر عليك فوقك، والله فوق من لاك».

أن يكون بين رعاياه عادلاً لا تناول من عدالته مؤثرات الحياة، من هو أو قربى أو مصلحة شخصية، قاعدته الأساسية: ﴿وَلَا يَجِرِّ مَنْكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨). فالعدل هو التقوى وهو شريعة الله وروح الكون.

عليه أن يتصرف بالأنة والتبصر دون الإسراع إلى ما لا تحمد عقباه.

أن يكون شاكراً لأنعم الله، يقول الإمام زين العابدين «أن تكون الله شاكراً ومن شكر الله أعطاه فيها أنعم عليه» إذ عنده من النعم أكبرها وأجلها وهي نعمة السلطة والإمرة فعليه أن يقابلها بالشكر والطاعة والإخلاص في أمر الرعية وتنفيذ مطالبه.

الرفق والصبر على هفوات الشعب، قال رسول الله ﷺ: «ما من عمل أحب إلى الله تعالى وإلى رسوله من الإيمان بالله والرفق بعباده، وما من عمل أبغض إلى الله تعالى من الإشراك بالله تعالى والضغط على عباده».

المشاركة الوجданية بين الراعي والرعية، اذ بها يستطيع الحاكم أن يتعرف على آمال المحكومين والألامهم ومطامحهم، وأن يعي حاجاتهم ومخاوفهم، وذلك بإجراء انتخابات عادلة لعمل برلمان أو مجلس شورى وكذلك المجالس البلدية والنقابات وما شاكلها. وأن يخالط الرعية ويمكن الرعية من مخالطته ومطالعته بما يريدون. وما أروع ما سطره أمير المؤمنين في عهده للأشرت:

«فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاية عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة بعلم الأمور والإحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقع الحسن ويسوء القبيح، ويشب الحق بالباطل».

أن يشرح للشعب ويبين لهم سياسته وخطته ونمجه في الحكم ليؤيدوا حكمه عن قناعة وإيمان ولكي تبقى بينه وبين الشعب وشائع الود وتزال عنهم ظنون الظلم والخيف. قال علي عليه السلام:

«وإن ظنت الرعية بك حيفا فأصحر» أي بين واظهر لهم بعذرتك، وأعدل عنك ظنونهم بإصحابرك، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك، ورفقا برعيلك، وإعذارا تبلغ به حاجاتك من تقويمهم على الحق وإياك بالمن على رعيتك بإحسانك، أو التزييد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، والتزييد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال تعالى: ﴿كُبَرَ مَقْتاً إِنَّ اللَّهَ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

أجل الرعيةأمانة في يد الراعي، يجب عليه القيام بحفظها وحسن التعهد لها

والعمل لصلحتها، فمن ولاه الله شؤون الخلق من ملك وأمير ورئيس وزير، يجب أن يحوطهم بنصحه، يخلص لهم في حكمه، قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد استرعاه الله رعيته، فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة» وقال ﷺ: «ما من وال يلي رعيه من المسلمين، فيماوت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة».





حق الرعية بالعلم

رحلة حقوقية

ينمى الى ذروة الدين التي قصرت
عنها الأكف وعن ادراكها القدم

مكانة الإمام زين العابدين العلمية:

لقد عاش الإمام زين العابدين في المدينة المنورة، حاضرة الإسلام الأولى، ومهد العلوم والعلماء، في وقت كانت تحضن فيه ثلاثة من علماء الصحابة، مع كبار علماء التابعين، فكان بشهادة أكابر أبناء طبقته والتابعين لهم، الأعلم والأفقي والأوثق، بلا ترديد. فقد كان الزهرى يقول : (ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه). لهذا قد كانت مدرسته تعج بكبار أهل العلم من حاضرة العلم الأولى في بلاد الإسلام، يحملون عنه العلم والأدب، وينقلون عنه الحديث ومن بين هؤلاء، كما أحصاهم الذهبي: أبنه أبو جعفر محمد الباقر، والزهرى، وعمرو بن دينار، والحكم ابن عتبة، وزيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد، وأبو الزناد، وعلي بن جدعان، ومسلم البطين، وحبيب بن أبي ثابت، وعاصر بن عبد الله، وعاصر بن عمر ابن قتادة بن النعمان، وأبوه عمر بن قتادة، والقعقاع بن حكيم، وأبو الأسود ديتيم عروة، وهشام بن عروة بن الزبير، وأبو الزبير المكي، وأبو حازم الأعرج، وعبد الله بن مسلم بن

هرمز، ومحمد بن الفرات التميمي، والمنهال بن عمرو، وخلق سواهم، وقد حدّث عنه أبو سلمة وطاووس، وهما من طبقته. وغير هؤلاء رجال من خاصة شيعته من كبار أهل العلم، منهم: أبان بن تغلب، وأبو حمزة الشامي، وغيرهم كثير. وغيرهم من وصف بخلق الكثير أخذوا عن الإمام زين العابدين علوم الشريعة من تفسير القرآن الكريم والعلم بمحكمة ومتشبهه وناسخه ومنسوخه وأحكامه وأدابه، والسنّة النبوية الشريفة روايةً وتدويناً في عصر كانت ما تزال كتابة الحديث فيه تتأثر بما سلف من سياسة المنع من التدوين التي أسست في العصر الأول من الإسلام بعد رسول الله، تلك السياسة التي اخترقها أئمة أهل البيت فكتب عنهم تلامذتهم والرواة عنهم الشيء الكثير من أحكام الشريعة، حلالها وحرامها وأدابها، إلى فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما تأدبوا على يديه في مجالسه بآداب الإسلام التي شحنتها في أدعيته التي اشتهرت وانتشرت في عهده حتى أصبحت شكلًّا لوحدها ظاهرة جديدة في تبني أسلوب روحي متين، ليس لإحياء القلوب وشدها إلى الله وحسب؛ بل إلى إحياء معالم الشريعة وحدودها وأدابها. الأدعية التي حفظ المشهور جداً منها في الصحيفة المعروفة بالصحيفة السجادية نسبة إليه حيث عرف الإمام علي زين العابدين بالسجاد.

مهما شرقنا أو غربنا فلن نجد مدرسة علم احترمت العلم والعلماء كمدرسة محمد ﷺ وأهل بيته لأنهم عدل القرآن بل هم القرآن الناطق. فهم «أهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمُلَائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزَانَ الْعِلْمِ، وَمُتَهَّمَ الْحَلْمِ».

لذلك نجد أن الإمام زين العابدين عليه السلام يولي اهتماماً خاصاً بالعلم والعلماء والتعليم ويدرك حقوقها ضمن رسالته فمرة تحت عنوان «حق سائسك بالعلم»

وأخرى تحت عنوان «حق الرعية بالعلم».

والآن احبي مع الحق الثاني من حقوق الرعية:

حق الرعية بالعلم

«وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتَكَ بِالْعِلْمِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ
قَدْ جَعَلَكَ لُهُمْ فِيهَا آتاكَ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا كَمِنْ
خَرَازَةُ الْحِكْمَةِ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ فِيهَا وَلَا كَمِنْ
مِنْ ذَلِكَ وَقُمْتَ بِهِ لُهُمْ مَقَامَ الْخَازِنِ الشَّفِيقِ
النَّاصِحِ لِسُولَاهُ فِي عَبِيدِهِ، الصَّابِرِ الْمُحْتَسِبِ
الَّذِي إِذَا رَأَى ذَا حَاجَةً أَخْرَجَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
الَّتِي فِي يَدِيهِ كُنْتَ رَاسِدًا، وَكُنْتَ لَذِكْرَ
آمِلًا مُعْتَقِدًا وَإِلَّا كُنْتَ لَهُ خَائِنًا وَلِخَلِقِهِ ظَالِمًا
وَلِسَلْبِهِ وَعِزِّهِ مُتَعَرِّضًا»

علماء الإسلام مكلفوون بمحاربة استغلال واحتكار الظالمين، وبعدم السماح للجوع والحرمان بالتفسيري في أوساط الكثير من أفراد الأمة، بينما يعيش الظلمة والناهبون وأكلوا المال الحرام في نعمة ورفاه. يذكر أمير المؤمنين عليه السلام أن السبب الذي يدعوه إلى قبول الحكم هو الميثاق الذي أخذه الله تعالى على العلماء، من ألا يسكنوا أمام جشع الظالمين ونهبهم، وجوع المظلومين وحرمانهم. يقول عليه السلام: «أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ
الْحَبَّةَ، وَبَرَّ النَّسَمَةَ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخْدَ اللَّهُ
عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَا يُقَارِرُوا عَلَى كِظَةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغِبَ مَظْلُومٌ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا،
وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأسِ أَوَّلِهَا، وَلَا لَقِيتُمْ دُبِيَّكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ!».

كيف نستطيع أن نبقى ساكتين اليوم ونحن نرى حال الأمة اليوم وما فيها من

التمزق والتشرد بسبب الظلمة والجائزين.

إن وظيفة علماء الإسلام وجميع الأحرار هي: أن ينهوا هذا الوضع الظالم، وأن يسعوا في هذا السبيل الذي هو سبيل إسعاد مئات الملايين من البشر في إقامة الحكومات العادلة.

إن وظيفة علماء الإسلام كبيرة، ومهامهم عظيمة، منها نصرة المظلوم، كما قال إمام المتقيين يصف هذه المهام:

وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمُهُ، يَصُونُونَ مَصْوَنَهُ، وَيَفْجُرُونَ عُيُونَهُ،
يَتَوَاصَّلُونَ بِالْوَلَايَةِ، وَيَتَلَاقُونَ بِالْمُحَبَّةِ، وَيَتَسَاقُونَ بِكَأسِ رَوْبَةِ، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةَ،
لَا تُشُوِّهُمُ الرِّبَّيَّةُ، وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغَيَّةُ. عَلَى ذَلِكَ عَقْدَ حَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، فَعَلَيْهِ
يَتَحَبَّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصَّلُونَ، فَكَانُوا كَفَافَاتِ الْبَذْرِ يُتَقَىَ، فَيُوَخَّذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّرَهُ
التَّخْلِيقُ، وَهَذَبَهُ التَّمْحِيقُ.

لقد ذكرنا في حق السائس بالعلم كيف هو اهتمام الإسلام بالعلم والتعليم واشرنا هناك بأن مفردة علم ومشتقاتها من أكثر الألفاظ وروداً في القرآن الكريم بعد لفظ الجلالة بحيث وردة على ما يقارب الـ «٤٨٦» مرة.

ويكفي أن أول كلمة نزلت من القرآن على قلب رسول الله ﷺ تأمر الإنسان بالتعلم هي **﴿اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَىٰ * اَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ * الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنِ * عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾** (العلق ١: ٥-٩).

وقال سبحانه **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ اُولُوا الْأَلْبَابِ﴾** (الزمر: ٩).

ومن السنة ما لا يخصى ذكره ومنها:

قول رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ألا وان الله

يحب بغاة العلم».

ويقول الإمام الصادق ع: «لوددت ان اصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا».

وعن أبي عبد الله ع: «إذا اراد الله بعد خيرا فقهه في الدين».

وعن الإمام الباقر ع: «عالم يتتفع بعلمه، أفضل من سبعين ألف عابد».

على ان القرآن الكريم والسنّة الشريعة لا تقتصران على تعلم العلوم الدينية والشرعية والفقهية فقط، بل دعت إلى تعلم كافة العلوم الإنسانية الطبيعية وعلم الحياة» البيولوجيا» وعلم النفس وعلم التاريخ والإجتماع وغير ذلك.

ومن الآيات التي حثت على العلوم الطبيعية قوله تعالى: ﴿أَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ جُنَاحَ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَاهُنَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدُودٌ يُبَيِّضُ وَهُمْ خُتَّلِفُ أَلْوَاهُنَا وَغَرَابِيبُ سُودُّ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَاهُنُّ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ (فاطر: ٢٨).

ومن التي حثت على علم الحياة: ﴿فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالْتَّرَائِبِ﴾ (الطارق: ٧).

ومن التي حثت على علم النفس: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١).

وأما علم التاريخ والإجتماع فحثت عليه الآية التالية: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم: ٩).

وللإمام الشافعي هذه الآيات الجميلة:

العلم يحيي قلوب الميتين كما تحيي البلاد إذا ما مسها المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلی سواد الظلمة القمر

وقال مؤيد الدين الطغرائي :

يزداد رفع الفتى قدرا بلا طلب
والجهل قيد له يبليه باللگب
ويخضض الجهل أشرافا بلا أدب
والمرء ما زاد علما زاد بالرتب
كالقوت للجسم لا تطلب غنى الذهب
بالعلم والعقل لا بالمال والذهب
فالعلم طوق النھي يزهو به شرفا
كم يرفع العلم أشخاصا الى رتب
العلم كنز فلا تفني ذخائره
فالعلم فاطلب لكي يجديك جوهره

وأخيرا هذا البيت المشهور والذي اختلف في قائله :

العلم يرفع بيوتا لاعماد لها والجهل يهدم بيت العز والشرف ؟

وبعد حديثنا الموجز عن العلم ببعض تفرعاته وانواعه وفضيلة طلبه ومهام
العلماء وصفاتهم، نتحدث عن حق المتعلم على المعلم وقد تعرضت السنة لذلك
وجاءت لتأكد ما هدف اليه الإمام زين العابدين عليه السلام فقد ورد ان عيسى ابن مريم
عليه السلام قال للحواريين لي اليكم حاجة اقضوها لي.

قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله فقام فغسل اقدامهم فقالوا: كنا نحن
احق بهذا يا روح الله فقال: إن احق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكيما
تواضعوا بعدى في الناس كتواضعى لكم.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: اطلبوا العلم وتزینوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا
لمن تعلموه العلم وتواضعوا من طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب
باطلكم بحقكم.

وقال الإمام علي عليه السلام: ما أخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على
أهل العلم ان يعلموا.

وكما حث على نشر العلم وإذاعته وأثابه قام بالوعيد لمن يمنع علمه ويختص به نفسه ولا يبته بين الناس.

فعن رسول الله ﷺ: «من كتم علماً نافعاً الجمّهُ اللهُ يوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامِ مِنْ نَارٍ».

وعنه ﷺ: «إذا ظهرت البدع في امتی فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».

واما منا زين العابدين يوضح لنا قاعدته مهمة في ان العلم يزكوا على الإنفاق، وينحرس ويسلب بالمنع فيقول موجها خطابه للمعلم: «ان الله سبحانه وتعالى بها أعطاك من العلم جعلك مخط حاجة طلابه فإن احسنت فيها توليت وقمت بالواجب عليك من بذله واخراج ما عندك من الحكمة والبيان كنت راشدا والا فإنك تجمع الخيانة والظلم، الخيانة فيما اولاك والظلم لعباده بما منعت عنهم من حقهم في العلم وهذا قد يؤدي الى ان يسلبه الله عنك».

ولقد ذكر الشيخ الجليل النراقي في كتابه جامع السعادات الجزء الأول في باب «آداب التعليم» جملة من اداب التعليم وهي:

١ - ان يخلص المعلم تعليمه لله سبحانه ولم يكن له فيه باعث دنيوي من طمع مالي او جاه او رئاسة او شهرة بين الناس، بل يكون الباعث مجرد التقرب إلى الله تعالى والوصول إلى المثوابات الأبدية، فان من علم غيره علماً كان شريكاً في ثواب تعليم هذا الغير لآخر.

٢ - ان يكون مشفقاً على المتعلم ناصحاً له، مقتضاً في الإفاده على قدر فهمه، متكلماً معه باللين والهشاشة لا بالغلظة والفظاظة.

٣ - أن لا يضن العلم من أهله ويمنعه عن غير أهله، لأن بذل الحكمة للجهال ظلم عليها، ومنعها عن أهلها ظلم عليهم كما ورد في الخبر.

٤ - أن يقول ما يعلم ويسكت عما لا يعلم حتى يرجع إليه ويعلمه، ولا ينجر المتعلمين ببيان خلاف الواقع.

هذه بعض الآداب وقد ذكر غيره من العلماء آدابا هي قريبة في المعنى مما ذكرنا، وربما كان لكل من المعلم والمتعلم آداب آخر تظهر لمن وقف على فن الأخلاق، ثم ان العارف بأهل زمانه يعلم آداب التعلم والتعليم كسائر الآداب والفضائل.





حق الزوجة

رحلة حقوقية

إن حياة الإمام علي بن الحسين عليه السلام وسيرته الطاهرة مليئة بمكارم الأخلاق وهي تشكل قسماً منهاً من بحر فضائله ومكارمه، فكان الإمام عليه السلام خير دليل وأسوة للإنسان الصالح، وأفضل نموذج لكل البشرية في طريق الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

يقول الشاعر إيليا أبو ماضي:

من ذا يكفى زهرة فواحة؟
أو من يثيب البطل المترنما

إن قاعدة الأسرة السليمة والتحابه وسائل القواعد الإسلامية الأخرى يجدها المتبع بشكل واضح ومصدق عملي جلي في سيرة رسول الله صلوات الله عليه وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام فمثلاً إذا ما تصفحنا تاريخ الإمام السجاد عليه السلام وسلوكه مع أفراد عائلته سنراه في القمة، فإنه مضافاً إلى كونه عليه السلام أعبد أهل زمانه وأزهدهم، فهو لا ينسى رعاية من يعوله وإكرام أسرته الشريفة، بل يأخذ بخدمتهم ويهيا لهم وسائل الراحة المشروعة ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويربيهم على أفضل العبادات:

ورد في الكافي عن أبي حمزة الثمالي أنه قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «لأن

أدخل السوق ومعي دراهم ابتاع به لعيالي لحماً، وقد قرموا^(١) أحب إلى من أعتق نسمة».

وقد أشار الإمام السجاد عليه السلام في هذا الحديث إلى أن ثواب شراء شيء للعيال أكثر من ثواب عتق رقبة في سبيل الله، وذلك لأن الزوجة والأولاد كل أملهم بكرم رب الأسرة وسخائه، مضافاً إلى أن علاقتهم به لا تنقصم عراها، أما العبد إذا تحرر فإن علاقته به بالكه تنقصم ويتخذ قراراته بنفسه.

قال أبو الحسن عليه السلام: «إذا وعدتم الصبيان ففوا لهم فإنهم يرون أنكم الذين ترزقونهم، إن الله عز وجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان».

لازالت رحلتنا الحقوقية تسير بخطا ثابتة وقد طرقت بباب حق الرعية ووصلت إلى حقوق الزوجة.

حق الزوجة

وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّاتِكَ بِمِلْكِ النِّكَاحِ فَأَنَّ تَعْلَمَ
أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا سَكَنًا وَمُسْتَرَاحًا وَأَنْسًا
وَوَاقِيَّةً، وَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا يَحِبُّ أَنْ
يُحْمَدَ اللَّهُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ
مِنْهُ عَلَيْهِ. وَوَجَبَ أَنْ يُحْسِنَ صُحْبَةَ نِعْمَةِ اللَّهِ
وَيُكْرِمَهَا وَيَرْفَقَ بِهَا وَإِنْ كَانَ حَقُّكَ عَلَيْهَا
أَغْلَظَ وَطَاعَتِكَ بِهَا أَلْزَمَ فِيهَا أَحْبِبَتَ وَكَرِهَتْ
مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، فَإِنَّ هَـا حَقُّ الرَّحْمَةِ
وَالْمُؤَانَسَةِ، وَمَوْضِعُ السُّكُونِ إِلَيْهَا قَضَاءَ
اللَّذَّةِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَذَلِكَ عَظِيمٌ.
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(١) قرموا: أي اشتد شوقهم إلى اللحم.

لقد أولى القرآن الكريم موضوع الأسرة والمرأة بالذات اهتماماً كبيراً فنرى مثلاً انه وردت كلمة زوج في القرآن الكريم بما يخص هذا الموضوع ٢٩ مرة، وكلمة أمراة / ١٠ مرات، وكلمة أنثى / ١٨ مرة، ومن الصفات المهمة المختصة بالمرأة كلمة المؤمنات / مؤمنات / ٢٢ مرة، ووردت سورة باسم النساء ولم ترد سورة باسم رجل، وغيرها من الصفات المخاطبة الواردة في القرآن الكريم. كل ذلك اهتماماً بها وبشأنها.

قال رسول الله ﷺ: «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله من التزويج».

وقال الإمام الصادق ع: «أكثروا الخير بالنساء».

إن هذه الأحاديث التي تبين أهمية الأسرة والتي هي اللبننة الأولى في المجتمع وتبيّن مكانة المرأة الزوجة في هذه اللبننة وأنه أحب بناء بني الله في الإسلام وإنها مجلبة للخير والرزق والغنى. فكما وضع الإسلام مواصفات المرأة الحسنة فعن رسول الله ﷺ: «من سعادة المؤمن من الزوجة الصالحة»، نرى أنه نهى عن المرأة التي تتمتع بالجمال فحسب دون الصلاح والإيمان والإلتزام بالأحكام حيث ورد عنه ﷺ: «إياكم وحضراء الدمن قيل يا رسول الله وما حضراء الدمن؟

قال: المرأة الحسناء في منبت السوء، فتخيروا ل nefekum فإن العرق دساس.

على أنه لم يغفل الجمال ففي رواية: تنكح المرأة على أربعة خلال: على مالها، وعلى دينها، وعلى جمالها، وعلى حسبها ونسبها فعليك بذات الدين.

أيضاً وضع مواصفات الرجل الذي يستحق الزواج فقد نهى عن الزواج من شارب الخمر قال النبي ﷺ من زوج كريمه من شارب خمر فقد قطع رحمها.

وقال أيضاً: من شرب الخمر بعد ما حرمتها الله على لسانه فليس بأهل أن يزوج إذا خطب.

هذا البناء والعقد يجب أن يتم على أساس التكافؤ بين الرجل والمرأة وإذا ما تم ترتيبت عليه حقوقاً شرعية ولكن قبل أن نبين بعض تلك الحقوق تعالوا لنرى كيف

ينظر القرآن الكريم للمرأة.

لقد دَحَضَ القرآن الحكيم الأفكار الباطلة التي كان الناس يعتقد بها في السابق، وأقرَّ بأن طبيعة التكوين وأصل الخلقة بين الرجل والمرأة واحد، فلم يخلق الرجل من جوهرِ مكرم، ولا المرأة من جوهرٍ ضيع، بل خلقهما الله من عنصر واحد وهو التراب، ومن نفس واحدة، فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١).

وبذلك ارتقى بالمرأة عندما جعلها مثل الرجل تماماً من جهة الطبيعة التكوينية، ووفر لها من خلال ذلك حقَّ الكرامة الإنسانية، ثم إن القرآن وَحَدَّ بين الرجل والمرأة في تحمل المسؤولية، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْسِنَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾.

على أن التساوي بينهما في أصل الخلقة والكرامة والمسؤولية، لا يعني بتاتاً إنكار الاختلاف الفطري والطبيعي الموجود بينهما، والذي يؤدي إلى الاختلاف في الحقوق والواجبات، فميزان العدالة السليم هو التسوية بين المرء وواجباته، وليس التسوية في الحقوق والواجبات بين جنسين مختلفين تكوينياً وطبعاً.

ومن هذا المنطلق فليس التفضيل في الإرث اختلالاً في العدالة، بل هو عين العدالة، فالرجل عليه الصداق منذ بداية العلقة الزوجية، وعليه النفقة إلى النهاية ومن جانب آخر لا يريد القرآن تحديد حرية المرأة ومكانتها من خلال فرض الحجاب، بل أراد صيانتها بالحجاب دون تقييدها، مع الإيحاء باحترام المرأة لدى نفسها ولدى الآخرين.

إذ أراد لها أن تخرج في المجتمع - إذا خرجت - غير مثيرة للغرائز الكامنة في نفوس الرجال، فتكون محافظة على نفسها، وغير مضرّة بالآخرين، كما أقرَّ القرآن للمرأة بحق الاعتقاد والعمل وفق ضوابط محدّدة، ومنح المرأة الحقوق المدنية كاملة، فلها حق التملك، ولها أن تهب، أو ترهن، أو تبيع، وما إلى ذلك.

كما منحها حق التعليم، فوصلت إلى مراتب علمية عالية، وأشاد بمنزعة التحرر لدى المرأة من الظلم والطغيان، فضرب لذلك مثلاً في آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون، التي ظلت على الرغم من الأجواء الضاغطة، محافظة على عقيدة التوحيد، التي آمنت بها، فأصبحت مثلاً يحتذى به.

فقال الله تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِمْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبُّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجَّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجَّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم: ١١).

فإنه موقف صارم لا هوادة فيه، ويختلف عن موقف مؤمن آل فرعون الذي وقف بوجه فرعون بلين وبلياقة.

وهكذا يكشف لنا القرآن عن مقدار الصلابة التي يمكن أن تكتسبها المرأة، إذا امتلكت الإيمان والرؤى السليمة، ويحدث العكس من ذلك لو حادت عن طريق الهدى كامرأة نوح عليه السلام، فسوف تغدو أسيرة لعواطفها وأهوائها، تحركها أينما شاءت، ف تكون كالريشة في مهب الريح.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَرْوَاجًا لَّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، فالمرأة سكن وهدوء وراحة بال وضمير بالنسبة إلى الزوج ومن هنا قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «إن تعلم أن الله جعلها سكنا ومستراها وانسا وواقية» بل قال القرآن الكريم ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ﴾ تعبر عن كون المرأة تستر عيوب الرجل وعوراته كما تسترها الثياب وهكذا دوره بالنسبة إليها فإنه يستر معايبها وعورتها وكما أن الثياب يختار الإنسان منها الجميل واللائق به وهذه النعمة يجب على كل منها أن يؤدي شكرها، يقول عليه السلام في هذا المقام «و كذلك كل واحد منكم يجب أن يحمد الله على صاحبه».

حقوق الزوجة في السنة النبوية:

وكانت قضية المرأة وحقوقها كزوجة أو أمّ مثار اهتمام السنة النبوية الشريفة،

فيقول النبي الأكرم ﷺ: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوْصِيَنِي بِالْمَرْأَةِ، حَتَّىٰ ظَنَّتُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي طَلَاقُهَا إِلَّا مِنْ فَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ).

ثم يحدد ثلاثة حقوق أساسية للمرأة على زوجها وهي: توفير القوت لها، توفير اللباس اللائق بها، حسن المعاشرة معها.

وفي ذلك يقول الحديث الشريف: (حُقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا: أَنْ يَسْدَدْ جُوَاعَهَا، وَأَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتَهَا، وَلَا يُقَبِّحْ لَهَا وَجْهَهَا).

فالحديث أعلاه لا يقصر حق الزوجة على الأمور المادية الضرورية من طعام وكساء، بل يقرن ذلك بحقٍّ معنوي، هو أن لا يُقَبِّحْ لها وجهها، وبتعبير آخر أن يحسن معاشرتها، لا سيما وأنها زميلته في الحياة، وشريكه في العيش، ومن الخطأ أن يتعامل معها باعتبارها آلة للمُمْتَعَة، أو وسيلة للخدمَة، فيعاملها بطريقة إصدار الأوامر.

وهناك توجيهات نبوية تُحثُّ على التعامل الإنساني مع الزوجة وحتى استشارتها، وإن لم يرد الزوج أن يأخذ برأيها في ذلك المورد، لأن استشارة الزوج لزوجته معناه إجراء حوارٍ مستمرٍّ معها، وهذا مما ينذر إليه العقل والشرع.

إذن لها حقٌّ معنويٌّ مُكملاً لحقوقها المادية، وهو حقُّ الاحترام والتقدير، وانتقاء تعابير مهذبة لائقة عند التخاطب معها تشيع أجواء الطمأنينة، وتوقى شمعة المحنة، فيقول الرسول ﷺ:

(قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ: إِنِّي أُحِبُّكِ، لَا يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِهَا أَبَدًا).

فإكرام الزوجة، والرحمة بها، والعفو عن زلاتها العادية، هي الضمان الوحيد والطريق الأمثل لاستمرار العلاقة الزوجية، وبدون مراعاة هذه الأمور يصبح البناء الأسري هشاً كالبناء على الرمل، فقد ثبت أن أكثر حوادث الطلاق تحصل من أسبابٍ تافهة.

لقد فصل أحد القضاة في أربعين ألف قضية خلاف زوجي، وبعدها قال هذه

الجملة: إنك لتجد التوافه - دائمًا - في قرارة كل شقاء زوجي، فلو تحلى الزوجان بالصبر، وغضّا النظر عن بعض الأخطاء التي تحصل من غير عمدٍ، لأمكن صيانة العش الزوجي من الإنهاير.

حقوق الزوجة في فكر أهل البيت عليهم السلام:

يتطرق الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق لحق الزوجة، ويلقي أضواء إضافية على حقها المعنوي المتمثل بالرحمة والمؤانسة، فيقول عليه السلام: (وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِمِلْكِ النِّكَاحِ، فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا سَكِنًا وَمُسْتَرَاحًا وَأَنْسًا وَوَاقِيَّةً، وَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَحِبُّ أَنْ يَحْمِدَ اللَّهَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْهِ).

وَوَجَبَ أَنْ يُحِسِّنَ صُحبَةُ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَيُكْرِمَهَا، وَيُرْفَقَ بِهَا، وَإِنْ كَانَ حَقُّكَ عَلَيْهَا أَغْلَظُ، وَطَاعَتُكَ بِهَا أَلْزَامٌ، فَيَمْلِأَ أَحْبَبَتَ وَكَرْهَتَ، مَا لَمْ تَكُنْ مَعَصِيَّةً فَإِنَّهَا حَقُّ الرَّحْمَةِ وَالْمُؤَانَسَةِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

والتمّنُ في هذه السطور يظهر لنا أن الرابطة الزوجية هي نعمة كبرى تستحق الشُّكر اللّفظي، بأن يحمد الله تعالى عليها، وتستوجب الشُّكر العملي، بأن يكرم المرأة زوجته، ويرفق بها، ويعاملها باللطف والرحمة، ويعقد معها صدقة حقيقة، كما يعقد أواصر الصداقة مع الآخرين.

أما لو تصرّف معها بالعنف، وأحصى عليها كُلّ شاردة وواردة، فسوف يقطع شراین الودّ والمحبة معها، ويكون كِسْكِين حادة تقطع رباط الزوجية المقدس.

ولقد بين الإمام الصادق عليه السلام بكل وضوح السياسة التي يجب على الزوج اتباعها لاستئالة زوجته، وعدم قطع حبال الود معها.

فقال عليه السلام: (لا غُنِي بالزَّوجِ عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجِهِ، وَهُنَّ: الموافقة، ليجتليب بها موافقتها ومحبّتها وهوها، وحسن خلقه معها واستئصاله قبلها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسيعه عليها).

ومن الجدير ذكره أن هذه الأقوال، ليست - مجرد - كلمات تنشر في الهواء يُطلقها الأئمة عليهم السلام من أجل الموعظة، بل جسدها أهل بيت العصمة بحذايفرها على صعيد الواقع.

فلا توجد إشكالية انفصام في سلوك أهل البيت عليهم السلام بين الوعي والواقع ومن الشواهد الدالة على ذلك: يروي الحسن بن الجهم قال: رأيت أبي الحسن عليه السلام اختضب، فقلت: جعلت فداك اختضبَ؟

فقال عليه السلام: (نعم، إن التهيئة مما يزيد في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن التهيئة، أيسرك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟)، قلت: لا، فقال عليه السلام: (فهو ذاك).

ولله در الشاعر القائل :

إذا ما رأت عيني جمالك مقبلاً
وحقك يا روحي سكرت بلا شرب

فالإمام عليه السلام يُدرِّكُ أن الاستمالة تشكل النقطة المركزية في الحياة المشتركة لكلا الزوجين، لذلك يراعي حق الزوجة، ويسعى إلى استمالة قلبها من خلال التهيئة، ولأن عدم التوافق في هذا الجانب يعتبر من الأسباب الأساسية في الإخفاق في الزواج.

صحيح أن الزواج في الإسلام ليس هو إشباع شهوة الجنس، فالجنس مجرد وسيلة للوصول إلى الغاية من الزواج، وهي: رفد الحياة الإنسانية بجيل صالح، إلا أن ذلك لا يُبرر إهمال حق الزوجة في المتعة الجنسية، لذلك لا يجوز الشرع هجرها أكثر من أربعة أشهر.

أن يتعاهد الزوج زوجته بالهدية:

فإن الهدية مما تجلب المحبة والمودة وتبعد العداوة والبغضاء والحدق وتحل المشاكل العويصة والكبيرة فينبغي للزوج أن يتعاهد زوجته في الأوقات المختلفة بأن

يقدم لها هدية بما يتناسب مع حالتها وما ترغب فيه وهذا مما يزيد في عفتها وقد أكدت على ذلك الروايات المتعددة، والهدية لها نتائج طيبة منها:

١- زرع المحبة أو تعزيزها كما قال الإمام الصادق عليه السلام: (تَهَادُوا تَحَابُوا).

وعَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ رَبِيعَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ تَهَادُوا بِالنِّبْقِ تَحْيَا الْمُوَدَّةُ وَالْمَوَالَةُ).

والنبق: ثمر شجرة السدر. وذكر النبق من باب المثال وليس للخصوصية فيه.

٢- أن تذهب بالعداوة، كما قال الإمام الصادق عليه السلام (الْهَدِيَّةُ تَسْلُ السَّخَائِمَ) والسَّخِيمَةُ: الحقد في النفس والضياعين. أي أن الهدية تسل الحقد من النفس.

وَعَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَيَقُولُ تَهَادُوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَسْلُ السَّخَائِمَ وَتُحْلِي ضَعَائِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْأَحْقَادِ).

٣- الهدية تقضي الحوائج كما قال الإمام الصادق عليه السلام: (نِعْمَ الشَّيْءُ الْهَدِيَّةُ أَمَامَ الْحَاجَةِ).

وَعَنْ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ نِعْمَ الشَّيْءُ الْهَدِيَّةُ أَمَامَ الْحَاجَةِ، وَقَالَ تَهَادُوا تَحَابُوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَذْهَبُ بِالضَّعَائِنَ.

الهدية من الزوج مما يزيد في عفة الزوجة:

كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (هَبَّةُ الرَّجُلِ لِرَوْجَتِهِ تَرِيدُ فِي عِفَّتِهَا).

الإسراع في التهادي:

ينبغي إذا قدم أحد هدية أن يُرِد الجميل وأن يهديه الآخر هدية أخرى ليحصل التهادي من الطرفين فإن ذلك أسرع لتواء الرهاب فقد روى الشيخ الصدوقي مُحَمَّدُ بْنُ عَلَيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: قَالَ الصادق عليه السلام: (عَجَّلُوا رَدَّ ظُرُوفِ الْهَدَائِيَا فَإِنَّهُ أَسْرَعُ لِتَوَأْثِرِهَا).

قال فتى الأحساء بعد اهدائه هدية لزوجته:

تحيرت قافيتي بين أسفاري
حروف لغتي دونك ملحنة
يا نخلة بين الواحتين مشمرة
يا فتاة الواحتين لا زلت فتى
أنت الوفاء إسماً ومنقبة
أهديك قلبي في يوم مكرمة

لأكتب فيك أحلى أشعاري
قواعدها أنت، وأنت أذكري
جذرها بنجران وظللها في داري
 مجرتها تدور في فلك الساري
ماضيه مستمر و فعله أمره جاري
 نقشه حبا مختوما بأغلى تذكري

ولقد دلت دراسة حديثة: أن كرم الزوج هو المفتاح السحري للسعادة الزوجية ولضمان حياة سعيدة. قد تحلم الكثير من الفتيات بصفات كثيرة لفارس الأحلام، من حيث الوسامية والشاعرية، لضمان حياة سعيدة، إلا أن أحدث الدراسات تشير إلى أن كرم الزوج يعد من أهم الصفات التي تلعب دوراً مهماً في ضمان حياة سعيدة هادئة بين الزوجين. وأوضحت الدراسة أن الزوجين اللذين يتمتعان بمعدلات مرتفعة من الكرم المتبادل، سواء المعنوي أو المادي في علاقتهم، هم أكثر عرضة بمعدل خمسة أضعاف للتتمتع بسعادة غامرة في علاقتهم.

وفي أبحاث طيبة وأشارت إلى أن التناجم في العلاقة الحميمية بين الزوجين تعد المؤشر الوحيد والأهم في مدى قدرة الزوجين على توافق وسعادة لتحتل المرتبة الأولى، إلا أن الأبحاث الطيبة الحديثة وأشارت إلى أن هذا العامل يأتي في المرتبة الثانية، بعد تدفق المشاعر والكرم المتبادل بين الزوجين. كما شدد الباحثون على أن قيام الزوجين ببعض من المهام المشتركة أو الأعباء المنزلية معاً، مثل إعداد قدر من القهوة أو إعادة ديكورات المنزل معاً، تعد من الأنشطة التي تعمل على تعزيز الروابط العاطفية والشاعرية بينهما. ومن نافلة القول أن نذكر هذه الوصية الرقيقة الرائعة وانظروا إلى ما فيها من جمال التعبير وحسن اللغة، إنها وصية أم لإبنتهما:

كانت أمامة بنت الحارث التغلبية من فضليات النساء في العرب، ولهما حكم

مشهورة في الأخلاق والمواعظ.. لما تزوج الحارث بن عمرو ملك كندة ابنتها أم إياس بنت عوف، وأرادوا أن يحملوها إلى زوجها أو صتها أمها في ليلة الزفاف إلى زوجها بوصية قيمة تقول فيها:

الوصية:

أي بنية أنّ الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك. ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو أنّ امرأة استغفت عن الزوج لغنى أبوها وشدة حاجتها إليها كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.

أي بنية إنك فارقت الجحودي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، احفظي له خصالاً عشرةً يكن لك ذخراً.

- أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

- أما الثالثة والرابعة: فالتفقد لواقع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلاّ أطيب ريح.

- أما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه؛ فإن توادر الجوع ملهمة، وتغليس النوم مغضبة.

- وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرقاء على حشهم وعياله. وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

- وأما التاسعة والعشرة: فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سراً؛ فإنك إن خالفت أمره أو غربت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره.

- ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتماً، والكافحة بين يديه إن كان فرحاً.

وهذه نصيحة قدماء الفراعنة للزوج:

«كن سيداً في منزلك، واحب امرأتك حباً خالصاً، أعطها كفايتها من الطعام، واستحضر لها أصنافاً مختلفة من الملابس، واشتري لها العطر فإنها تحبه، اجعلها سعيدة

ما دمت حيا، فإن المرأة مرأة لزوجها ينعكس ما يبذلها في سبيل سعادتها ورغدها. لا تكون خشنا في بيتك فاللين يحرك قلب المرأة، بينما الغلظة وعدم المجاملة تستفزها. قربها إليك وسمها بأسماء معززة، وجلها واحترامها، أظهر لها حبك وحنانك دائمًا، وإياك غضب الأم فإنها إن تضرعت إلى الله وشككتك فإن الله سميع لها شكايتها ويعاقبك على ذلك».

وختاماً مع وصية رسول الله ﷺ حيث يقول:

«ألا خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي» ومع ترحم الإمام الصادق علیه السلام حيث يقول: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجه فإن الله عز وجل قد ملكه ناصيتها وجعله القيم عليها.

فالزوجة يجب أن تطاعه في طاعة الله وتحافظ على شؤونه وما ملكت يداه ولا تعصي له امراً إلا إذا كان فيه معصية الله فعندها تسقط طاعته إذ لا طاعة لخلق في معصية الخالق».





حق الرعية بملك اليمين

رحلة حقوقية

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا
فإنما على آثارهم تتلاحم
فكن عالماً أن سوف تدرك من مضى
ولو عصمتك الراسيات الشواهد
فما هذه دار المقامات فاعلم
ولو عمر الإنسان ما ذر شارق

التربية العالية والخلق الرفيع :

كان عليه السلام يعامل عيده كأخوه وأصدقاء وأبناء، وكان يجالسهم ويؤاكلهم
ويمازحهم ويزوجهم، ويزرع فيهم الثقة والاعتزاز بالنفس وبالدين.

ومن مصاديق ذلك قصته مع خادمه الذي استعجل بشوأه جاء به إليه لضيوفه،
وسقوط سفود الشواء على رأس طفل له وقتلها في الحال، وحين رأى الإمام تغير حال
الغلام واضطرابه عاجله بقوله: «لا عليك، إنك لم تتعمم قتلها، وأنت حرّ لوجه الله»
وأخذ في جهاز ولده ودفنه، فإنّها قصة تعبر عن تسامِ رفيع ومناقبٍ عظيمة راحت
حكاية للأجيال.

وقصته الأخرى مع جارية له كانت تحمل له إبريقاً، إذ سقط الإبريق من يدها ليشحّ وجه الإمام ويسيل دمه، وحين اضطربت، معتذرة إليه قائلة «والكافمين الغيظ» قال لها: «كظمت غيظي» فقالت: «والعافين عن الناس» قال: «عفا الله عنك» فقالت: «والله يحب المحسنين» قال «أنت حرة لوجه الله».

هذه القصة هي الأخرى جاءت في سياق هذه التربية الرسالية المادفة لذلك الغرض النبيل، وهو تعليم الناس دين الله وأخلاق الإسلام، والتشفيف بثقافة القرآن. رحلتنا الحقوقية تواصل سيرها وتفتح لنا تاريخاً مشرقاً نبيلاً لأفضل من أقتلت الأرض لأنأخذها نموذجاً نحتذى بها في حياتنا وها نحن نصل إلى الحق الأخير من حقوق الرعية وهو : حق الرعية بملك اليمين.

حق الرعية بملك اليمين

وَأَمَّا حُقْرِعِيَّتَكَ بِمِلْكِ الْيَمِينِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ
خَلْقُ رَبِّكَ، وَلُحْمُكَ وَدُمُّكَ وَأَنَّكَ
مَلِكُكُهُ لَا أَنْتَ صَنَعْتُهُ دُونَ اللَّهِ وَلَا خَلَقْتَ لَهُ
سَمْعًا وَلَا بَصَرًا وَلَا أَجْرَيْتَ لَهُ رِزْقًا وَلَكِنَّ
اللَّهَ كَفَاكَ ذَلِكَ، ثُمَّ سَخَّرْتَ لَكَ وَأَتَمَّنَكَ
عَلَيْهِ وَاسْتَوْدَعَكَ إِيَّاهُ لِتَحْفَظَهُ فِيهِ وَتَسِيرَ فِيهِ
بِسِيرَتِهِ فَتُطْعِمُهُ مِمَّا تَأْكُلُ وَتُلْبِسُهُ مِمَّا تَلْبِسُ وَلَا
تُكَلِّفُهُ مَا لَا يُطِيقُ، فَإِنْ كَرِهْتُهُ خَرَجْتَ إِلَى
اللَّهِ مِنْهُ وَاسْتَبَدَّلْتَ بِهِ وَلَمْ تَعَذِّبْ خَلْقَ اللَّهِ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

كذاب القرآن الكريم الذي لا يترك شيئاً يخص الحياة الاجتماعية إلا تطرق إليه ومن هذه الشؤون شأن الرق وذكره القرآن الكريم تحت مسمى ملك اليمين كما في

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ النساء : ٣٦، وتارة أخرى تحت مسمى رقبة «كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٌ﴾ - العلق: ١٣.

وهذه إحصائية تبين مدى اهتمام القرآن الكريم بهذه القضية، فذكرت:

- كلمة ملكت أيمانكم ٧ مرات

- وكلمة ملكت يمينك «مرتان».

- وكلمة رقبة مصحوبة بكلمة تحرير وفك ٦ مرات.

- وكلمة ملكت أيهانهن «مرتان».

- وكلمة وفي الرقاب «مرتان».

- وكلمة ملكت أيهانهم ٣ مرات.

- وكلمة أمة «مرة واحدة».

كل ذلك اهتماماً بقضية الرق، على أن القرآن الكريم لم يذكرهم بإسم العبيد وذلك لاستعماله الكلمات المؤذبة الرائعة في هذه القضية وفي كل القضايا إلا من باب المثال أو «المثل»، (وكمثال على ذلك قوله ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ﴾ كناية عن الخلاء، أو قوله تعالى ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾، أو ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ كناية عن الجماع). وسار أهل البيت على هذا المنوال والطريق لكي يتخلص من الرق تدريجياً كما سيأتينا في البحث.

فهذا الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان من المراحل الأولى التي يشتري فيها العبد بهيؤه للعتق: يبدأ بتعليم العبد، وتنقيفه ثقافة إسلامية، وتأديبية بالآداب التي يريدها الإسلام. وبعد ذلك يعتقه لوجه الله لا على نحو الجزاء عن كفارة ليكون الغرض من العمل هو التقرب الصرف لله سبحانه، ونيل مرضاته. وكان يقوم بتزويده بالمال ليساعده على الاستعانة به في الكسب والتجارة ليشق طريقة

في هذه الحياة من جديد لا أن يكون كلاً على الناس كما كان كلاً على مولاه قبل عتقه.

وكان عليه السلام يتحين الفرص المناسبة لعتقهم، ويكون ذلك في موسم الأعياد من شهر رمضان، أو الأضحى ليضيف إلى فرحة العتق فرحة استقبال العيد بحرية كاملة.

لقد ذكرنا في حق «سائسك بالملك» شيئاً من التفصيل عن الرق وسياسة الإسلام في التعامل معهم وتحريرهم، وحيث أن الموضوع يبدأ مما جعل الإمام عليه السلام يذكره في موضوعين، ونحن لا تفوتنا الفرصة أن نذكر شيئاً عن الطريقة المثل لمعاملة الرقيق تماشياً مع توصية إمامنا زين العابدين.

ملك اليمين هم العبيد والإماء الذين تحت أخيهم الإنسان، وقد جهد الإسلام منذ يومه الأول في سبيل تحريرهم وإخراجهم من ذل الرق والعبودية إلى عز الإنطلاق والحرية، فتارة يأمر بعتقهم وفك أسرهم، وأخرى يجعل حرية العبد فرضاً إذا نكل به مولاه فيقول الإمام جعفر بن محمد عليه السلام:

«قضى أمير المؤمنين فيمن نكل بمملوكه انه حر لا سبيل له عليه سائبة يذهب إلى من أحب».

وثالثة يجعل عتق العبيد فرضاً في إفطار شهر رمضان والظهار والختن في اليمين، ورابعاً يرصد قسطاً من الزكاة لتحريرهم، إلى آخر المحاولات العظيمة التي أعطت أعظم النتائج وأحسنتها حيث تسبق المسلمين في سبيل التحرير والإعتماق وقد سجل الأئمة من أهل البيت أعظم الأرقام القياسية في هذا المضمار فكانوا يحررون من يقع تحت أيديهم بعد تعليمهم وتهذيبهم وتأديبهم.

وهنا يعلل الإمام وصيته في الرفق بملك اليمين، الإنسان المالك لم يكن هو

الذي خلق هذا المملوک، ولا هو الذي أعطاه سمعا ولا بصرأ، ولا هو الذي أجرى له رزقا، وإنما الله هو الذي تكفل بهذه جميعا. فهو الذي جعل له السمع والبصر والرؤاد، وهو الذي أوفى من أمره كل شيء، وبعد ذلك جعله مسخراللهالله يتصرف لا بنفسه ولا بروحه ولا بكل شيء فيه، وإنما للهالله فقط حق الأمر، وعلى المملوک حق الطاعة إلا فيما يخالف أمر الله.

إلا أننا نستنتج من هذه الوصية الربانية المعاملة التي يجب أن يعامل بها ملك اليمين وهي تشمل ولكن لا تقتصر على الآتي:

- أن العبد ذو نفس إنسانية كالنفس التي في الحر لا فرق بينها وبينها بشيء، لا كما يراها بعض فلاسفة اليونان في الماليك والرقيق وهو أن ليس للرقيق روح مثل الروح التي في الأحرار، وإنما هي روح غير إنسانية «بمعنى أنها روح حيوانية لا تفترق عن روح سائر الحيوانات» لذلك فهي مسخرة لنا وتحت تصرفنا.

- المعاملة الحسنة وفيها عدة أمور:

١- طعمه مما تأكل، فعن رسول الله ﷺ يقول: «أرقاؤكم فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، وإن جاؤوا بالذنب لا تريدون أن تغفروه فيبعوا عباد الله، ولا تعذبوهم»، وقال ﷺ: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجعله معه فليناوله لقمة أو لقمتين، أو أكلة أو أكلتين فإنه ولی علاجه»

٢- تلبسه مما يلبس، جاء عن معروف بن سويد قال: «رأيت أبا ذر الغفاري» رضي الله عنه «وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك فقال: إني سايبت رجلا فشكاني إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: أغيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية.

ثم قال: إن إخوانكم حولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوه ما يغلبهم فإن كلفتموه ما

يغلبهم فأعینوهم».

وتصصيل ذلك:

أن معور بن سويد لقي آبا ذر بالربذة، وعليه حلة وعلى خادمه مثلها، فسألته كيف يلبس خادمه مثل ما يلبس، وذلك غير معهود. فأجابه ببيان السبب. وأنه حصل بينه وبين شخص سباب ومشاتة، وأنه عايره بأمه وعايه بها، وقال له: يابن الأعممية أو يابن السوداء.

٣ - لا تكلفه ما لا يطيق، نهى رسول الله ﷺ أن نكلفهم من الأعمال ما يشق عليهم، ويهد قوتهم، أو يستفرغ جدهم، بل التكليف بالسهل المستطاع الذي لا يسامه الخادم، فإن كلفتهم بالشاق وجب علينا أن نعيينهم بنفوسنا أو بخدم من خدمنا. والحديث السابق ذكره نصر للخدم والأخذ بيدهم، ورفع لمستواهم وتنبيه لهم إلى حقوقهم قبل ساداتهم، وإرشاد لأرباب البيوت أن يقفوا منهم موقف العدالة، ولا يتناسوا رابطة الأخوة، ولا تبادل المنافع. قال تعالى :

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمُسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦).

وما أجمل وصية الإمام الغزالي في هذا المجال وقد خصص بابا في كتابه «إحياء علوم الدين» بإسم حقوق الملوك: وذكر فيه قول الرسول ﷺ للسادة «إن الله ملکكم إياهم، ولو شاء ملکكم إياكم». فالله تعالى قادر على تبديل الحال إن شاء، فلتحمدوا الله أئمها الأحرار، وبعض هذا الحمد أن تتقدوا الله في الرقيق وتحسنوا إليهم، ولتلزموا التواضع لله، ولتنبذوا الكبراء والترفع عليهم، وإنما أذاقكم الله هوان الرق بدوركم في الدنيا، مع شدة العذاب في الآخرة. وقد ذكر الإمام القرطبي حديثاً في تفسيره لآلية ٣٦ من سورة النساء نصه: «لا يدخل الجنة سيء الملكة» أي الذي يسيء

معاملة من هم تحت يده.

٤- إباحة الزواج بالرقيق:

ومن مفاسخ الإسلام العظيمة أنه أباح زواج الأحرار من الرقيق، بل هو محمول على الندب عند الجمهور لعموم قوله تعالى ﴿وَانكحُوا الْأَيامِي مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ الآية ٣٢ من سورة النور. وكان هذا مخطوطاً قبل الإسلام، وكانت القبائل الأوروبية تحكم على المرأة التي تتزوج بعد أن يحرقها معاً !! وإذا تزوج حرّ بآمة كان يسترق بدوره ويصبح عبداً !! أما في الإسلام فقد انفق الفقهاء على إباحة أن ينكح العبد آمة، وأن تنكح المرأة عبداً إذا رضيت بذلك، والرأي الراجح أنه يجوز للحرّ أن ينكح آمة بإطلاق.

ومن يطالع السيرة العطرة وتاريخ الصحابة سوف يجد تطبيقات عملية كثيرة بهذا الخصوص. فقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنة عمته زينب بنت جحش بمولاه زيد بن حارثة، وذكر البخاري في باب الأكفاء في الدين أن أبو حذيفة زوج ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة من مولى هو «سالم». وأشار النبي ﷺ على القرشية الحسية النسية فاطمة بنت قيس بالزواج من مولاه أسامة بن زيد، وفضلها على خاطبيها الآخرين معاوية بن أبي سفيان، وأبي جهم وهو من الأحرار أيضاً. وتزوج بلال رضي الله عنه هالة بنت عوف وهي أخت عبد الرحمن بن عوف، انتهى.

هذا ولا يغيب عن اذهاننا ان بعض امهات الأئمة المعصومين هن امهات ولد وكن من ارقى البيوت وشرف العوائل في بلدانهن فكن وعائلا للإمامية ومثالا للعفة والطهارة والشرف.

٥- إن كرهته استبدلته به غيره: إن لم يعامل المالك مملوكه بما ذكرناه سابقاً من الخلال الكريمة فما أيسر أن يتخلص منه بعتقه واستبدال به ملوكا آخر والإحسان عليه كما فعل العظام من أئمة المسلمين، فهذا على بن أبي طالب وبنوه فقد اعتقو آلافاً

مؤلفة من الرقيق ابتغاء مرضاه الله تعالى. وكان على يقول: إنني استحق أن أسترق من يوحّد الله. ويكتفى أن حفيده علي بن الحسين اشتهر بلقب «محرر العبيد» لكثرة من اعتقهم. وهو صاحب القصة الشهيرة عندما كانت جارية تصب عليه ماء الوضوء، فوقع الإناء من يدها على رأسه فجرحه وأسال دمه، فنظر إليها غاضباً فقالت له: سيدى إن الله تعالى يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فأجاب: قد كظمت غيظى، قالت ويقول تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال: قد عفوت عنك، قالت: ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ - الآية ١٣٤ من سورة آل عمران - فقال ﷺ: اذهبى فأنت حرّة لوجه الله.





حق الأم

رحلة حقوقية

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحياة
بالري أورق أيماً إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الأولى
شغلت مأثيرهم مدى الآفاق

فهذا «علي بن الحسين» كان كثير البر بأمه، ومع ذلك لم يكن يأكل معها في إماء واحد، فسئل: إنك من أبر الناس بأمرك، ولا نراك تأكل معها؟!

فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها.

ولا يخفى علينا أن والدة الإمام قد توفيت في نفاسها، ومع ذلك انظر إلى خلق الإمام العالى وتعامله مع من هي بمنزلة أمه.

وقد ذكر المجلسي أن هذه السيدة الطاهرة توفيت في نفاسها بالإمام زين العابدين عليه السلام بعد أن ولدته.

ها قد وصلنا إلى باب حقوق الرحم وأول حق من هذه الحقوق حق الأم.

حق الأم

فَحَقُّ أُمَّكَ، فَأَنْتَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلتَكَ حَيْثُ لَا
يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَدًا وَأَطْعَمْتَكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا
مَا لَا يُطِيعُمُ أَحَدٌ أَحَدًا، وَأَنَّهَا وَقْتَكَ بَسَمْعِهَا
وَبَصَرِهَا وَيَدِهَا وَرِجْلِهَا وَشَعْرِهَا وَبَشَرِهَا
وَجَمِيعِ جَوَارِحِهَا مُسْتَبِشِرٌ بِذَلِكَ، فَرَحَةً
مُوَابِلَةً، مُحْتَمِلَةً لِمَا فِيهِ مَكْرُوهُهَا وَأَمْهَا
وَثِقْلُهَا وَغَمْهَا حَتَّى دَفَعَتْهَا عَنْكَ يَدُ
الْقُدْرَةِ وَأَخْرَجَتْكَ إِلَى الْأَرْضِ فَرَضِيتْ
أَنْ تَشْبَعَ وَتَجُوَعَ هِيَ، وَتَكْسُوكَ وَتَعْرَى،
وَتُرْوِيَكَ وَتَظْمَأِ، وَتُظْلِلَكَ وَتَضْحَى،
وَتُتَعَمَّكَ بِبُؤْسِهَا، وَتُنَذَّذَكَ بِالنَّوْمِ بِأَرْقِهَا،
وَكَانَ بَطْنُهَا لَكَ وَعَاءً، وَجِرْهَا لَكَ
حِوَاءً، وَثَدِيَهَا لَكَ سِقاءً، وَنَفْسُهَا لَكَ
وِقَاءً، تُبَاشِرُ حَرَّ الدُّنْيَا وَبَرِدَهَا لَكَ
وَدُونَكَ، فَتَشْكُرُهَا عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَلَا تَقْدِرُ
عَلَيْهِ إِلَّا بَعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ

لو لم يكن في القرآن الكريم إلا هذه الآية في حق الوالدين لكتفي:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْعَنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ
أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقْلِلْهُمَا أَفَ وَلَا تَهْرُهُمَا وَقُلْهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

جاء في الميزان لتفسير القرآن: قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ عطف على سابقه أي و قضى ربك بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا والإحسان في الفعل يقابل الإساءة.

وهذا بعد التوحيد لله من أوجب الواجبات كما أن عقوبها أكبر الكبائر بعد الشرك بالله، ولذلك ذكره بعد حكم التوحيد وقدمه على سائر الأحكام المذكورة المعدودة وكذلك فعل في عدة مواضع من كلامه.

هذه الرابطة العاطفية المتوسطة بين الأب والأم من جانب والولد من جانب آخر من أعظم ما يقوم به المجتمع الإنساني على أسمه، وهي الوسيلة الطبيعية التي تمسك الزوجين على حال الاجتماع فمن الواجب بالنظر إلى السنة الاجتماعية الفطرية أن يحترم الإنسان والديه بإكرامهما والإحسان إليهما، ولو لم يجر هذا الحكم وهجر المجتمع الإنساني بطلت العاطفة والرابطة للأولاد بالأبوين وانحل به عقد الاجتماع.

وفي تفسير العياشي، عن أبي ولاد الحناظ قال: سألت أبي عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ فقال: الإحسان أن تحسن صحبتهما ولا تكلفهمما أن يسألوك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانوا مستغنين أليس الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُفْقِدُوا مَا تُحِبُّونَ﴾؟ ثم قال أبو عبد الله عليه السلام أما قوله: ﴿إِمَّا يَلْعَنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفَ﴾ قال: إن أضجراك فلا تقل لهما أفال ولا تنهرهما إن ضرباك، وقال ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ قال: تقول لهما: غفر الله لكم فذلك منك قول كريم، وقال: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحة ورقه ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يديك فوق أيديهما، ولا تتقدم قدامهما.

وفي الكافي، بإسناده عن حميد بن حكيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أدنى العقوق أفال ولو علم الله عز وجل شيئاً أهون منه لننهى عنه.

ما أعظم حق الأُم ولو بذلنا أقصى مجهدنا ما وفيانا ولا بنفس من أنفاسها كيف وهي التي عانت وأعطيت ووضحت منذ من لم نكن شيئاً، منذ ونحن أجنة بل ونحن مضغة، بل ونحن علقة ونطفة.

فجداً لو قمنا برحلة مع الدكتور خالص جلبي في كتابه الطب محارب الإيمان يطعننا كم أمنا هي معطاءة ومضحية، يقول بعد أن تتلقى البويبة بالحيوان المنوي و تكون العلقة:

«وهكذا نرى أن العلقة الإنسانية تصبح محاطة من كل الجوانب بالزغابات الكوريونية التي تتصف من الدم كل ما يلزم لتخليق الجنين من الماء والأملاح المعدنية والفيتامينات والكريات والاحييات والدهن فهل هناك أعجب من أن يكون الماء في غرفة، والمواد الغذائية من فواكه وخضروات وماكل طيبة ووجبات دسمة تقدم له من السقف والأرض والنواخذ وجدران الغرفة، إن هذا هو ما يحصل بالضبط للعلقة الإنسانية حين تتغذى!! لو دخلنا إلى داخل هذه العلقة لوجدنا أن بعض المناطق منها لها شكل مختلف عن بقية المناطق، هذا المكان رقيق يشبه اللوحة أو القرص الصغير سمي باللوحة المضفية وهو أبعد الأماكن التي يتخيّلها الذهن والتي يمكن أن تكون مصدر الكيان الإنساني، وهكذا نرى أن أكdas الخلايا التي تكونت وشكّلت ما يُعرف بالتوتة يختص قسم منها بالتكوين الخارجي للمضغة ويختص قسم صغير منها في تكوين الخريطة الأولى للمساحة الإنسانية، هذه اللوحة يسمونها بمجموع الوريقات التي ستتخلق منها الأعضاء وهي تعرف بالوريقة الباطنة والظاهرة والمتوسطة فلنر الأن كيف ستبدأ عملية التخلق، تظهر ميزابة في وسط المضغة والتي ستكون في المستقبل الدماغ والنخاع كما تظهر بجانبها قطع عرفت بالقطع البدئية ومن هذه القطع تتولد الفقرات وامتدادها العظمي وهي عظام الأطراف ومنها العضلات حيث تنتد لتكون عضلات كل الجسم، والعجيب أن العظام تتكون بالأصل ثم تأتي العضلات بعد ذلك لتكسوها وصدق الله العظيم ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَاماً لَهُم﴾ ثم تبدأ العملية الجبارية في خلق أعضاء الجنين فطائفة من الخلايا تختص بالحواس وأخرى بالعظام وثالثة بالعضلات ورابعة بالأجهزة وهكذا يتكون من الوريقة الباطنة الرغامي والقصبات والرئتان والبلعوم والأنبوب الهضمي والكبد

والمعنكلة كما يتشكل من الوريقية المتوسطة الجمجمة ونسيج الرأس الضام وعضلاته وعضلات الأطراف وهيكل العظام والجهاز التناسلي وغشاء الجنب (غشاء الجنب يغلف الرئتين) والتامور (غشاء يغلف القلب) والصفاق (غشاء يغلف الأمعاء) والقلب والعروق، والبلغم والجملة البيولية، كما يتكون من الوريقية الظاهرة بشرة الجلد والعناصر الملحقة به من غدد وأشعار وأظافر وأعضاء الحواس والجملة العصبية فكيف خططت كل هذه الأجهزة وكيف سار البناء في نسق واحد بحيث أن كل مجموعة خلوية تقوم ببناء جهاز خاص بل نسيج خاص وهي لا تعمل مستقلة بل متعاونة مع غيرها بحيث أن كل جهاز يأخذ مكانه الطبيعي.

والأآن بعد أن اكتمل تكون الإنسان ورسمت خريطيته بشكل إجمالي في الشهرين الأولين (حيث يعتبر الشهر الأول مرحلة بيضية لأن شكل الإنسان ما زال في طور البيضة والشهر الثاني يعتبر مرحلة مضبغية لأن شكل الإنسان وكأنه قطعة لحم مضبوغة) يدخل الإنسان مرحلة الجنين الكامل حيث تتكامل أعضاؤه وتتميز وتأخذ الشكل النهائي. ثم يبدأ في الشهر الثالث لينمو نمواً جديداً فلقد وجد العلماء أن الزغابات التي كانت تقضم خلايا الرحم وتكون بركاً دموية للتغذية والتي كانت تحيط بالعلقة من كل جهة تستحيل من جميع الأماكن خلا موضعياً واحداً حيث تتكون المشيمة، وأما المشيمة، وما أدرك ما المشيمة فإنها المصفاة الآمنية والمغذية العاقلة والمديرة الحكيمية لأمور الحياة للجنين فهي التي تمتلك الدم من رحم الأم وتدفعه إلى دوران الجنين وهي التي تهضم الطعام مثل الآحيات بحيث أنه يجعلها بسيطة مستساغة ثم تبعث بها إلى الجنين حتى لا يتضايق منها خاصة وإن الكبد لا يقوم بعمله إلا في دور متأخر وهي التي تدخل الغازات والماء والأملاح المعدنية والسكريات إلى الجنين، ولو لاها لما عاش لحظة واحدة وإذا مرت دسم ثقيلة بعثت بخمارها حتى تحيلها إلى صابون دسمى يمكن إمراهه إلى دم الجنين ثم تفككه بعد ذلك حتى يستفيد منه الجنين كما أن السكر إذا فاض عند الحاجة انقلبت خلايا المشيمة إلى مستودعات تخزين لمولد السكر

حتى يحل بعد ذلك في الوقت المناسب الذي يحتاج إليه الجنين، وأما الأخلايا الأمامية من المشيمة فهي تفرز العديد من الهرمونات التي تكفل للجنين أن يتبع حياته كما تحافظ على الاستقرار والاتزان في الخلط جسم الجنين ومفرزاته، فمن الذي لقنتها كل هذه الدروس وخطط لها كل هذه البرامج؟!

ثم ننظر لنرى حماية الجنين المدهشة وهو مدفون في الأعماق وهو حي ومع أن جلد البطن وعضلاته مع الأحشاء بالإضافة على سماكة الرحم كل هذا يحميه مع ذلك كله فإنه محاط بثلاثة أغشية وهي الساقط والكوريوني والأمينوسي مما يجعل الإنسان يدهش لقول الله تعالى حينما يقول ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقَ مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ الزمر: ٦.

هذا ما عناه الإمام زين العابدين عليه السلام: «فَإِنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتَكَ حَيْثُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَدًا وَأَطْعَمَتَكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لَا يُطْعَمُ أَحَدٌ أَحَدًا، وَأَنَّهَا وَقَتَكَ بِسَمْعِهَا وَبَصَرِهَا وَبِدِهَا وَرَجْلِهَا وَشَعْرِهَا وَبَشَرِهَا وَجَمِيعِ جَوَارِحِهَا مُسْتَبِشَرَةً بِذَلِكَ، فَرِحَةً مُوَابِلَةً، مُحْتَمِلَةً لِمَا فِيهِ مَكْرُوهُهَا وَأَمْلَاهَا وَثَقْلُهَا وَغَمْهَاهَا حَتَّى دَفَعْتَهَا عَنْكَ يَدُ الْقُدْرَةِ وَأَخْرَجْتَكَ إِلَى الْأَرْضِ».

وبعد هذا تعاني آلام الحمل وصعوباته جسدياً ونفسياً قال تعالى:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّا عَلَىٰ وَهُنِّي وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلَوَالِدِيَكَ إِلَيَّهِ الْمُصِيرُ﴾ - لقمان: ١٤.

وهل تنتهي مهمة الأم إلى هنا، كلا. وما أروع الصورة التي يرسمها الإمام الحسين في دعائه يوم عرفة وابنه الإمام زين العابدين في رسالة حقوقه، قال إمامنا الحسين:

«وَرَزَقْتَنِي مِنَ الْغِذَاءِ لَبَنًا مَرِيًّا، عَطَفْتَ عَلَىٰ قُلُوبِ الْحَوَاضِنِ، وَكَفَلْتَنِي الْأُمَّهَاتِ

الرَّحَائِمَ». وقال ابنه علي سلام الله عليه «وَأَخْرَجَتَكَ إِلَى الْأَرْضِ فَرَضِيَتْ أَنْ تَشْبَعَ وَتَجْوُعَ هِيَ، وَتَكْسُوكَ وَتَعْرَى، وَتُرْوِيَكَ وَنَظَمَاً، وَتُظْلِكَ وَتَضْحَى، وَتَنْعَمَكَ بِبُؤْسِهَا، وَتُلَذِّذُكَ بِالنَّوْمِ بَأْرَقِهَا، وَكَانَ بَطْنُهَا لَكَ وِعَاءً، وَحِجْرُهَا لَكَ حِوَاءً، وَثَدِيهَا لَكَ سِقاءً، وَنَفْسُهَا لَكَ وِقاءً».

دعونا مرة أخرى نرحل في كتاب الطب محراب الإيمان وعجائب تغذية الطفل وما ينطوي عليه الأمر من أسرار يحار الطب والعلم في تفسيرها ومنها كيف سيتغذى هذا الوليد بعد أن جاء إلى هذا العالم الجديد وهو غريب عليه ولم تعد معه تلك المшиمة التي كانت تقدم له الطعام مهضوماً جاهزاً، أن الإرادة الحكيمية هيأت له الثدي كأحسن ما يكون فلننظر بدقة إلى كيفية هذا التكوين:

خلال الحمل تكون الأوامر المرسلة للثدي هي بالاستعداد فقط وهي هنا تكاثر الغدد ولذا نرى حوالي ٢٥ فصاً عذباً للبن ومتى حان الوضع ترسل النخامة أوامرها للغدد الثدي بالإفراز ويبداً الإفراز، وهنا نتساءل كيف تحول الدم الذي يغذي الثدي إلى لبن مفيض للطفل حقاً أنه سر من الأسرار العجيبة المدهشة فلقد وجد أن طريقة وصول المواد الدسمة وغيرها عن طريق اللبن هو عن طريق الإفراز العائد للخلية، ومعنى هذا أن الخلية الغذية تمتليء بكرات الدسم فلا تستطيع عبر الغشاء الخلوي فينجرف مقدمة الخلية مع كرات الدسم ثم تعود الخلية مرة أخرى فتجدد الغشاء الخلوي وما ذهب منها، وهكذا ولقد وجد أن اللبن يحتوي على كافة المواد التي يحتاجها الجسم وان تركيز المواد فيه مختلف مع تطور عمر الطفل، كما أن اللبن معقم فلا يحتوي على الجراثيم بالإضافة إلى أن أجسام المناعة تمر من خلاله مما تعطي الطفل مناعة مهمة ضد الأمراض وذلك من دم والدته، وإذا ذهبتنا نعدد مزايا حليب الأم وأفضليته على باقي أنواع الحليب سواء حليب الحيوانات أو الحليب المgef فانه يتتفوق بشدة، وهذا كله من رحمة الله بهذا المخلوق الذي يولد ضعيفاً وهو يحتاج

للرحمة والعناء والغذاء فأمن له كل ذلك وبشكل متناسق فنغذيه الطفل تخلق حناناً وعطفاً ورحمة من الأم على ولدتها وتشد الناحية الروحية العاطفية بينهما.

قال معروف الرصافي :

أوجب الواجبات إكرام أمي
حملتني ثقلاً ومن بعد حملي
أرضعني إلى أوان فطامي
ورعتني في ظلمة الليل حتى
تركت نومها لأجل منامي

فأي حق أعظم من حق الأم بعد حق الله الأعظم حيث أن الله قرن عبادته
بالإحسان إليها ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَاَ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

بل أي تاج توج به الإسلام هذه الأم إذ قال: «الجنة تحت أقدام الأمهات». وعليه فعل الإبن أن ينحرني إلى ما تحت تلك الأقدام ليصل إلى الجنة إن أراد الوصول إليها.

ثم إن الإمام يدفع الولد إلى شكرها على هذا الجميل وهذه كانت وصية الله في كتابه ووصية نبيه في سنته وقد تكررت هذه الوصية بالوالدين كثيراً عن المعصومين عليهم السلام وخصوصاً في حق الأم التي بذلت وأعطيت وقدمت ما لم يعطه أحد من الناس.

قال ﷺ: «فتشكرها على قدر ذلك ولن تقدر عليه إلا بعون الله».

وفي السنة الشريفة عن أبي عبدالله عليه السلام الحديث المشهور:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله من أبراً؟

قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أباك.

و عند النسائي و احمد و الحاكم و أبي داود «بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك» وللترمذني و الحاكم «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فألا أقرب» وكان رجل من النساء يقبل كل يوم قدم أمه، فابطأ يوما على أخواته، فسألوه فقال: كنت أترغ في رياض الجنة، فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الأمهات.

قال فتى الأحساء:

أمهات ياجنة الخلد ويا أغلى العتبات
أمينة مؤمنة آمنة ما زانها ترادر الكلمات
قسمالوعمرت زمانيا ما ردت جميل المكرمات
يا سائل الله جناته الجنّة تحت أقدام الأمهات
وعن عباس ابن مرداس «أنه قال: يا رسول الله إني أريد الجهاد. قال: ألك أم؟
قال: نعم الزم أمك فإن الجنة عند رجل أمك».

وقال ﷺ «لا ينبغي للرجل أن يخرج إلى الجهاد وله أب أو أم إلا بإذنها». وقال ﷺ «من أصبح ووالداه راضيان عنه فله باباً مفتوحاً إلى الجنة». فلا ينبغي له أن يسد هذا الباب بالخروج بغير إذنها.

وفي جامع السعادات أن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أن رسول الله ﷺ، أتته أخت له من الرضاعة، فلما نظر إليها سر بها، وبسط ملحفته لها، فأجلسها عليها، ثم أقبل يحدها ويصحيك في وجهها، ثم قامت فذهبت وجاء أخوها، فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل له: يا رسول الله، صنعت بأخته مالم تصنع به وهو رجل، فقال: لأنها كانت أبراً بوالديها منه».

وفيه عن الإمام الرضا عليه السلام: «ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين و ميتين ويصلّي عنهم، ويتصدق عنهم، ويحجّ عنهم، ويصوم عنهم، فيكون الذي صنع لهم وله مثل ذلك، فيزيده الله عز وجل ببره وصلاته خيراً كثيراً».

وشكا رجل إلى رسول الله ﷺ سوء خلق أمه، فقال ﷺ «لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعه أشهر، وحين أرضعتك حولين، وحين سهرت لك ليلاها، وأضيئت نهارها. فقال الرجل: إني جازيتها وحججت بها على عاتقي فقال ﷺ: ما جازيتها ولا طلقة».

وكان ﷺ يقول: «حق الوالد أن تطيهه ما عاش، وحق الوالدة فهيهات هيهات، ولو أنه عدد رمل عالج وقطر المطر أيام الدنيا قام بين يديها ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها».

هذا كله هو الذي أوجب للأم عظم الحق والأولية بالرعاية، وكونها أولى بالطاعة من الوالد الذي لا صلة له بجل تلك الأتعاب والمشاق.

وما أجمل ما صاغه الألوسي في هذا المعنى:

لأمك حق لو علمت كبير
كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بشقلك تشتكى
لها من جراها أنة وزفير
وفي الوضع لو تدرى عليها مشقة
فمن غصص كاد الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمنيها
وما حجرها إلا لديك سرير
وتغديك مما تشتكىء بنفسها
ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاءت وأعطيتك قوتها
حنوا وإشفاقا وأنست صغير

فدونك فارغب في عميم دعائها

فأنت لما تدعوه به لفقير

وجاء رجل إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله: أي الوالدين أعظم حقا؟

قال ﷺ: «التي حملته بين الجنبين وأرضعته الثديين، وحضرتني على الفخذين
وفدته بالوالدين».

وكم هي جميلة خماسية رشيد سليم الخوري وهي بعنوان «أمّي»:

ولو عصفت رياحَ الْهَمِّ عَصْفَا ولو قصفت رعدُ الموت قصْفَا
ففي أذنيِّيَّ عند النزع صَوْتٌ يحوّل لي عزيفَ العِنْ عزْفَا
فِيُطربنِيَّ وَذَلِكَ صَوْتُ أمّي

ولو ملئتُ لي الجاماتُ صبراً ولو جرّعتُ حلوَ العيش مُرّاً
ففي شفتِيَّ ينبعُ عجِيبٌ يحوّل لي كؤوسَ الخلّ حَمْراً
فِيُسْكُرُنِيَّ، وَذَلِكَ ذِكْرُ أمّي

ولو هجمتُ على قلبي البلايا وهَدَتْ سورَ آمالِي الرِّزَايا
فإن ببابِ فردوسِي ملاكاً يسلُّ السيفَ في وجه المانيا
في حُرُسْنِيَّ، وَذَلِكَ طيفُ أمّي

ولو أني رزئْتُ بفقدِ مالي وأصحابِي، وأشعارِي الغولي
فلبي كنزُ وقارِه الله، غالِي من التاجِ المرصّع باللالِي
ألا وهو الحنان بصدرِ أمّي

ومن الصور الرائعة رباعية الشاعرة بشرى الساروت لإيمها في ذكرى وفاتها:

«في ذكرى الرحيل»

تحلو ذكرى الرحيل يا أجمل الأمهات عشت أحلى أمنياتي طاب عيشي وحياتي	في ذكرى الرحيل في ذكر راكامي في حضنك أمري في حجرك أمري
--	---

بسهر ليلي أعد نجوم كأني من حجر مفظوم ولا بليلي اذوق النوم من رحتي وانابهموم	بعد فراقك عشت بدوم حنان الأم ما اشوفه لا أنهاري كمثل الناس هذا حالى يايمه
--	--

أحب ترابه وأضممه وأرفعها عالي وأشتممه وأشمم فيها ريحه الجنه بـ دال الطيب والـ حـ نـ هـ	قبرك من أجبي يمه على ترابه أحط كفي أشنم فيها أخلاقك ومفرقـي زعفرـته بـ تـ رـ اـ بـ كـ
---	--

سمعتي ويـا شـمعـةـ الـ جـلاـسـ يعطـينـيـ الأـمـلـ وـالـإـحـسـاسـ وسـهـرـ لـيلـكـ وـحرـقةـ الـأـنـفـاسـ مستـحـيلـ اـنسـاكـ وـربـ النـاسـ	ـيـاـ خـيرـيـةـ يـاـ خـيرـ النـاسـ ـاسـمـكـ بـقلـبـيـ حـروفـهـ منـقوـشـهـ ـوـمـرـفـوكـ مـسـتـحـيلـ أـنـسـاهـ ـوـأـزـيدـكـ مـنـ الشـعـرـ بـيـتـيـنـ
--	---

ومن الصور الرائعة ببر الوالدين:

• يخبرنا الرسول ﷺ عن ثلاثة رجال من كانوا قبلنا كانوا يتهاشون، فأخذهم المطر فما لوا إلى غار فانحاطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فتوسل كل واحد منهم إلى الله بأرجى عمل صالح عمله ليخلصهم مما هم فيه. فقال أحدهم: «اللهم إلهي كان لي والدان شيخان كبيران، وللي صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أنسقيهما قبل ولدي، وإنه قد نأى بي الشجر يوماً فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما فحلبت كمًا أحلب، فجئت بالحلايب فقمت عند رؤوسهما أكره أو أوقفهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون (يكون) عند قدمي، فلم يزل دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء». فاستجاب الله دعاء هذا الرجل الصالح في وقت من أحرج الأوقات فجعل له مخرجاً ببره بوالديه. «البخاري ومسلم».

عن انس بن النضر الأشجعي: استقت أم ابن مسعود ماء في بعض الليالي فذهب فجاءها بشربة فوجدها قد ذهب بها النوم فثبت بالشربة عند رأسها حتى أصبح.

• وهذا ظبيان بن علي الشوري وكان من ابر الناس بأمه وكان يسافر بها إلى مكة فإذا كان يوم حار حفر بئرا ثم جاء بنطع فصب فيه الماء ثم يقول لها: ادخلني تبردي في هذا الماء.

فضل ببر الوالدين:

أولاً: انه من أفضل الأعمال: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سالت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الصلاوة في وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» [متفق عليه].

ثانياً: انه سبب من أسباب مغفرة الذنوب: قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالدَّيْهِ إِحْسَانًا﴾ إلى أن قال في آخر الآية الثانية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاهِزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدِيقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

ثالثاً: انه سبب في زيادة العمر: عن انس بن مالك «من سره أن يمد له عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه ول يصل رحمه» [رواه احمد].

رابعاً: انه سبب في حصول مبرة الأبناء لمن بر ولو والديه : فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بروا آباءكم تبركم أبناءكم وعفوا تعف نساوكم» [رواه الطبراني].

وكما حد الإسلام على بر الوالدين أيضا حرم عقوبتهما، ولا ضير أن نذكر بعض صور هذه العقوبة التي تتجنبها:

مظاهر عقوبة الوالدين:

١) إبكاؤهما و تخزينهما بقول أو فعل أو غير ذلك، « جاء رجل إلى النبي ﷺ يباعيه على الهجرة قائلاً ما جئتكم حتى أبكىت والدي فقال الرسول الكريم ارجع أليهما فأضحكهما كما أبكيتهما».

٢) إدخال المنكرات أو مزاولتها أمامهم: مثل ترك الصلاة عمداً وشرب الخمر واستعمال آلات اللهو ومشاهدة ما حرم الله عز وجل من الأفلام الخليعة والصور الماجنة وغيرها من المنكرات.

٣) البراءة منها أو التخلّي عنها: فعن انس الجهني عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى عبادا لا يكلّهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم» قيل: من أولئك يا رسول الله؟ قال: «متبرئ من والديه راغب عندها ومتبرئ من ولده ورجل انعم عليه قوم فكفر بنعمتهم وتبرأ منهم».

٤) تقديم الزوجة على الأم والأب فيما للوالدين فيه دخل: وهذا قد انتشر في زماننا ويزداد الأمر سوءاً إذا كانت الزوجة سيئة أنانية تحاول إبعاد زوجها عن والديه ليبيقي لها وحدها أو تتأذى من بقائهما في داره وهذا من أكثربالعقوق.

٥) عدم زيارتها والسؤال عنهم أو التأخير في ذلك.

٦) ومن العقوق أن ينظر الولد إلى أبيه نظرة شزر عند الغضب أو يتعاظم عن تقبيل يدي والديه أو لا ينهض لها احتراما وإجلالا.

٧) التسبب في شتم الوالدين، قال ﷺ «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: وكيف يشتم أو يسب الرجل والديه؟ فقال «يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» أي: يصير متسبباً في شتم والديه، وقال ﷺ: «لعن الله من لعن والديه».

ومن أنا شيد أيام زمان وقد أجاد:

أحـبـ الـنـاسـ لـيـ أـمـيـ
وـمـنـ بـالـرـوـحـ تـفـدـيـنـيـ
فـكـمـ مـنـ لـيـلـةـ قـامـتـ
عـلـىـ مـهـمـهـ دـيـ تـغـطـيـنـيـ
بـصـصـ وـتـهـادـيـ عـذـبـ
وـإـنـشـادـ تـغـنـيـنـيـ
تـخـافـ عـلـيـ مـنـ حـرـرـ
مـنـ بـرـدـ فـتـحـمـيـنـيـ
وـمـنـ أـلـمـ وـمـنـ مـرـضـ
أـنـادـيـهـاـ فـتـأـتـيـنـيـ
بـرـوحـيـ سـوـفـ أـفـدـيـهـاـ
كـمـاـ بـالـرـوـحـ تـفـدـيـنـيـ

وأَسْعَى فِي هُنَاءِهَا
كَمَا تَسْعَى وَتَرْضِي نِي

وخلالصة القول أن مكانة الأم في الإسلام عالية الذرى رفيعة المقام لا يطاولها فيها زوجة ولا ولد، ويحجب على المسلم أن يخوض لها جناحه، ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذُلُّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ - (الإسراء: ٢٤).





حق الأب

رحلة حقوقية

من مناجاة له عَلَيْهِ السَّلَامُ :

فجَدَ وَلَا تَغْفِلُ وَكَنْ مُتِيقَظًا
فِعْمًا قَلِيلٌ يَتَرَكُ الدارُ عَامِرٌ
فَشَمَّرَ وَلَا تَفْتَرَ فَعُمْرُكَ زَائِلٌ
وَأَنْتَ إِلَى دارِ الإِقَامَةِ صَائِرٌ
وَلَا تَطْلُبُ الدُّنْيَا فَإِنْ نَعِيمُهَا
وَإِنْ نَلْتُ مِنْهَا غَبَةً لَكَ ضَائِرٌ

وهذا علي بن الحسين يبكي على أبيه عشرين سنة، ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولاه: أما آن لحزنك أن ينقضي فقال له: ويحك إن يعقوب النبي كان له اثنا عشر ابنا فغريب الله عنه واحدا منهم فايضت عيناه من كثرة بكائه عليه وشاب رأسه واحد ودب ظهره من الحزن وابنه حي في دار الدنيا وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر رجلا من أهل بيتي مضر جين بدمائهم حولي فكيف ينقضي حزني.
وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يترك مناسبة إلا ويدرك فيها ما جرى لأبيه وأسرته في كربلاء، وأحيانا كان يبحث عن المناسبة ليحدث بها جرى لأهل بيته، فيذهب إلى سوق الجزارين في المدينة ويقف معهم يسألهم عم إذا كانوا يسوقون الشاة ماء قبل ذبحها،

وعندما يسمعهم يقولون: إننا لا نذبح حيوانا قبل أن نسقيه ولو قليلا من الماء. فيبكي ويقول: لقد ذبح أبو عبد الله غريبا عطشانا فيكون لبكائه حتى ترتفع الأصوات بالنحيب.

أخلاقه وأدبه ﷺ مع أبيه:

ولئن حُرِمَ السجاد ﷺ من حنان الأم ورأفتها، فإنه لم يحرم من براها بالدعاء لها ولوالده ﷺ. والدعاء للوالدين يعكس:

١ - أدباً قرآنياً رفيعاً والتزاماً بأحكام الإسلام. وقد قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ هُمَّا جَنَاحَ الْذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْجِحْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

٢ - قلباً مرهفاً وضميراً حياً وعقلاً متقداً.

٣ - وفاءً بالجميل الذي أسداه الوالدان لوليدهما.

فيقول ﷺ في دعائهما:

أ - (واخصص اللهم والدي بالكرامة لديك والصلة منك يا أرحم الراحمين. اللهم اجعلني أهابها هيبة السلطان العسوف، وأبرهما بر الأم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالدي، وبرى بهما أقر لعيني من رقدة الوسنان، وأثليج لصدري من شربة الضمان حتى أوثر على هواي هواهما، وأقدم على رضاي رضاهما، وأستكثر برهما بي وإن قل، وأستقل بري بهما وإن كثر).

ب - (اللهم خفّض لها صوقي، وأطّب لها كلامي، وألين لها عريكتي، وأعطف عليها قلبي، وصيرني بها رفيقاً، وعليها شفيناً).

ج - (اللهم اشكر لها تربيتي، وأثبها على تكريمتني، واحفظ لها ما حفظاه مني في صغرى).

د - (اللهم لا تنسني ذكرهما في أدبار صلواتي، وفي إني من آناء ليلي، وفي كل ساعة من ساعات نهاري).

هانحن قد وصلنا الى الحق الثاني من حقوق الرحم وياله من حق عظيم. ايهما الأحاجة انه حق الاٌب:

حق الأدب

وَأَمَّا حَقُّ أَبِيكَ فَتَعْلَمَ أَنَّهُ أَصْلُكَ، وَأَنَّكَ
فَرْعُهُ، وَأَنَّكَ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ. فَمَهْمَا رَأَيْتَ
فِي نَفْسِكَ مَا يُعْجِبُكَ فَاعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ
النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِيهِ وَاحْمِدْ اللَّهَ وَاشْكُرْهُ عَلَى قَدْرِ
ذَلِكَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وردت كلمة «اب» في القرآن الكريم بمختلف صيغها «١١٣» هذا غير كلمة والد أو والدين ووردت هذه الكلمات في معرض تأثير الأب على الأبن في الهدایة او الظلال وهذا يدل على مكانة الأب وتأثيره في التربية.

الأبوان ركنا الأسرة وعماد قومها وقد أولا هما الإسلام عناية فائقة النظير وأمر بإطاعتهما - في غير محرم - ودفع الآباء إلى تلمس مواطن رضاهم وراحتهم

وكما ذكرنا في مقالنا السابق حق الأم فكذلك فإن حق الأب كبير على الولد فإن هذا الأب قد تعب واجتهد وكد من أجل تحصيل لقمة العيش له ولأبنائه فكم من المشاق والمخاطر والآلام قد تکبد من أجل أن يسعد آباؤه و يجعلهم في مقدمة الناس.

والولد يشعر بأن أباه أعظم الناس وأحقهم بالإجلال والتعظيم وقد كان العرب يتفاخرون بآباءهم في اسواقهم، وفي معاهد الحج، حتى قال الله تعالى:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرُكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ - البقرة: ٢٠٠.

فالله لد شعر بأنه بضعة من أسله، بـث بعض صفاته وطاعته وسائله من حسنه

ونفسية وعقلية وحيث أن الأب يشعر بأن ابنه بضعة منه ووجوده مستمدًا من وجوده وانه نسخة ثانية منه فهو يحرص على بقائه كما يحرص على نفسه أو أشد حرضاً ويحرم نفسه كثيراً من الطيبات ايشارا له في حاضر أمره ومستقبله فهو مجتهد طوال حياته في تغذيته وإنعاشه وتربيته.

وما أجمل ما سطره شاعرنا الكبير جاسم الصحيح في هذا المعنى:

كَائِنًا الْجَرْحُ فِي قَلْبِ الْحَرُوفِ طَرِي
إِذَا تَدَفَّأَتُ بِالْأَطْيَافِ وَالصُّورِ
حَتَّى أَغْطِيكَ بِالآيَاتِ وَالسُّورِ
إِلَى أَصْلِهَا الْمَقْطُوعِ مِنْ شَجَرِ
وَالْيَوْمَ أَفْقَرُ لِلْخَمْسِينِ مِنْ عُمْرِي
فِيهِ السَّنِينِ، وَطَاشَ الرَّأْسُ بِالشَّرِّ؟
مُثْلِ اَنْحَنَاءَ عَزَّافٍ عَلَى وَتَرِ!
رُعْبُ الْكَوَابِيسِ فِي إِغْفَاءِ السَّحَرِ!
مَا مِنْ أَبٌ فَائِضٌ عَنْ حَاجَةِ الْبَشَرِ
إِلَى أَصْلِهَا الْمَقْطُوعِ مِنْ شَجَرِ
فِيهِ عَظَامَكَ مِنْ إِكْسِيرِهَا النَّضِيرِ
حَتَّى زَرَعْتُكَ بَيْنَ الطِينِ وَالْمَدِيرِ
مَرْفُوعَةً بِالضَّنَا وَالكَّدَّ وَالسَّهَرِ
فِي كِبْرِيَّ وَنَبْقَى نَحْنُ فِي الصَّغَرِ

أَبِي تَعَالَى. وَيَجْرِي مِنْ «تَعَالَى» دُمُّ
بَرْدُ الْغَيَابِ تَغْشَانِي، فَمَعَذْرَةً
بِكِي السَّرِيرُ الَّذِي مَا كَنْتَ تَأْنِسُهُ
بِكِي السَّرِيرُ وَقَدْ حَنَّتْ قَوَائِمُهُ مُثْلِي
مِنْ قَبْلِ مَوْتِكَ أَعْوَامِي مُؤَجَّلَةً
مَنْ ذَا سِيمِسْحُ رَأَسِي بَعْدَمَا انْقَدَحَتْ
كَمْ اَنْحَنَيْتَ عَلَى مَهْدِي تُمْسَلُهُ
وَكَمْ رَدَدْتَ غَطَائِي حِينَ بَعْثَرَهُ
رُوحُ الْأَبْوَةِ تَحْمِينَا مِنَ الْكَبَرِ
بِكِي السَّرِيرُ وَقَدْ حَنَّتْ قَوَائِمُهُ مُثْلِي
وَأَقْسُمُ بِالْقِبْرِ الَّذِي أَنْفَرَطَتْ
رُوحُ إِنْتِمَائِي لِهَذِي الْأَرْضِ مَا أَكْتَمَلَتْ
آباؤُنَا يَا الْأَفْعَالِ مُضَارِعَةً
هُمْ يَحْمِلُونَ اللَّيَالِي عَنْ كَوَاهِنَا

من أجل ذلك جعل الله طاعته واجبة، وطلب رضاه حتى. وجعل طاعته منوطه
بطاعته، ورضاه منوطين برضاه وسخطه.

والآحاديث في ذلك متواتره:

قال رسول الله ﷺ: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد».

وقال ﷺ: «بروا آباءكم تبركم أبناءكم»، وقال ﷺ: «إن الوالد باب من أبواب الجنة فاحفظ ذلك الباب». وقال ﷺ: «من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار».

وعن إبراهيم بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله علیه السلام إن أبي قد كبر جداً وضعف فنحن نحمله إذا أراد حاجة. فقال علیه السلام إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل، ولقمه بيديك فإنه جنة لك غداً».

وقال الحسن: «حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم».

وقال سليمان الملك: «إن العين المستهزئة بأبيها، والمحقرة طاعة أمها تقرورها غربان الوادي، وتأكلها فراخ النسر» وقال موسى علیه السلام: «أكرم أباك لكي تطول أيامك على الأرض» وقال ﷺ: «بروا آباءكم تبركم أبناءكم».

رجوعاً إلى الفقرات التي نقلناها من دعاء الإمام زين العابدين المذكور في الصحيفة السجادية في مقدمة المقال «اللهم اجعلني أهابها هيبة السلطان العسوف وابرها بر الأم الرؤوف»، وهي من أثمن الكلمات في التراث الإسلامي بعد القرآن على الإطلاق، وما قرأها إنسان إلا نقلته إلى أجواء يشعر بنشوة لا عهد لأهل الأرض بمثلها.

من ذا الذي يقرأ هذا القول ولا يترك في نفسه أعمق الآثار؟!!... يهابها مهابة السلطان مع مخالفته لها، ودنوه منها، وعلمها بأنها أرأف به من نفسه. إنها هيبة التعظيم والتوقير، لا هيبة الخوف من الحساب والعقاب بل هيبة الأبوة التي لا يقدرها إلا العارفون.

كانت فاطمة «سلام الله عليها» بضعة النبي ﷺ وأحب الخلق إلى قلبه، ومع هذا كانت تقول:

«ما استطعت أن أكلم رسول الله من هيبيته».

وما أجمل هذه الكلمات من امامنا زين العابدين التي تنم عن قمة الطاعة والإحترام والإيثار للأبدين:

وَصَّيْرِنِي بِهِمَا رَفِيقًا، وَعَلَيْهِمَا شَفِيقًا。اللَّهُمَّ اشْكُرْهُمَا تَرْبِيَتِي وَأَثْبِهِمَا عَلَى تَكْرِيمَتِي، وَاحْفَظْهُمَا مَا حَفَظَاهُ مِنِّي فِي صِغْرِي。اللَّهُمَّ وَمَا مَسَّهُمَا مِنِّي مِنْ أَذَى أَوْ خَلَصَ إِلَيْهِمَا عَنِّي مِنْ مَكْرُوهٍ أَوْ ضَاعَ قِيلَى لَهُمَا مِنْ حَقٍّ فَاجْعَلْهُ حِكْمَةً لِذُنُوبِهِمَا وَعُلُوًّا فِي دَرَجَاتِهِمَا وَزِيَادَةً فِي حِسَانَاتِهِمَا يَا مُبْدِلَ السَّيِّئَاتِ بِأَصْعَافِهِمَا مِنَ الْحَسَنَاتِ。اللَّهُمَّ وَمَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ أَسْرَ فَا عَلَىَّ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ، أَوْ ضَيَّعَاهُ لِي مِنْ حَقٍّ أَوْ قَصَرَ إِلَيْهِ مِنْهُ مِنْ وَاجِبٍ فَقَدْ وَهَبْتُهُ وَجُدْتُ بِهِ عَلَيْهِمَا، وَرَغَبْتُ إِلَيْكَ فِي وَضْعِ تَبَعِتِهِ عَنْهُمَا فَإِنِّي لَا أَتَهُمُهُمَا عَلَى نَفْسِي، وَلَا أَسْتَبْطِئُهُمَا فِي بِرِّي، وَلَا أَكْرُهُ مَا تَوَلَّاهُ مِنْ أَمْرِي يَا رَبِّهِمَا أَوْ جَبْ حَقًا عَلَيَّ، وَأَقْدَمْتُهُمَا حَسَانًا إِلَيَّ وَأَعْظَمْتُهُمْ مِنْهُ لَدَيَّ مِنْ أَنْ أَقَاصُهُمَا بِعَدْلٍ، أَوْ أَجَازَهُمَا عَلَى مِثْلِهِمَا أَيْنَ إِذَا يَا إِلَهِي طُولُ شُغْلِهِمَا بِتَرْبِيَتِي؟ وَأَيْنَ شِدَّةُ تَعَبِهِمَا فِي حِرَاسَتِي؟ وَأَيْنَ إِقْتَارُهُمَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا لِلتَّوْسِعَةِ عَلَيَّ؟ هِيَهَا تَمَا يَسْتَوِفُ فِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا، وَلَا أُدِرِكُ مَا يَحْبُّ عَلَيَّهُمَا وَلَا أَنَا بِقَاضٍ وَظِيفَةً خِدْمَتِهِمَا。فَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعْنَيْتُ يَا حَيْرَ مَنِ اسْتَعِينَ بِهِ. وَوَفَقْنِي يَا أَهْدَى مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ، وَلَا تَجْعَلْنِي فِي أَهْلِ الْعُقُوقِ لِلَّا بَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ يَوْمَ الْجُنُبِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ.

وبالجملة، فإن لفظ الأب يوحى معنى الإحترام والحب، وكل ابن مسؤول عن تعظيم أبيه والإخلاص له أمام الله والناس والضمير.

وما أجمل هذه المقطوعة لفضيلة العلامة «الشيخ الفرطوسى»:

عهد الأبوة والأبوة كلها

حلم يريح من العناء المفزع
رغد من العيش الهني ورقده
غرقت بها نفسي ولما تهجن
روح لذىذ أنقى في ظله

حرى وبردي لاهيا بتمتعي
حقل خصيب بالأمانى لم أزل
كالطير ألهو في ثراه وأرتاعي
قلب جهلت حنانه بطفولتي

وعرفته من قلبي المتندع
وتر أهز شعوره بعواطفي
فيثور في تياره المتدفع
ما كنتأشعر بالمتاعب كلها

حتى تناهى لحنه عن مسمعي
وكما اسلفنا في حق الأم بأن جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله
من أحق بحسن صاحبتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال
أمك قال: ثم من؟ قال: أبوك).
هذا الحديث يدل على أن لكل من الأبوين حقاً في المصاحبة الحسنة والعناية
التابعة بشؤونه) وصاحبها في الدنيا معروفاً (ولكن حق الأم فوق حق الأب بدرجات،
إذ لم يذكر حقه إلا بعد أن أكد حق الأم تمام التأكيد، بذكرها ثلاث مرات. وإنما علت
 منزلتها منزلته مع أنها يشتراكان في تربية الولد، هذا بهاله ورعايته، وهذه بخدمته في

طعامه وشرابه، ولباسه وفراشه وغير ذلك».

وفي الكافي في باب البر، سأله رجل: يا رسول الله، أي البر أ是最好的؟ قال: البرة الكرام؟.

ما حق الوالد على ولده؟ قال صلوات الله المتعال عليه وأله الطاهرين: لا يسمّيه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستتب له، الكافي، ج ٢، ص ١٢٧، الحديث ٥.

وقال رجل لرسول الله ﷺ: «إِنَّ أَبْوِي بَلْغًا مِنَ الْكَبِيرِ، وَإِنِّي أَلِي مِنْهُمَا مَا وَلَيَا
مِنِّي فِي الصَّغِيرِ، فَهَلْ قَضَيْتُهُمَا حَقَّهُمَا». قَالَ ﷺ: لَا فِإِنَّهُمَا كَانَا يَفْعَلُانِ ذَلِكَ وَهُمَا يَحْبَانِ
بِقَائِكَ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ وَأَنْتَ تَرِيدُ مَوْتَهُمَا».

ومن حسن المصاحبة للأبؤين الإنفاق عليهم طعاما وشرابا، ومسكنا ولباسا، وما إلى ذلك من حاجات المعيشة، إن كانوا محتاجين، بل إن كانوا في عيشة دنيا أو وسطي، وكانت في عيشة ناعمة راضية فارفعها إلى درجتك أو زد، فإن ذلك من الإحسان في الصحبة.

وذكر ما صنع يوسف مع أبيه وقد أُوقي الملك إذ رفعهما على العرش بعد أن جاء بهما من البدو.

على انه لو افترض أن الأب تعدى وقصر في واجب ابنه فإن حقه على الولد الطبيعي لا يسقطه شيء، وكبير لا يعادله شيء، فلقد تحمل الشدة لتكون في سعة والتعب والعنا ل تكون في راحة.

جاء إلى رسول الله ﷺ ذات يوم أب كبير السن يشكو إليه عقوق ولده فقال:
يا رسول الله كان ضعيفاً و كنت قوياً، وكان فقيراً و كنت غنياً، وقدمت له كل ما
يقدم الأب الحانى للابن المحتاج.

ولما أصبحت ضعيفاً وهو قوي، وكان غنياً وأنا محتاج، بخل على بهاله، وقصر

عني بمعرفه، ثم التفت الى ابنه منشدا:

غذوك مولودا وعلتك يافعا
 تعل بما أدنى إليك وتنهل
 إذا لبلة نابتك بالشكو لم أبت
 لشكواك إلا ساهرا أتململ
 كأنني أنا المطروق دونك بالذى
 طرقت به دوني وعيني تهمل
 فلما بلغت السن والغاية التي
 إليها مدى ما كنت منك أو عمل
 جعلت جزائي منك جبها وغلوظة
 كأنك أنت المنعم المتفضل
 فليتك إذ لم ترع حق أبوتي
 فعلت كما الجار المجاور يفعل
 فأوليتني حق الجوار ولم تكن
 علي بمال دون مالك تبخل
 فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (ما من حجر ولا مدر يسمع هذا
 إلا بكى) ثم قال للولد: (أنت ومالك لأبيك).

ولا تقتصر عقوب عقوق الوالدين على الآخرة بل ان تنجر الى الحياة الدنيا وهذه
 نماذج من آثار عقوب عقوق الوالدين:

١- قال سيدنا رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يدخلون الجنة: منهم : العاق.

٢- قال امير المؤمنين سلام الله عليه: من ظلم يتيمه عقّ اولاده.

٣- عن مولانا الصادق عليه افضل الصلاة والسلام: لا يدخل الجنة العاق

لوالديه، والمدمن من الخمر، والمنان بالفعال الخير اذا عمله.

٤- عن شيخنا المقيد بأسناده عن أبي اسحق الهمданى، عن أبيه، عن سيد المودحين أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، (قال) قال رسول الله ﷺ: ثلاثة من الذنوب تعجل عقوبها ولا تأخر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغى على الناس، وكفر الإحسان.

٥- وفي رواية (الكراجي): ملعون ملعون من ضرب والديه، ملعون من عق والديه، ملعون من قاطع رحمة.

٦- عن مولانا الباقر عليه الصلاة والسلام: ايكم والعقوق فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة مائه سنة، وما يجدها عاق ولا قاطع رحم.

وحيث اننا نتكلم عن العقوق فقد وجدت اثناء البحث هذه القصة العجيبة المنقوله عن الأصممي قال:

حدثني رجل من الأعراب قال:

خرجت من الحي أطلب أعق الناس، وأبر الناس، فكنت أطوف بالأحياء حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلوا لا تطيقه الإبل في الهجرة والحر الشديد، وخلفه شاب في يده رشاء (أي حبل) ملوى يضربه به، قد شق ظهره بذلك الحبل، فقلت: أما تتقى الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنه مع هذا أبي. فقلت: فلا جزاك الله خيراً. قال: اسكت فهكذا كان هو يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع.

فانظر كيف قيس الله لهذا الوالد العاق من أبنائه من يعقه! والجزاء من جنس العمل: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَيْدِ﴾ (فصلت: ٤٦).

ومن حسن الصحبة بل جماع أمرها ما ذكره الله بقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَبْعَدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يُلْغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَّاهُمَا فَلَا تُقْلِّ

هُمَا أَفْ وَلَا تَنْهِرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاحْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَنِي صَغِيرًا ﴿١﴾ فامنع عنهم لسان البداءة، ولو بالهبات الصغيرة، وجنبها أنواع الأذى، وألن لها قولك، واحفظ لها جناحك، وذلل لطاعتكم نفسك، وأذك في روحك العطف عليهما، والرحمة بها ورطب لسانك بالدعاء لها من خالص قلبك وقرارة نفسك، وقل: رب ارحمها كما رباني صغيرا، ولا تنس زيادة العناية بالأم، عملا بإشارة الوحي ومسايرة لنطق الحديث. وقد استنبط جمهور الفقهاء من الحديث تقديم الأم على الأب في النفقة إذا كان مال الولد لا يتسع إلا لواحد منها وقيل إنها سواء.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَنْ أَكْبَرَ الْكَبَائِرَ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالدِّيْهِ قَيْلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالدِّيْهِ؟ قَالَ: يَسِبُ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسِبُ أَبَاهُ، وَيَسِبُ أَمَّهُ».

قال الشاعر:

إن للوالدين حق علينا
بعد حق الإله في الاحترام
أوجданا وربينا صغارا
فاستحقنا نهاية الإكرام
كم أذيقا من الصغار هوانا
في رضانا وجرعا شر جام
كم ليال قد قضياها سهادا
قاوما ما بنا من الآلام
كم أرادا ولو بروحهما أن
يفديانا وأن نرى في سلام

وما اروع كلمات سيدنا علي ابن الحسين في دعائه لوالديه:

اللَّهُمَّ لَا تُنْسِنِي ذِكْرُهُمَا فِي أَدْبَارِ صَلَوَاتِي وَفِي أَنَاءِ لَيلِي، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ مِّنْ سَاعَاتِ نَهَارِي. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاغْفِرْ لِي بِدُعَائِي لَهُمَا، وَاغْفِرْ لَهُمَا بِرِّهُمَا بِي، مَغْفِرَةً حَتَّمًا وَأَرْضَ عَنْهُمَا بِشَفَاعَتِي لَهُمَا رَضِيَ عَزْمًا، وَبَلَّغْهُمَا بِالْكَرَامَةِ مَوَاطِنَ السَّلَامَةِ. اللَّهُمَّ وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لَهُمَا فَشَفَعْتُهُمَا فِيَّ، وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لِي فَشَفَعْنِي فِيهِمَا، حَتَّى نَجْتَمِعَ بِرَأْفَتِكَ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ وَمَحَلِّ مَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالْمُنْقَدِيرِ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

لئن كانت الكلمة الطيبة صدقة والتبسيم في وجه المؤمن عبادة فهما في حق الوالدين اوجب وأعظم.





حق الولد

رحلة حقوقية

من قصيدة تنسب للإمام أمير المؤمنين علي يعظ فيها ابنه الإمام الحسين عليه السلام :

أحسين اني واعظ ومؤدب
فافهم فأنت العاقل المتائب
واحفظ وصية والد متحنن
يغدوك بالأدب كيلا تعطب
أبني إن الرزق مكفول به
فعليك بالإجمال في ما تطلب
أبني إن الذكر فيه مواعظ
ومن الذي بعظامه يتأنب
والضيف أكرم ما استطعت جواره
حتى يعدك وارثا يتنسب
وأقل الكذوب وقربه وجواره
إن الكذوب ملطخ من يصحب
يعطيك ما فوق المنى بلسانه
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي
والنصح أرخص ما يباع ويوهب

ومن دعاء للإمام زين العابدين عليه السلام لولده:

اللَّهُمَّ وَمِنْ عَلَيْ بِقَاءٍ وُلْدِي، وَبِأَصْلًا حِلْمِي، وَبِأَمْتَاعِي بِهِمْ إِلَهِي أَمْدُدْلِي فِي
أَعْمَارِهِمْ، وَزِدْلِي فِي آجَاهِمْ، وَرَبْ لِي صَغِيرَهُمْ وَقَوْلِي ضَعِيفَهُمْ، وَأَصْحَّ لِي أَبْدَاهُمْ
وَأَدِيَّهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ.

إن هذه الرحلة الحقوقية الشاملة قلما تجد لها نظيرا في التاريخ البشري إنها رسالة حقوق الإمام زين العابدين الشاملة الكاملة. وبعد حقوق الأم والأب يرشدنا إمامنا إلى حقوق الأبن «الولد» لكي تكون المنضومة متكاملة في حقوق الرحم، فيعرف كل ذي حق حقه.

حق الولد

وَأَمَّا حَقُّ وَلَدِكَ فَتَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْكَ وَمُضَافٌ
إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَأَنَّكَ
مَسْئُولٌ عَمَّا وَلَيْتَهُ مِنْ حُسْنِ الْأَدْبِ وَالدَّلَالَةِ
عَلَى رَبِّهِ وَالْمُعْوِنَةِ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ فِيكَ وَفِي
نَفْسِهِ، فَمُثَابٌ عَلَى ذَلِكَ وَمُعَاقَبٌ، فَاعْمَلْ فِي
أَمْرِهِ عَمَلَ المُتَزَّيْنِ بِحُسْنِ أَثْرِهِ عَلَيْهِ فِي عَاجِلِ
الدُّنْيَا، الْمُعْذِرٌ إِلَى رَبِّهِ فِيهَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِحُسْنِ
الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَالْأَخْذُ لَهُ مِنْهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

تكررت لفظة الولد ومشتقاتها في القرآن الكريم «٤٥»، ولفظ بنات وابناء وابن بما يخص هذا المعنى «٧٨» مرة وكلها جاءت توضح ما لهؤلاء وما عليهم من الحقوق.

إن الولد إنما هو امتداد لحياة أبيه، واستمرار لوجوده، فهو بعضه بل هو

كله، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الإمام الزكي الحسن عليه السلام: ووْجَدْتُكَ بعْضِيْ، بَلْ وَجَدْتُكَ كَلِّيْ حَتَّىْ كَانَ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابِيْ، وَكَانَ الْمَوْتُ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِيْ، فَعَنَانِيْ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِيْنِيْ مِنْ أَمْرِ نَفْسِيْ.

وتلقي التربية الإسلامية العبر الكبير على الأب في تربية ابنه، وبين لنا عليه السلام ثلاثة أمور:

١- فيما بينه وبين نفسه فعل الأب أن يغرس في أعماقه التزارات الكريمة والصفات الشريفة، ويعوده على العادات الحسنة ويجنبه الرذائل.

٢- فيما بينه وبين ربه بأن يقيم له الأدلة على الخالق العظيم الذي بيده ملوكوت كل شيء.

٣- فيما بينه وبين المجتمع بأن يعمل في أمره عمل المترزن في حسن أثره بحسن القيام.

فإن قام بذلك فقد أدى واجبه نحو ابنه ونحو المجتمع بأسره لأن الإنسان الصالح لبناء في بناء المجتمع، وإن لم يقم بذلك فهو مسؤول أمام الله تعالى، ومعاقب على ذلك.

لم يقتصر اهتمام الإسلام بحقوق الأولاد وتربيتهم من بعد الولادة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فهذا هو ذا يحيث على اختيار التربة الصالحة والطهارة العائلية لوضع النطفة فيها، ورد في كتاب الطفل بين الوراثة والتربية لمحمد تقى فلسفى:

١- عن النبي ﷺ «أَنْظُرْ فِي أَيِّ شَيْءٍ تَضَعُّ وَلَدُكَ، فَإِنَّ الْعَرْقَ دَسَاسٌ»، وحينما تراجع المعاجم اللغوية في معنى «دسas» تجد أن بعضها - كالمنجد - يعلق على ذلك بالعبارة التالية: العرق دسas أي أن أخلاق الآباء تنتقل إلى الأبناء.

فهذا الحديث يتحدث عن قانون الوراثة بصرامة. ويعبر عن العامل فيها بالعرق. فالنبي ﷺ يوصي أصحابه ألا يغفلوا عن قانون الوراثة بل يفحصوا عن

التربة الصالحة التي يريدون أن يبذرها فيها، لكي لا يرث الأولاد الصفات الذميمة.

٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام «وحسن الأخلاق برهان كرم الأعراق» وهذا الحديث يثبت إمكان اكتشاف الطهارة العائلية للفرد من السجایا الفاضلة عنده.

وهذا على عليه السلام يتوجه لأخيه عقيل بن أبي طالب الذي كان نسابة عالماً بأخبار العرب وأنسائهم، فسألته أن يختار له زوجة «قد ولدتها الفحولة من العرب»، وكما جاء نصاً:

«ابغني امرأة وقد ولدتها الفحولة من العرب لأنزوجها لتلدي غلاماً فارساً»،
قال له (عقيل): أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية فإنه ليس في العرب
أشجع من آبائهما ولا أفرس».

وقد وصف حزام (جد العباس لأمه) في المصادر التاريخية بأنه «من أعمدة الشرف في العرب، ومن الشخصيات النابهة في السخاء والشجاعة وقربي الأضياف»، كما وصفت أسرتها بأنها من أجل الأسر العربية، وقد عرفت بالنجدة والشهامة، وقد اشتهر منهم جماعة بالنبل والبسالة. فتزوجها علي بن أبي طالب، وولدت له أربعة فرسان كانوا من أبرز أنصار الحسين عليه السلام في كربلاء، وابرزهم قمر بنى هاشم العباس بن علي عليهما السلام.

عندما حث الإسلام على بناء الأسرة، بنى الأسرة على مجموعة من الحقوق والواجبات، وهذه الحقوق والواجبات تتعلق بكل فرد من أفراد الأسرة، نعم ورد الحث الشديد على أداء الولد لحق الوالدين وهو من الحقوق العظيمة، ولكن الإسلام أكد أيضاً على حقوق الولد على والديه وهذه الحقوق تجمعها روايات وردت عن المتصومين عليهما السلام تفترض حقوقاً ترتبط بجوانب متعددة من الحياة الإنسانية، وجعل الإسلام من حرمان الولد من هذه الحقوق عقوفاً من قبل الوالدين للولد، فقد ورد عن رسول الله عليه السلام: «يلزم الوالدين من العقوق لولدهما - إذا كان الولد صالحًا - ما يلزم الولد لهم».

ومن هذه الحقوق:

١- تعلیم المهارات

عن رسول الله ﷺ: «حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة، والسباحة، والرمایة، وأن لا يرزقه إلا طيّباً». وإنما عنى بالكتابة العلم، وبالسباحة الرياضة، وبالرمایة القوة وأنها ليست مقتصرة على الأقوال وإنما تتجاوزها إلى المعنى. أي جميع فنون العلم كالطبيعية والصحية والسياسية والعسكرية، وجميع فنون الرياضة المرتبطة بعصرنا الحاضر، والفنون الحربية من التدريب على أحدث الأسلحة وآلات الحرب.

٢- اسم حسن وأدب حسن

عن رسول الله ﷺ: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويحسن أدبه». عن الإمام علي علیه السلام: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويحسن أدبه، ويعلم القرآن».

٣- تعلیم القرآن والعقيدة الصّحیحة

عن رسول الله ﷺ: «حق الولد على والده أن يحسن اسمه، ويزوّجه إذا أدرك، ويعلّمه الكتاب».

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: الزموا أولادكم وأحسنوا آدابهم، فإن أولادكم هدية إليكم.

وعن الإمام علي علیه السلام: «علّمو صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به».

٤- علّمه الصلاة

عن رسول الله ﷺ: «مرروا أولادكم بالصّلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر».

٥- حق قبل الولادة

عن الإمام الصادق عليه السلام: «تجب للولد على والده ثلاثة خصال: اختياره لوالدته، وتحسين اسمه، والبالغة في تأديبه». وهذا ما أشرنا إليه سابقاً.

٦- عنه على برك

عن النبي ﷺ: «رحم الله من أعاذه ولده على بره، وهو أن يغفو عن سيئته، ويذعن له فيما بينه وبين الله».

وعنه ﷺ: «رحم الله والدًا أعاذه ولده على بره، قال: قلت كيف يعينه على بره؟ قال: يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره ولا يرهقه».

٧- بـ بـ ولـ دـ

عن أبي عبد الله علیه السلام لرجل سأله: «من أبـ؟ قال: والديك، قال: قد مضيـ، قال: بـ ولـ دـ».

غير أن هذه التربية الخلاقـة يجب أن تتماشـى مع تطورات كل عصر بما يتطلب وإحتياجاتـه حيث كانت لعصور آبائـنا وأجدادـنا متطلـباتـ كما أن لعـصرـنا احـتـيجـاتـ ومتطلـباتـ وأيضاً سـيـكونـ لـعـصـورـ آـبـائـناـ وـأـحـفـادـناـ مـتـطـلـبـاتـ جـدـيـدةـ إـذـ أـنـ عـجـلـةـ الـعـلـمـ فـيـ تـقـدـمـ سـرـيـعـ فـلـاـ يـكـادـ يـمـرـ يـوـمـ إـلـاـ وـجـدـ فـيـهـ اـخـتـرـاعـ جـدـيـدـ أوـ تـطـوـرـ جـدـيـدـ فـعـلـيـهـ يـجـبـ أـنـ لـأـنـقـسـرـ أـبـائـناـ وـبـنـاتـناـ عـلـىـ عـادـاتـناـ وـأـخـلـاقـناـ، وـهـذـاـ مـاـ تـبـنـأـ بـهـ سـيـدـ الـبـلـغـاءـ الـذـيـ عـوـدـنـاـ التـجـدـيدـ فـيـهـ يـقـولـ وـنـهـجـهـ حـافـلـ بـمـثـلـ هـذـهـ الرـوـائـعـ.ـ قـالـ عـلـیـهـ السـلـامـ:

«لا تـقـسـرـ وـأـلـاـدـكـ عـلـىـ أـخـلـاقـكـ فـإـنـهـمـ خـلـقـواـ الزـمـنـ غـيرـ زـمـانـكـ».

ولـقـدـ كـانـ إـلـاـمـ يـرـميـ بـكـثـيرـ مـنـ أـقـوـالـهـ إـلـىـ بـنـاءـ الـأـمـةـ فـيـ مـسـتـقـبـلـهـاـ العـتـيدـ وـفـيـ نـهـجـهـ كـثـيرـ مـنـ آـرـائـهـ الـتـيـ أـشـارـ بـهـ إـلـىـ الـعـلـمـ وـالـفـنـونـ فـيـ الـعـصـورـ الـمـخـلـفـةـ حـتـىـ عـصـرـنـاـ الـحـاضـرـ، وـفـيـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ الـتـيـ يـدـورـ حـوـلـهـ بـحـثـنـاـ إـشـارـةـ صـرـيـحةـ إـلـىـ ضـرـورةـ التـطـوـرـ فـيـ الـحـيـاةـ، فـهـوـ يـرـيدـ أـنـ يـحـمـلـ النـاسـ حـمـلاـ عـلـىـ إـيمـانـ بـالـتـطـوـرـ، إـذـ لـوـ جـمـدـ الـأـبـنـاءـ عـلـىـ سـيـرـةـ

الآباء لكانوا إياهم خلقاً وخلقاً وهذا مغاير لسنن الطبيعة في التطور المفروض طبعاً على كل كائن.

وما عنى الإمام صفات الكرم والوفاء والتسامح والإباء وغيرها من السجايا النبيلة، فالإمام أسمى من أن ينهانا عن أن نفرض أو لا داعياً عليها ونلزمهم بها. بل عنى العادات والسجايا والتقاليد التي تلائم عصر الآباء ولا تتسرق للأبناء من وراء الرقي المفروض بداع التطور الطبيعي في الإنسان، ومثلاً على ذلك: إننا نحن الآباء درجنا في جيل مضى على أن نلبس الجلباب ونأكل باليدين ونضطجع أو ننام على الأرض، وأن نتخد من دورنا محافل وأندية للسمور والتندر.

قال الشاعر:

وإذا الأخلاق كانت سلما نالت النجم يد المتملمس
فارق فيها ترق أسباب السما وعلى ناصية الشمس اجلس
يقول الإمام الغزالي في رسالة أنجع الوسائل: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمالي به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وكن معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم؛ شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: [كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه].»

يضاف إلى ما ذكر سابقاً من حقوق الولد على أبيه:

١- إتباع السنة في استقبال المولود، لأن يؤذن في أذنه بعد ولادته، ويعده له العقيقة.

٢- عدم تسخط البنات، لأن الهدف هو إنجاب الذرية الصالحة، ولذاً كان أم بنتاً، فالولد الصالح يشمل الذكر والأنثى، وتسخط البنات اعترافاً في محله، وعدم رضى لما أعطى الله عز وجل، وهي بقية من الجاهلية؛ لأنهم كانوا يرغبون بالذكر

لأنهم محاربون ينفعونهم في الغزو والسلب والنهب، بينما تكون البنت عالة على الرجال في القبيلة، لأنها ليس محاربة، وهذا ضيق أفق وجهل قبلي، أليس المرة تلد الرجال المحاربين...!!؟ وكل عظيم وراءه امرأة كما قيل.

٣- أن يختار له والده مرضعة صالحة، وأفضلهم أمه التي أنجبته، لما للبنها من توافق مع الطفل، كما للرضاعة من الأم أثر طيب في النمو النفسي والعاطفي للطفل، وإن تعذر على الأم إرضاعه، فينبغي على الآبوبين البحث عن مرضعة ذات دين، لا تأكل حراماً ولا تقترب منه، فيستفيد الطفل عندئذ من حلبيها إن شاء الله وكان الإمام علي عليه السلام يقول تخروا للرضاع كما تخiron للنکاح فإن الرضاع يغير الطبع كما ان الإسلام امر الآباء وجعل من حقوق الأولاد عليهم أن يحسنوا اسماءهم ويحسنوها أدبهم.

٤- أن ترعاه أمه وتحضنه، - وخاصة خلال الطفولة المبكرة - ولا تركه للخدمات أو المربيات مهما أخلصن في عملهن، فالأم لا تعوض عند الطفل بالدنيا كلها.

٥- ألا يرزقه إلا طيباً، من الكسب الحلال، فقد روى الطبراني في الأوسط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء]

٦- أن يعلمه الصلاة ويدربه عليها في سن السابعة، ويواكب على هذا التدريب والتعليم حتى ترسخ عنده، ويصبحه إلى المساجد للصلاحة، وسماع الدروس، والمواعظ والجلوس عند العلماء.

٧- أن يكون الوالدان قدوة حسنة لأطفالهما في البيت وخارجيه، فالأطفال يتعلمون من اقتدائهم بأفعال والديهم أضعف ما يتعلمونه من أقوالهم.

٨- أن يعلمه آداب الإستئذان وسائر الآداب الإجتماعية، ويدربه عليها ويلقنه إياها بالقدوة والقول.

- ٩ - أن يوفر له الرفقة الصالحة، وينحطط بشكل غير مباشر ليضع ولده في بيته الصالحة، كالسكن بقرب أماكن العبادة، والمدرسة.
- ١٠ - أن يعوله حتى سن الرشد، وأن يعده للحياة في مجتمعه، فيدرسه ويدربه ويعلمه بما يلزم ليكون عنصراً صالحاً في المجتمع المسلم.
- ١١ - أن يعدل الوالدان بين أولادهم، فلا يفضلون أحدهم على الآخر، بل يساوون بينهم في الحب والعطف والمعاملة. وخاصة بين الذكور والإناث.
- ١٢ - أن يزوجه ويساعده على البحث عن الزوجة الصالحة ذات الدين، أو يبحث لابنته عن الزوج الصالح ذي الدين. وينفق على ولده أو ابنته من ماله الخاص - إن كان غنياً - من أجل الزواج وبناء أسرة مسلمة جديدة.
- ١٣ - أن يرشده بعد الزواج إلى سعادته في الدنيا والآخرة، وأن يزوره في بيته، ولا يضعف صلته به بعد زواجه وهذه بعض الإيضاءات بما تحتويه وتدل عليه بعض حقوق الأولاد:

أولاً: حق الولد في الاسم الحسن:

للبعض أسماء جميلة، تحمل معاني سامية، وتولد مشاعر جميلة، فتجذبك للشخص المسماً بها كما يجذب شذا الأزهار النحل، وللبعض الآخر أسماء سمحجة، مفرغة من أي مضمون، وتحس عند سماعها بالضيق والاشمئزاز، وما اعظم التأثير النفسي والاجتماعي للاسم الذي نطلقه على أطفالنا، ورد فيزيارة الجامعة» فما أحل أسمائكم وأكرم أنفسكم» فكأن الإناث متلازمان.

فكم من الأولاد قد أرق اسمه البشع ليه، وقض مضجعه، نتيجة الاستهزاء والازدراء الذي يلاقيه من مجتمعه، فيتملكه إحساس بالمرارة والتعasse من اسمه الذي أصبح قدرًا مفروضاً عليه، كالوشم على الجلد تصعب إزالته.

وهناك بالطبع نفوس قوية لم تسمح لسحابة الاسم السوداء أن تنقص حياتها،

فعملت على تغيير اسمها السيء، واستأصلته كما يستأصل الجرّاح الماهر خلية السرطان.

ولم يهمل الإسلام كدين يقود عملية تغيير حضارية كبرى شأن الاسم، وكان النبي ﷺ يقوم بتغيير الأسماء القبيحة، أو الأسماء التي تتنافى مع عقيدة التوحيد، واعتبر من حق الولد على والده أن يختار له الاسم المقبول.

فقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يَنْحُلُ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ الْاسْمُ الْحَسَنُ فَلِيُخْسِنْ أَحَدُكُمْ اسْمُ وَلَدِهِ).

وقد بين ﷺ في حديث آخر الأبعاد الأخروية المترتبة على الاسم، فقال ﷺ: (اسْتَحِسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ، فَإِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: قُمْ يَا فُلانَ ابْنَ فُلانَ إِلَى نُورِكَ، وَقُمْ يَا فُلانَ ابْنَ فُلانَ لَا نُورَ لَكَ).

إن علم النفس قد اكتشف - أخيراً - علاقة وثيقة بين الإنسان واسميه ولقبه، ويضرب علماء النفس لنا - مثلاً - رجلاً اسمه (صعب)، فإن دوام انصباب هذه التسمية في سمعه ووعيه، يطبع عقله الباطن بطابعه، ويسم أخلاقه وسلوكه بالصعوبة.

وذلك لا ريب هو سرّ تغيير الرسول أسماء بعض الناس، الذين كانت أسماؤهم من هذا القبيل، فقد أبدل باسم (حرب) اسم آخر هو (سمح)، فهناك - إذن - وحي مستمر توحيه أسمائنا ويلوّن إلى حدّ كبير طباعنا.

فالاسم ليس مجرد لفظ يكتب بالمداد على شهادة الميلاد، بل هو حق طبيعي للمولود، يعني هويته، وتفتح نفسه الغضة على مضمونه البديع، كما تفتح براعم الزهور في الربيع.

ثانياً: حق التأديب والتعليم:

لا شك أن السنوات الأولى من عمر الطفل هي أهم مراحل حياته، ومن هذا المنطلق يؤكّد علماء التربية على ضرورة الاهتمام الزائد بالطفل، وأهمية تأديبه

بالآداب الحسنة.

فقال الإمام علي عليه السلام مبيناً أهمية الأدب وأرجحيته على غيره: (خَيْرٌ مَا وَرَثَ الْأَبَاءُ إِلَّا بَنَاءَ الْأَدَبَ).

وسلط حفيده الإمام الصادق عليه السلام أصوات معرفية أقوى، فكشفَ عن العلة الكامنة وراء تفضيل الأدب على المال، بقوله عليه السلام: (إِنَّ خَيْرَ مَا وَرَثَ الْأَبَاءُ لِأَبْنَائِهِمْ الْأَدَبَ لَا الْمَالَ، فَإِنَّ الْمَالَ يَذَهِّبُ وَالْأَدَبُ يَمْكُرُ).

وي ينبغي الإشارة إلى أن موضوع (أدب الأطفال) قد احتلَّ مساحة واسعة من أحاديث أهل البيت عليهما السلام، فنجد تأكيداً على المبادرة إلى تأديب الأحداث قبل أن تقسو قلوبهم، ويصلب عودهم، لأن الطفل كورقة بيضاء تقبل كل الخطوط والرسوم التي تنتقش عليها. فيقول الإمام علي لولده الإمام الحسن عليهما السلام: (إِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَّةِ، مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ، فَبَادِرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لَبُوكَ).

ويمكن إبراز الخطوط الأساسية لمدرسة أهل البيت عليهما السلام في بيان تأديب الطفل وتعليمه في النقاط التالية:

الأولى: لا تقتصر تربية الأولاد على الآبوين فحسب، بل هي مسؤولية اجتماعية تقع أيضاً على عاتق جميع أفراد المجتمع، وحول هذه النقطة بالذات يقول الإمام الصادق عليه السلام: (أَئُمُّا نَاشِئُ نَشَأْ فِي قَوْمٍ ثَمَّ لَمْ يَؤَدِّبْ عَلَى مَعْصِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْلَ مَا يَعَاقِبُهُمْ فِيهِ أَنْ يُنِصَّصَ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ).

فرؤية أهل البيت عليهما السلام تتطوّي على ضرورة تأديب أفراد المجتمع - وخصوصاً الأحداث منهم - على الطاعة، وتميل إلى أن المسؤولية في ذلك لا تُنَاط بالوالدين فحسب، وإن كان دورُهم أساسياً، وإنما تَسْعَ دائِرَتِها لتشمل الجميع، فالسنة الاجتماعية بطبعتها تنطبق على الجميع بدون استثناء.

الثانية: من الضروري مراعاة عمر الطفل، فلكلّ عمر سياسة تربوية خاصة،

فمدرسة أهل البيت عليهم السلام سبقت المدارس التربوية المعاصرة بالأخذ بمبدأ (التدُّرُّج)، وهو مبدأ إِنْتَرَمَّتْ به المناهج التربوية المعاصرة، بعد أن أثبتت التجارب العملية فائدته وجدواه.

وهنا يبدو من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الأئمة عليهم السلام يتبنون بصورة عامة تقسيماً ثالثياً لحياة الطفل، ففي كل مرحلة من المراحل الثلاث، يحتاج الطفل لرعاية خاصة من قبل الأبوين، وأدب وتعليم خاص.

واستقرأنا ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المجال، وكشاهد على تبنيهم التقسيم الثلاثي نورد هذه الرواية:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبع سنين، وألزممه نفسك سبع سنين، فإن أفلح، وإن لا فإنه لا خير فيه).

فالمراحل الأولى: هي مرحلة لعب، والثانية مرحلة أدب.

والثالثة: مرحلة تبني مباشر للطفل، وملازمه كظله.

الثالثة: ينبغي عدم الإسراف في تدليل الطفل، واتباع أسلوب تربويٍّ يعتمد على مبدأ الثواب والعقاب، كما يحدّر أئمة أهل البيت عليهم السلام من الأدب عند الغضب.

فيقول الإمام علي عليه السلام: (لا أدب مع غَصَبٍ).

وذلك لأن الغضب حالة تحرك العاطفة ولا ترشد العقل، ولا تعطي العملية التربوية ثمارها المطلوبة، بل تستحق هذه العملية ما تستحقه الأمراض المزمنة من الصبر، والأناء، وبراعة المعالجة.

فالطفل يحتاج إلى استشارة عقلية متواصلة لكي يدرك عواقب أفعاله، وهي لا تتحقق - عادة - عند الغضب الذي يحصل من فوران العاطفة وتراججهما، وبدون الاستشارة العقلية المتواصلة لا تتحقق العملية أهدافها المرجوة، فتكون كالطريق على الحديد وهو بارد.

وهناك حق آخر للطفل مكمل لحقه في اكتساب الأدب، ألا وهو حق التعليم، فالعلم كالآدب وراثة كريمة، يحث أهل البيت عليهما السلام الآباء على توريثه لأبنائهم، فالعلم كنز ثمين لا ينفذ، أما المال فمن الممكن أن يتلف أو يسرق، وبالتالي فهو عرضة للضياع، ومن هذا المنطلق يقول الإمام علي عليهما السلام: (لا كنز أنفع من العلم).

ولما كان العلم في الصغر كالنقش على الحجر، يتوجب استغلال فترة الطفولة لكتاب العلم أفضل استغلال، وفق برامج علمية تتبع مبدأ الأولوية، أو تقديم الأهم على المهم، خصوصاً ونحن في زمن يشهد ثورة علمية ومعرفية هائلة، وفي عصر هو عصر السرعة والتخصص.

ولقد أعطى أهل البيت عليهما السلام لتعلم القرآن أولوية خاصة، وكذلك تعلم مسائل الحلال والحرام، ذلك العلم الذي يمكنه من أن يكون مسلماً يؤدي فرائض الله المطلوبة منه.

وللتدليل على ذلك نجد أن من وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام: (ابتدأتك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحالاته وحراسته، لا أحجاوز ذلك بك إلى غيره).

وفي هذا الصدد نقطة جوهرية كانت مثار اهتمام الأئمة عليهما السلام، وهي ضرورة تحسين عقول الناشئة من الاتجاهات والتيارات الفكرية المنحرفة من خلال تعليمهم علوم أهل البيت عليهما السلام واطلاعهم على أحاديثهم، وما تتضمنه من بحثٍ راخص بالعلوم والمعارف.

وحول هذه النقطة بالذات، يقول الإمام علي عليهما السلام: (علموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به لا تغلب عليهم المرجئة برأيها). والمقصود من المرجئة أي فكر أو تيار منحرف في أي زمان ومكان لا فكر أو تيار بعينه.

حق العدل والمساواة:

إنَّ النَّظِيرَةَ التَّمِيِّيَّةَ لِلْأَطْفَالِ - وَخُصُوصًا بَيْنَ الذَّكْرِ وَالْأَنْثَى - تَزْرُعُ بِذُورِ

الشقاق بين الأشقاء، وتحفر الأخاديد العميقه في مجـرى العلاقة الأخوية بينها.

فالطفل ذو نفسية حساسة، ومشاعره مرهفة، فعندما يحس أن والده يهتم كثيراً بأخيه سوف يطفح صدره بالحقد عليه.

وقد يحدث أن أحد الوالدين أو كليهما يحب أحد أولاده، أو يعطـف عليه - لسبب ما - أكثر من أخيته، وهذا أمر طبيعي وغريزي، ولكن إظهار ذلك أمام الأخوة، وإيـشار الوالدين للمحبوب بالاهتمام والهدايا أكثر من أخيته، سوف يؤدي إلى تعميق مشاعر الحزن والأسى لدى الآخرين، ويفرز مستقبلاً عاقبـته قد تكون وخيمة.

وعليـه فالالتزام العـدالة والمسـاواة بين الأولـاد يكون أـشبـه بـمانـعة الصـواعـقـ، إذ تـخيـلـ العـدـالـةـ وـالـمـساـواـةـ منـ حـصـولـ أـدـنـىـ شـرـخـ فيـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ أـفـرـادـ الـأـسـرـةـ، وـإـلـاـ فـسـوـفـ تـكـوـنـ عـامـلـاـ مـشـجـعاـ لـانـطـلـاقـ مشـاعـرـ الغـيـرـةـ وـالـحـقـدـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ.

وهـنـاكـ عـدـدـ شـوـاهـدـ مـنـ السـنـةـ النـبـوـيـةـ تعـطـيـ وـصـاـيـاـ ذـهـبـيـةـ لـلـوـالـدـينـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ، وـتـكـشـفـ عـنـ الـحـقـوقـ الـمـتـبـادـلـةـ بـيـنـ الـجـانـبـيـنـ، حـيـثـ يـلـزـمـ الـوـالـدـ مـنـ الـحـقـوقـ لـوـلـدـهـ مـاـ يـلـزـمـ الـوـلـدـ مـنـ الـحـقـوقـ لـوـالـدـ.

فيـقـولـ ﷺـ: (إـنـ هـمـ عـلـيـكـ مـنـ الـحـقـ أـنـ تـعـدـلـ بـيـنـهـمـ، كـمـ أـنـ لـكـ عـلـيـهـمـ مـنـ الـحـقـ أـنـ يـرـبـوـكـ). وـأـيـضـاـ يـقـولـ ﷺـ: (أـعـدـلـوـاـ بـيـنـ أـوـلـادـكـمـ فـيـ النـحـلـ - أـيـ: الـعـطـاءـ - كـمـ تـحـبـونـ أـنـ يـعـدـلـوـاـ بـيـنـكـمـ فـيـ الـبـرـ وـالـلـطـفـ).

فـهـنـاـ نـجـدـ نـظـرـةـ أـرـحـبـ وـأـعـقـمـ لـلـحـقـ، فـكـمـ أـنـ لـلـأـبـ حـقـ الـبـرـ، عـلـيـهـ بـالـمـقـابـلـ حـقـ الـعـدـالـةـ، فـالـحـقـوـقـ يـحـبـ أـنـ تـكـوـنـ مـتـبـادـلـةـ، وـكـلـ يـتـوجـبـ عـلـيـهـ الإـيـفـاءـ بـالـتـزـامـاتـهـ.

وـيـمـكـنـ التـدـلـيلـ عـلـىـ عـمـقـ النـظـرـةـ النـبـوـيـةـ مـنـ قـوـلـهـ ﷺـ: (إـنـ اللـهـ تـعـالـىـ يـحـبـ أـنـ تـعـدـلـوـاـ بـيـنـ أـوـلـادـكـمـ حـتـّـىـ فـيـ الـقـبـلـ).

صـحـيـحـ أـنـ الـقـاعـدـةـ الـعـامـةـ فـيـ الـإـسـلـامـ تـجـاهـ الـأـبـوـيـنـ هـيـ قـاعـدـةـ الـإـحـسـانـ لـاـ قـاعـدـةـ الـعـدـلـ، فـلـاـ يـسـوـغـ لـلـابـنـ أـنـ يـقـولـ: إـنـ أـبـيـ لـاـ يـعـطـيـنـيـ فـأـنـاـ لـاـ أـعـطـيـهـ، أـوـ: إـنـهـ لـاـ

يحترمني فلا أحترمه، ذلك أن الأب هو السبب في منح الحياة للولد، وهو أصله. ولكن الصحيح أيضاً هو أن يتبع الآباء مبدأ العدل والمساواة في تعاملهم مع أولادهم، ليس فقط في الأمور المعنوية من إعطاء الحنان والعطف والتقبيل، بل أيضاً في الأمور المادية في العطية.

فقد أوصى النبي الأكرم ﷺ الآباء بقوله: (سَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُنفِضُّونَ أَهْلَدِكُمْ فَلَوْ كُنْتُ مُفْضِلاً أَحَدًا لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ).

نماذج من وصايا الآباء

وصايا لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقَمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعْظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَا إِنْسَانٌ بِوَالِدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّ عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِيَكَ إِلَيَّ الصِّيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَاتَّبِعْ سَيِّلَ مَنْ أَنْبَابَ إِلَيَّ تُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَنْبِيُّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمُعْرُوفِ وَانْهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصْرِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٣-١٩)

وصايا أمير المؤمنين علي لأبنه الحسن ع:

ورد في تحف العقول: من الوالد الفنان المقر لليزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر، الذام للدنيا، الساكن مساكن الموتى، إلى المولود المؤمل مala يدرك السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسماق ورهينة الأيام. فإني أوصيك بتقوى الله أي بني ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره والإعتماد بحبه. أي بني لما رأيتكم قد بلغتم سنكم ورأيتنكم أزيداد وهنا، بادرت بوصيتي ايها خصالاً منهن بالأدب قبل أن يقسوا قلبك ويستغل لكم ل تستقبل بجد رأيك. فتفهمهم أي بني وصيتي وأعلم أن مالك الموت هو

مالك الحياة وأن الخالق هو الميت وأن المفني هو المعيد. وأعلم أن من الكرم الوفاء بالذمم والدفع عن الحرم والصدود آية المقت وكثرة العلل آية البخل. والوصية طويلة وثرية بالحكم والمعاني ومن مقطوعة شعرية للعلامة الشيخ مرزا محمد الخليلي يوصي بها ولده:

وصية بر فيها الوالد الولدا
فالفكر إن لم يجد تنبية رقدا
فالذهن إن لم يجد تحريكه خمدا
وهذب النفس بالعرفان والجسدا
ما كان أنشأ هذى الكائنات سدى
لخير دين به الرحمن قد عبدا
غدا بدار بها قد فاز من حصدا
العقبى لدنيا جناحها ضنى وردى
الدنيا إلى الدين عن عقل له وهدى

بني أوصيك نلت العز والرشدا
فكراً تجد سبل الغايات واضحة
واعمل ولا تتكل إن رمت نيل مني
كن ابن من شئت لا تنظر إلى سلف
وامسك بدينك واعلم أن خالقنا
وافخر بدين الهدى إذ صرت متبعا
وحسن الزرع في الدنيا لتحصده
فليس بالعقل المرموق من ترك
 وإنما الكيس الفذ الذي جمع

ما اجملك يا زين العابدين كأبن بار بواليه ووالد قد ربى أبنائه فهذا ابنه زيد
الشهيد خير انموذج للتربية الصالحة، ألا ترون انه من عظمته وعلمه أصبح له مذهب
يؤتمن به.

يقول سلام الله عليه في دعائه لأولاده:

«وَاجْعَلْهُمْ أَبْرَارًا أَتَقِيَاءَ بُصَرَاءَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ لَكَ وَلَا وَلِيَائِكَ مُحِبِّينَ مُنَاصِحِينَ،
وَلِجَمِيعِ أَعْدَائِكَ مُعاِنِدِينَ وَمُبْغِضِينَ آمِينَ。 أَللَّهُمَّ اشْدُدْهُمْ عَصْدِي، وَأَقِمْهُمْ أَوَدِي،
وَكَثِّرْهُمْ عَدَدِي، وَزَيِّنْهُمْ مَخْضُرِي، وَأَحْسِبْهُمْ ذُكْرِي، وَأَكْفِنِي بِهِمْ فِي غَيْبِي وَأَعْنِي
بِهِمْ عَلَى حَاجَتِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي مُحِبِّينَ، وَعَلَيَّ حَدِيبِينَ مُقْبِلِينَ مُسْتَقِيمِينَ لِيْ، مُطِيعِينَ عَيْرَ
عَاصِينَ وَلَا عَاقِينَ وَلَا مُخَالِفِينَ وَلَا خَاطِئِينَ، وَأَعِنِي عَلَى تَرْبِيَتِهِمْ وَتَأْدِيَبِهِمْ وَبِرْهُمْ».

حق الاخ

رحلة حقوقية

نادي رسول الله ﷺ علي ابن أبي طالب ليلة الهجرة وقال له إن الله عز وجل
أمرني أن أهاجر وأمرني أن أضجعك مكاني فما أنت صانع، قال أوى تسلم يا رسول
الله، قال نعم، قال إذاً روحني لروحك الفداء ونفسني لنفسك البقاء.
ومناقب لك دون احمد
جاوزت بمقامك التعديدا والتحديدا
فعلى الفارش مبيت ليك
والعدى تهدي إليك بوارقا ورعودا
فرقدت مثلوج الفؤاد كائنا
يهدي القراء لسمعك التغريدا
ووقيت ليلته وبت معارضها
بالنفس لا فشلا ولا رعديدا

لم يعرف تاريخ الإنسانية أخوة في الإيمان كما عرفها في الإسلام والمسلمين، ولم يعرفها تحديداً كما عرفها في علي ابن أبي طالب وفي رسول الله وفي أولادهما صلوات الله وسلامه عليهما وألهما.

أي أخوة تلك التي جعلها رسول الله علیٰ فی يومن الدار فی يومن الإنذار «وانذر عشيرتك الأقربين» حيث قال رسول الله ﷺ **فَأَيُّكُمْ يُوازِرُنِي عَلَىٰ أُمْرِي هَذَا وَيَكُونُ أَخِي وَوَصِيٌّ وَخَلِيفَتِي فِيهِمْ؟**

فَأَحْجَمَ الْقَوْمَ عَنْهَا جَمِيعاً. ويقول علي:

فَقُلْتُ وَأَنَا أَحْدُثُهُمْ سَنَّاً: يا نبیٰ الله، أکون وزیرک علیه.

أي أخوة هذه التي تجعل عليٰ بیت فی فراش رسول الله ليلة الهجرة وهو فی مقبل العمر يفديه بنفسه ويعرض نفسه إلی أربعین سیفا من أشد وأحد سیوف المشرکین.

إنها أخوة الإیمان التي تعلوا علی أخوة النسب والتي لا تعلوها أخوة.

مثال آخر مشرق للأخوة وينبع من نفس المشکاة، إنها مشکاة عليٰ و محمد، أخوة الدين والنسب معاً، الأخوة التي يكل اللسان ويقف عن وصفها عاجزاً منها قال، إنها أخوة العباس ابن عليٰ أبی طالب وأخيه الحسین سید شباب أهل الجنة. والتي تجسست فی يوم عاشوراء والتي جسدتها العباس علیٰ يوم تکّن من النهر، ورفض شرب الماء، وأثر آخاه علی نفسه رغم شدة عطشه، تلك الحادثة التي يرصدها الشاعر بن نصار:

شلون أشرب وخوي حسین عطشان
وسکنة والحرم وأطفال رضعان
وظن قلب العلیل إلتهب نیران
يریت المای بعده لا حلہ ومز

آیة مواساة، أي أخوة هذه بين العباس والحسین التي تمنعه من شرب الماء في ذلك الموقف الرهيب حيث لا مشاهد ولا رقیب، نعم إنها أخوة الإیمان.

تعالوا معالرى لماذا هذه الأخوة التي تجعل العباس تقطع أعضاؤه وتزهق

نفسه فيها، حيث يقول العباس سلام الله عليه:
**والله إن قطعتموا يميني إني أحامي أبداً عن ديني
 وعن إمام صادق اليقين سبط النبي المصطفى الأميني**

فهو يحامي عن الدين أولاً وثم عن الحسين لأنه يمثل ويجسد هذا الدين.

سفينتنا هذه المرة سوف ترسى على شاطئ مهم من شواطئ الحقوق من رسالة صادق السر الإمام زين العابدين. إنه حق الأخوة أو حق الأخ وهو آخر حق من حقوق الرحمن.

حق الأخ

وَأَمَّا حَقُّ أَخِيكَ فَتَعْلَمَ أَنَّهُ يَدْكَ التَّيْ تَبْسُطُهَا،
 وَظَهَرُكَ الَّذِي تَلْتَحِي إِلَيْهِ، وَعِزْكَ الَّذِي
 تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَقُوَّتُكَ التَّيْ تَصُولُ بِهَا، فَلَا
 تَتَخَذْهُ سِلَاحًا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا عَدَّهُ
 لِلظُّلْمِ بِحَقِّ اللَّهِ، وَلَا تَدْعُ نُصْرَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ
 وَمَعْوَنَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ وَالْحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيَاطِينِهِ
 وَتَأْدِيَةِ النَّصِيحَةِ إِلَيْهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ فِي اللَّهِ فَإِنْ
 انْقَادَ لِرَبِّهِ وَأَحْسَنَ الإِجَابَةَ لَهُ وَإِلَّا فَلَيْكُنْ اللَّهُ
 آثَرُ عِنْدَكَ وَأَكْرَمُ عَلَيْكَ مِنْهُ.

تكررت كلمة أخ في القرآن الكريم بمختلف صيغها ٨٦ مرة، وكعادة القرآن إنما تكرر الألفاظ للعناية والإهتمام والإلتفات لهذا الأمر.

مفهوم الأخوة، الأخوة في اللغة:

أخ: الأصل «أخو»، وهو المشارك آخر في الولادة من الطرفين، أو من أحد هما،

أو من الرّضاع، ويُستعار في كُل مشارك لغيره في القبيلة، أو في الدّين، أو في صنعة، أو في معاملة، أو في موَدَّة، وفي غير ذلك من المناسبات، والأخت: تأنيث الأخ، وجعل التاء فيه كالعوض من المذوق منه.

وسمّي الأخ أخاً - كما قاله بعض النحوين - لأنّ قصده قصد أخيه، وأصله من وَحْيٍ؟ أي: قَصَد.

فالأخوة إما أن تطلق على الأخوة في النسب: الأشقاء أو غير الأشقاء؛ كالإخوة لأم، أو الإخوة لأب، أو الإخوة من الرضاعة، وإما أن تطلق استعارة، ويدخل تحتها أنواع عديدة، كما جاء في القرآن الكريم.

بين الإمام في هذا المقطع الرائع فائدة الأخ وما هي حقوقه، وما فوائده:

- يد يبسط بها

- وظهر يلتजأ إليه

- وعز يعتمد عليه

- قوة يصل إلى

وكل هذه كنایة عن القوة التي يمكن أن يمنحها الأخ، على أن هذه القوة يجب أن تستثمر في المكان والزمان الصحيحين كما بينها إمامنا عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- أن لا يتخذه سلاحا وعدة لظلم الناس وعلى معاصي الله

- نصرته على نفسه

- الحول بينه وبين شيطانه

كل ذلك مع أداء النصيحة إليه ونصرته على عدوه على أن يكون ذلك كلّه في الله والله وإن الله أكرم وأثر منه ومن كل شيء.

والأخوة أخوتان أخوة في النسب وأخوة في الدي، وإن اجتمعت الأخوتان

فذلك غاية المرام وعز الطلب وإلا فإن أخوة الدين مقدمة على أخوة النسب، مع الإبقاء والحفظ على الحقوق الأخرى للأخوة.

بعد هذه المقدمة البسيطة لنذهب معا ونرى ما هي حقوق كلا النوعين من الأخوة، أخوة النسب وأخوة الإيمان.

أولاً: أخوة النسب

إن الأخ الذي اشتراك معه في وعاء واحد وتغذيت معه من دم واحد ورضعت معه من ثدي واحد ونممت في نفس الحضن الذي نام فيه وولدت معه من أب وأم واحدة هو أولى بك بالإهتمام به وتأدية حقوقه عليك.

ولقد بين لنا القرآن الكريم وأوضح مكانة الأخ وكيف أنه هو الساعد الأول والسلاح الذي يتقوى به.

قال تعالى على لسان النبي موسى عليه السلام :

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةَ مِنْ لَسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (طه: ٢٥ - ٣٥).

وقال تعالى:

﴿قَالَ سَنَشِدُ عَصْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (القصص: ٣٥).

لذلك كله على الأخ واجبات كثيرة نحو أخوته نذكر أهمها:

١ - يجب عليه محبتهم واحترامهم وحسن معاملتهم، لأنهم أقرب الناس إليه بعد أبويه، وأن يجب لهم ما يجب لنفسه، عملا بالحديث الشريف: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يجب لنفسه».

٢ - عليه أن يعتبر الأخ الأكبر في منزلة الوالد، فيعامله بالأدب والمعروف، وأن

يذعن لنصائحه، ويعمل بإرشاداته النافعة.

٣ - عليه أن يعامل إخوته الأصغر باللطف والإحسان، وأن يشفق عليهم ولا يتسبب في ضررهم أو أذاهم، وأن يكون لهم مثال الاحترام والوقار وعنوان الاستقامة والاعتبار، فلا يشتمهم، ولا يأخذ من أيديهم بغير رضاهم، لأن ذلك يسوءهم ويغضب والدهم، وله إذا رأى منهم أمراً غير لائق أو خارجاً عن حد الأدب أن ينهاهم عنه باللطف واللين، وأن يعرفهم ضرره ويرسلهم إلى طريق الخير والصواب.

٤ - يجب أن يكون عضداً ونصيراً لإخوته في كل ملمة، غير متظر في ذلك سؤالاً منهم، يساعدهم بما في قدرته، وأن يسعى لما فيه مصلحتهم على قدر طاقته، وعليه أيضاً المحافظة على أسرار إخوته، وأن لا ينقل عنهم شيئاً يلحق بهم ضرراً وإن كان عدواً لهم، وأن يكون صادقاً معهم قوله وفعلاً.

٥ - ليجتنب الأخ معاداة إخوته، والوقوع معهم في مشاحنات أو مخاصمات أو منافسات، طمعاً في ميراث أو ثروة يرثها عن والده فيقضي وقته، وينفق أمواله في ما لا يرضي الله، وبذلك يسىء إلى نفسه وإلى إخوته، وإلى سمعة أبيهـم ويحط من شرف أسرتهـ، ول يكن على الدوام معهم في وفاق واتحادـ، لا في نزاع واختلافـ، ليعيش معهم في راحة ومسرة وهناءـ: قال رسول الله ﷺ: «مثـلـ الأخـوـيـنـ مـثـلـ الـيـدـيـنـ تـغـسـلـ إـحـدـاـهـاـ الـأـخـرـىـ».

وما أجمل ما قال هذا الشاعر في الأخوة:

وليس أخي من ودني بلسانه ولكن أخي من ودني في النواكب
ومَنْ مَالُهُ مَالِيْ إِذَا كَنْتُ مَعَدَمًا وَمَالِيْ لَهُ إِنْ عَضَ دَهْرٌ بَغَارِبٍ

ويستر ما تأتي من السوء والقبح أخوك الذي يحميك في الغيب جاهداً
ويُغضي ولا يألفوا من البر والنصر وينشر ما يُرضيك في الناس معلناً

يروى أن أحد العرب قد عاد إلى بلده بعد سنين من الإنقطاع، وبينما هو وارد عند مدخل البلدة إذ برجل يعرفه فسلم عليه وأخذ يسأله عن أهله.

قال المسافر: ما فعلت أخي؟

فرد عليه: آجرك الله فقد ماتت.. !!

قال: أذهب الله هي وملكتي نفسي.. !! ما فعلت أخي؟؟

فرد عليه لقد مات..

قال: ستر الله عورتي.. ! ما فعلت زوجتي؟؟

فرد: لقد ما تت أيضًا..

قال: جدد الله فراشي.. !! ما فعل أخي؟؟

فرد: لقد مات أيضًا..

قال: الآن ضعف جنبي.. ووهنت قوتي.. وأستمرأ على عدوبي...!!

ولله در القائل:

فالأخ هو العون في الشدة - بعد الله تعالى - والمغيث في الكرب - أيضًاً بعد الله تعالى.

ثانياً : أخوة الدين

ثبتت رابطة الأخوة بين المؤمنين بقوله تعالى ذكره ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فهي رابطة بعقد الله سبحانه وتعالى، وإن أول ما يميز هذه الرابطة أنها في ذاته سبحانه وتعالى، فمفهوم الأخوة الإسلامية هي امتداد لمحبة الله تعالى وتوحيده، فالمحبة والموالاة للمؤمنين هي لازم لمحبة الله وموالاته، فمن أحب الله وولاه لا بد أن يحب من يحبه الله سبحانه وتعالى ومن يقرب من الرسل والصديقين والمؤمنين.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكُمْ بَعْضٌ﴾ (التوبه: ٧١)، هكذا بهذا العموم، فالأخوة الإيمانية تفتح لكل موحد باب عظيم للأخوة في كل أنحاء الأرض، وما أجمله من شعور، أن نشعر بأن كل موحد على وجه الأرض هو أخي لنا، له من الحقوق ما له وعليه من الواجبات ما عليه، في أي بقعة كان ومن أي شعب أو لغة كان ما دام على عقده وميثاقه التوحيد مع الله سبحانه وتعالى، فالأخوة الإيمانية فوق كل الحواجز والعائق الأرضية، وفي هذا إلماحة إلى ضلال أولئك الذين يفرقون المسلمين والمودعين على أساس ولاءات عصبية، وجنسيات وتابعيات مقيمة، تفتت الأمة وتمزقها، وتضع الحدود التي تفصل بين أبنائها.

ورحم الله القائل:

يا أخي المسلم في كل مكان وبلد أنت مني وأنا منك كروح في جسد هذه الأخوة هي روح الإيمان الحي ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم ويحييا لهم، فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة أو روح واحدة حلّت في أجسام متعددة.

وحيثما كان المسلمون ينعمون بهذه الروح العالية كانوا كالجسم الواحد يتشاركون في واجبات الحياة وينهضون بتوكاليفها من أيسير تكليف، ويحملون روح التضحية في سبيل المجموع وقد تجلّى ذلك واضحاً بعد المآخاة التي أنسّها رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة.

حتى أن القرآن امتدح هذه الأمة قائلاً: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ﴾ تجلّى هذا الواقع المشرق المضيء المنير يوم أن آخى النبي ابتداءً بين المودعين في مكة، على الرغم من اختلاف ألوانهم وأشكالهم، وألسنتهم وأوطانهم، آخر بين حمزة القرشي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي وأبي ذر الغفاري،

وراح هؤلاء القوم يهتفون بهذه الأنشودة العذبة الحلوة.

أبى الإسلام لا أبَ لِي سُوَاهٌ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمٍ راحوا يرددون جميـعاً بلسان رجل واحد قول الله عز وجل:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوهَا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

(الحجرات: ١٠). هذه هي المرحلة الأولى من مراحل الإخاء.

وأخرج الترمذى عن ابن عمر قال: آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه، فجاء علي تدمى عيناه، فقال: يا رسول الله: آخيت بين أصحابك، ولم تواخ بيـني وبين أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

وكان ﷺ يقول :

أخاك أخاك إن من لا أخاله ك ساع إلى الهيجا بغـير سلاح
وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن عباس قال: كان علي يقول في حياة رسول الله ﷺ، إن الله يقول: **﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾**، والله لا نقلب على أعقابنا، بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل، لأقاتلـن على ما قاتلـ عليه حتى أموت، والله إني لأنـ خوه ووليـه، وابنـ عـمه، ووارثـ عـلمـه، فمن أحـقـ بهـ منـيـ).

ثم آخى النبي - ثانيا - بين أهل المدينة من الأوس والخزرج، بعد حروب دامية طويلـة، وصراعـ مرـميرـ، دمرـ فيهـ الأخـضرـ والـليـاسـ.

ثم آخى رسول الله بين أهل مكة من المهاجريـنـ وبينـ أـهـلـ المـدـيـنـةـ منـ الـأـنـصـارـ، فيـ مـهـرـجـانـ حـبـ لمـ ولـنـ تـعـرـفـ الـبـشـرـيـةـ لـهـ مـثـيـلاـ، تصـافـحتـ فـيـهـ القـلـوبـ، وـامـتـرـجـتـ فـيـهـ الـأـرـوـاحـ.

وأما عن حقوق هذه الأخوة فهي كثيرة جداً ونحن نقتصر على أهمها والجدير بالذكر أن هذه الأخوة قد طبقها المسلمون في واقعهم الحياتي تطبيقاً عملياً وقد مرت علينا أمثلة كثيرة، واستمر هذا التطبيق على مر التاريخ كما سيمر علينا، ومنها:

- أن تحب لنفسك ما تحب وتكره له ما تكره لها، عن أبي عبد الله عليه السلام (في حديث) قال: قال رسول الله عليه السلام: ست خصال من كن فيه كان بين يدي الله عز وجل وعن يمين الله فقال له ابن أبي يعفور: وما هن جعلت فداك؟ قال: يحب المرء المسلم لأن أخيه ما يحب لأعز أهله، ويكره المرء المسلم لأن أخيه ما يكره لأعز أهله، ويناصحه الولاية (إلى أن قال): إذا كان منه بتلك الممتزلة بـه هم ففرح لفرحه إن هو فرح، وحزن لحزنه إن هو حزن، وإن كان عنده ما يفرج عنه فرج عنه، وإن دعا له.

- أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره

- أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك

قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الأخوان فقال: «الأخوان صنفان: إخوان الثقة وإخوان المكاشرة. فأما إخوان الثقة فهم كالكف والجناح والأهل والمال، وإذا كنت من أخيك على ثقة فابذل له مالك ويدك، وصاف من صافاه، وعاد من عاداه واكتم سره وأعنده، واظهر منه الحسن، واعلم أيها السائل أنهم أقل من الكبريت الأحمر.

وأما إخوان المكاشرة: فإنك تصيب منهم لذتك ولا تطلبن ما وراء ذلك وابذل ما بذلو لك من طلاقة الوجه وحلاؤه اللسان».

وأخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين، لا تناصر العصبيات العمياء بل تناصر المؤمنين المصلحين لِإحقاق الحق وإبطال الباطل، وردع المعتمدي وإجارة

المهضوم، فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده في معرتك، بل لا بد من الوقوف بجانبه على أي حال: لإرشاده إن ضل، واحتجزه إن تطاول، والدفاع عنه إن هوجم والقتال معه إذا استبيح... وذلك معنى التناصر الذي فرضه الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قال: أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجزه عن ظلمه فذلك نصره». وفي حديث آخر روي عن النبي ﷺ: (من مشى مع مظلوم حتى ثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام».

- أن تكون عينه ودليله ومرآته، قال الإمام الصادق علیه السلام المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه. وعن أبي عبد الله عليهما السلام أخو المسلمين هو عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه).

- ألا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمه ولا تلبس ويعرى، فعن الباقر علیه السلام (من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته ويواري عورته، ويقضى دينه فإذا مات خلفه في أهله وولده).

- في حال كان لك خادم وليس له خادم فواجب أن تبعث خادمك فتغسل ثيابه وتضع طعامه وتنهد فراشه.

- أن تبرقسه وتحبب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته وإذا علمت له حاجة تبادر إلى قضائها، ولا تلتجئ إلى أن يسلكها ولكن تبادره مبادرة فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتها ولايتها بولايتك.

جاء في شرح رسالة الحقوق للقبانجي كما في الوسائل عن ميمون بن مهران قال: كنت جالسا عند الحسن بن علي (صلوات الله وسلامه عليه) فأتاه رجل فقال: يا ابن رسول الله إن فلانا له علي مال ويريد أن يحبسني. فقال: «والله ما

عندى مال فأقضى عنك قال فكلمه. قال: فلبس عليه السلام نعله. فقلت له أنسىتك اعتكلافك. فقال له: لم أنس ولكنني سمعت أبي يحدث عن جدي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال: «من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنما عبد الله عز وجل تسعة آلاف سنة صائمًا نهاره قائماً ليله».

وهذا الحديث يصور إعزاز الإسلام لعلاقة الإخاء الجميل، وتقديره العالي لضرور الخدمات العامة التي يحتاجها المجتمع لإرساء أركانه وصيانته. لقد آثر الإمام عليه السلام أن يدع اعتكلافه، والاعتكلاف عبادة محضة رفيعة الدرجة عند الله لأنها استغراق في الصلاة والصيام والذكر، ثم هو في مسجد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه حيث يضاعف الأجر ألف مرة فوق المساجد الأخرى. ومع ذلك فإن جوهر الإسلام جعله يدع ذلك ليقدم خدمة إلى مسلم يطلب العون. هكذا تعلم من رسول الله.

وملخص القول أن على المسلم زكاة في كل ما آتاه الله وعليه بذلها في مصلحة الإخوان والمجتمع ونصرة المظلومين، فزكاة الجاه والسيادة أن تسعي بها في قضاء حوائج الأشخاص، وزكاة العلم نشره، وهكذا، وجاء في مستدرك سفينة البحار ج ٤، عن أمير المؤمنين أنه قال: «زكاة العلم نشره، زكاة الجاه بذله، زكاة الحلم بالإحتمال، زكاة المال الإفضال، زكاة القدرة الإنفاق، زكاة الجمال العفاف، زكاة الظفر الإحسان، زكاة البدن للجهاد والصيام، زكاة اليسار بر الجيران وصلة الأرحام، زكاة الصحة السعي في طاعة الله، زكاة الشجاعة للجهاد في سبيل الله، زكاة السلطان إغاثة الملهوف، زكاة النعم اصطناع المعروف، زكاة العلم بذله لمستحقه وإجهاد النفس بالعمل به.

وتستمر هذه الصور الرائعة فيروي لنا التاريخ قصصاً شهيرة وقع فيها من الإيثار والأخوة ما تذهل له العقول.

ففي آخر عهد ملوك الطوائف في بلاد الأندلس وبعد أن ضعفت شوكة المسلمين، وأصبح للنصارى كنائس في قرطبة، إحترق مسجد المسلمين، فأجتمعت ثلة من الشباب طلاب العلم فيها ورأوا أن سبب الحرائق هم النصارى، فقاموا ليلاً بإحراء أحد الكنائس، من باب العين بالعين والسن بالسن، (والبادي أظلم). وقام النصارى وقد أصبحت كنيستهم خاوية على عروشها، فشكوا الأمر إلىولي الأمر الذي خذل المسلمين - خذله الله - فجمع جميع طلاب العلم، وكان يكتب أوراقاً صغيرة وجمعها وكان في بعضها قتل، وبعضها جلد، وبعضها حبس، وأوجب على كل واحد من شباب المسلمين أن يأخذ ورقة، وتكون ورقة كل واحد هي عقوبته، ففتح أحدهم ورقته فوجده فيها قتل، فقال: والله ما أبالي بالقتل لو لا أن لي والدة لا يعلوها غيري، وفتح زميله ورقته فوجد فيها جلد، فأخذ ورقة صاحبه التي فيها القتل وأعطاه ورقة الجلد فقال عد إلى والدتك، أما أنا فوالله مالي من والد ولا والدة، وأحب أن يجتمعني الله بهم في جنات النعيم. فقتل وأما الآخر فجلد وعاد إلى والدته.

وهذه مجموعة من الأبيات سطرها الشاعر مضمونها معاني الأخوة:

أخوة الدين ياقومي تنادينا بها نحقق ياقومي امانينا
في ظلها الرحب نسموا في تطلعنا لكي نnal بها عز وتمكينا

أخوة الدين سر النصر فأتحموا بحبل خالقكم ياخوتي اعتصمو فالشرق والغرب لا يرضى تجمعنا فأخذلوا ظنه ياقومي والتمسوا

أخوة الدين أقوام عرى النسب فقد مضى زمن التشتيت واللعنة حققوا آمل الاسلام امتنا

أخوة الدين ياقومي لنا سكن ففي حماها يذوب الحقد والفتنة
وفي حماها يسود الأمن امتنا ويختفي من سمانا الضعف والوهن

أخوة الدين لاشيء يدان بها فأسرعوا أخوة الاسلام نحيها
وانشدوها تكون ياقوم نعمتنا سلمان منا فما أحلى معانيها

أترى تعود الأخوة بين المسلمين على مختلف أطيافهم واعراقبهم ومذاهبهم
وأماكنهم كما رسمها لنا رسولنا العظيم وقرآننا الكريم ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَنْفَرُوا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْرَاجًا﴾ (آل عمران - ١٠٣).

هذا ما نتمناه جميعا.



حق المنعم على مولاه

رحلة حقوقية

لَا يَسْتَطِعُ جَوَادٌ بُعْدَ غَائِبِهِمْ
وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُّمُوا
مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرُ أَوْلَيَّةَ ذَا
فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالُهُ الْأُمُومُ

ومن دعاء للإمام زين العابدين بالقصير عن أداء الشكر:

اللَّهُمَّ إِنَّ أَحَدًا لَا يَلْغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةً إِلَّا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِكَ مَا يُنْزِلُ مُهُ
شُكْرًا، وَلَا يَلْغُ مَبْلَغاً مِنْ طَاعَتِكَ وَإِنْ اجْتَهَدَ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا دُونَ أَسْتِحْقَاقِكَ بِفَضْلِكَ،
فَأَشْكُرُ عِبَادِكَ عَاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ وَأَعْبُدُهُمْ مُقْصِرٌ عَنْ طَاعَتِكَ، لَا يَجِبُ لِأَحَدٍ أَنْ تَغْفِرَ
لَهُ بِاسْتِحْقَاقِهِ، وَلَا أَنْ تَرْضِي عَنْهُ بِاسْتِيجَابِهِ، فَمَنْ غَفَرْتَ لَهُ فِطْولَكَ، وَمَنْ رَضِيْتَ
عَنْهُ فَبِفَضْلِكَ تَشْكُرُ يَسِيرًا مَا شُكْرُتَهُ وَتُثْبِتُ عَلَى قَلِيلٍ مَا تُطَاعُ فِيهِ حَتَّى كَانَ شُكْرَ
عِبَادِكَ الَّذِي أَوْجَبْتَ عَلَيْهِ ثَوَابَهُمْ وَأَعْظَمْتَ عَنْهُ جَزَاءَهُمْ أَمْرٌ مَلَكُوا اسْتِطَاعَةَ الْمُتَنَاعِ
مِنْهُ دُونَكَ.

لم تعرف الإنسانية منظومة حقوق كما عرفتها في هذه الرسالة، منظومة متراقبة
تبين حقوق الروح والجوارح والأرحام والمجتمع لكي تبني الإنسان، هذا الإنسان
الذي أراد الله له أن يكون خليفة على الأرض، أن تبنيه بناءً متكملاً.

بعدما ينتهي إمامنا من حقوق الرحم ينتقل بنا إلى حقوق الآخرين ويبدأ بها بحق المنعم على مولاه، ولكي تكتمل الصورة في الحقوق بخصوص ملك اليمين والتي أولاه الإمام اهتماما خاصا بحيث ذكر حقها في باب حقوق الرعية تحت عنوان حق الرعية بملك اليمين، ثم يأتي ليذكر حق المعتق جراءا وشكرا له لما انفق عليه من ماله ووهبه من حرية وجعله عضوا فاعلا في المجتمع.

حق المنعم على مولاه

وَأَمَّا حَقُّ الْمُنْعَمِ عَلَيْكَ بِالْوَلَاءِ فَإِنْ تَعْلَمَ
 أَنَّهُ أَنْفَقَ فِيهِ مَالَهُ، وَأَخْرَجَكَ مِنْ ذُلُّ الرِّقِ
 وَوَحْشَتِهِ إِلَى عِزٍّ الْحُرْيَةِ وَأُنْسِهَا، وَأَطْلَقَكَ
 مِنْ أَسْرِ الْمُلْكَةِ، وَفَكَّ عَنْكَ حِلَقَ الْعُبُودِيَّةِ،
 وَأَوْجَدَكَ رَائِحةَ الْعِزِّ، وَأَخْرَجَكَ مِنْ سِجْنِ
 الْقَهْرِ، وَدَفَعَ عَنْكَ الْعُسْرَ، وَبَسَطَ لَكَ لِسَانَ
 الْإِنْصَافِ، وَأَبَاحَكَ الدُّنْيَا كُلَّهَا فَمَلَكَكَ
 نَفْسَكَ، وَحَلَّ أَسْرَكَ، وَفَرَّغَكَ لِعِبَادَةِ رَبِّكَ،
 وَاحْتَمَلَ بِذَلِكَ التَّقْصِيرَ فِي مَالِهِ، فَتَعْلَمَ أَنَّهُ
 أَوْلَى الْخَلْقِ بِكَ بَعْدَ أُولَى رَحْمَتِكِ فِي حَيَاةِكَ
 وَمَوْتِكَ، وَأَحَقُّ الْخَلْقِ بِنَصْرِكَ وَمَعْوِنِتِكَ
 وَمُكَانِفِتِكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ، فَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْهِ نَفْسَكَ
 مَا احْتَاجَ إِلَيْكَ.

لقد تطرقنا في حق ملك اليمين بشيء من التفصيل عن سياسة الإمام زين العابدين والإسلام في تحرير العبيد.

وهنا في هذا الحق وهو حق المنعم أو المعتق سنقسم الحديث إلى جزأين، الأول

ستتطرق بشيء من الإيجاز عن سياسة الإمام في تحرير العبيد وأما في الجزء الثاني فستتناول شكر المنعم.

الجزء الأول :

سياسة تحرير العبيد

النظام الإسلامي والرق:

إن الإسلام بحق لم يشرع نظام الرق، فان هذا النظام موجود منذ العصور الغابرة والعقود السحرية. وإنما شرع نظام العتق والتحرير، وأوْجَد مبررات عده لها، وأوْجَد العديد من الوسائل المؤدية لها، حيث تطرقنا لها في حق الرعية بملك اليمين.

وعلى مر التاريخ الإنساني كان يوجد سلوك استعلائي لدى بعض الأفراد في المجتمع حيث ينظر هؤلاء إلى فئة المستضعفين ومن بينهم المالك نظرة ازدراء، ويعاملهم من فوق الأبراج العاجية.

وما يلحظ في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك الرفض الحازم، والاستنكار العنيد لهذا السلوك نظرياً وعملياً. ومن الأدلة على ذلك انه كان لا يمنعه شيء من مجالسة الطبقة المسحورة حتى دهش منه نافع بن جبير فقال له: انك تجالس أقواما دونا، فقال علي بن الحسين: إني أجالس من انتفع بمجالسته. ومن رحمته بهم وعطفهم عليهم انه كان يشتري العبيد وهم من اضعف المستضعفين فيبرحون عنده قليلاً ثم يطلقهم أحراراً. وبلا ريب إن هذا الموقف هو بمثابة دعوة وحث عملي لآخرين على التأسي، إذ الإسلام قد أكد تاكيداً عظيماً على التحرير، ورسم ما لفاعله من الجزاء الوافر والأجر الجميل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُلْ رَقَبَةً﴾.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: أن فاطمة بنت أسد قالت لرسول الله عليه السلام: إني أريد أن اعتق جاريتي هذه فقال لها: إن فعلت اعتق الله بكل عضو منها عضواً منك من النار.

وفي هذا المعنى وردت عدّة أحاديث.

ولقد اعتقد على ﷺ ألف مملوك من كُلّ يده.

إن موقف الإمام زين العابدين عليه السلام من المال يكفيه خلاصة الموقف الإسلامي بما فيه من نظام دقيق، وقيم خلاقية وأساليب تربوية وسياسية رفيعة. فمما لا ريب فيه أن الفترة التي يلبث فيها المال في يده عند الإمام زين العابدين عليه السلام يلقنهم فيها من التربية والآداب والتوجيه والسداد ما يجعلهم أحرار النفوس قبل أن يكونوا أحراراً في واقع الحياة.

كان في مستطاعه أن يطلق سراحهم من أول عقد الشراء، أو حصوله عليهم من دون أن يلبثوا عنده. فما انتفاعه من الأشهر التي يقيمون فيها لديه ثم يطلقهم، ولا سيما أن العملية تتكرر؟

إن مجموعة منهم لو بقوا لديه بغير تحرير فإنهم يغبونه عما يليهم من المال يبيده أن هنالك هدفاً أسمى من الخدمة والمعونة المتواخة منهم، انه هدف التربية والإرشاد، هدف التعليم والتوجيه وغير ذلك.

كانت لكل واحد من العبيد صحفة أعمال يسجل فيها الإمام سيئاته وأخطاءه فإن حان وقت التحريرقرأ عليهم صحائف أعمالهم وهنا يعترفون بما ارتكبوا من الأخطاء فيعفو عنهم ثم يطلب منهم أن يعفوا عنه ويصفحوا فيقولون: قد عفونا عنكَ وما أساءَتْ.

ولا يخفى عليه أن المال يرغبون بعد تحريرهم أن يكتسبوا ويشقوا دربهما العملي في الحياة فيعطيهم رؤوساً من الأموال على هيئة منح وهبات، ولا يسترد منهم ذلك ما سمر سمير.

هذه طريقة في تحرير العبيد ذكرناها بشكل موجز. ولكن الذي لا شك فيه

أن تاريخ سياسة تحرير العبيد عند إمامنا زين العابدين التي تتعلق بإطلاق سراح الأرقاء والتي تعبّر عن روح الإسلام ونظرته للأرقاء، حيث أنها مادة تربوية وأخلاقية واجتماعية عالية المضامين، وهي في نفس الوقت جواب عميق عن الأسئلة والإشكالات التي تطرحها فئة من المستشرين حول الإسلام. نريد أن نقول لهم: هذا هو الإسلام في نظرته وأخلاقيته وجوهره متمثلاً في سياسة أحد كبار قادته الميامين تجاه العبيد.

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة. وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده: أذنب فلان، أذنبت فلانة، يوم كذا وكذا ولم يعاقبهم، فيجتمع عليهم الأدب.

حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم أظهر الكتاب ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤدبك، أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا بن رسول الله، حتى يأتي على آخرهم ويقررهم جميعاً، ثم يقوم وسطهم ويقول لهم:

ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت، كما أحصيت علينا كل ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما آتت إلا أحصاها، وتجد كل ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً، فاعفُ واصفح كما ترجو من الملك العفو، وكما تحب أن يعفو الملك عنك فاعفُ عنا.. تجده عفواً، وبك رحيمًا، ولك غفوراً، ولا يظلم ربك أحداً. كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا. لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما آتينا إلا أحصاها، فاذكر يا علي بن الحسين ذلّ مقامك بين يدي ربك الحكم العدل، الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل.

ويأتي بها يوم القيمة وكفى بالله حسبياً وشهيداً، فاعفُ واصفح يعفُ عنك الملك ويصفح، وهم ينادون معه وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويقول:

ربّ انك أمرتنا أن نعفو عنمن ظلمنا، وقد عفونا عنمن ظلمنا كما أمرت فاعف عننا، فانك أولى بذلك منا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نردد سائلاً عن أبوابنا، وقد أتيناك سؤالاً ومساكين وقد أخنا بفنائك وببابك نطلب نائلك ومعرفتك وعطاءك، فامن بذلك علينا ولا تخيّبنا فانك أولى بذلك منا ومن المأمورين.

إلهي كرمت فأكرمني إذ كنت من سؤالك وجدت بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك يا كريم.

ثم يقبل عليهم فيقول: قد عفوت عنكم فهل عفوت عنّي وما كان مني إليكم من سوء ملكة؟ فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا، وما أساءت. فيقول لهم قولوا: اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفا عننا، فاعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق. فيقولون ذلك. فيقول: اللهم أمين رب العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عنّي وعتق رقبتي فيعتقهم، فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغيّبهم عما في أيدي الناس، وما من سنة إلا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً إلى أقل أو أكثر.

وما استخدم خادماً فوق حوله، كان إذا ملك عبداً في أول السنة أو في وسط السنة إذا كان ليلة الفطر اعتقد، واستبدل سواهم في الحول الثاني ثم أعتقد، كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى، ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم من حاجة يأتي بهم عرفات فيسدّ بهم تلك الفرج والخلال فإذا أفادوا أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال.

ولا شك أن الحرية التي يمنحها الإسلام هؤلاء الأحرار بل لكل الناس هي على أربعة أقسام:

أولاً: حرية العقيدة، وهي الحرية الدينية إذ كانت خطة النبي الأكرم ﷺ هي إبلاغ مبادئه إلى المجتمع، فإن شاءوا آمنوا بها وإن شاءوا لم يؤمنوا منطلاقاً من

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحُقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاء فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاء فَلِيَكْفُرْ﴾، حيث يتفرع عن هذه الحرية ما يلي:

- حرية الفكر وهي كما يعرفها الشاعر الإنجليزي (ملتون) هي حرية اكتساب المعرفة، وحرية النطق بها وإعلانها ومناقشتها، حسب ما يميله عليه الضمير وهي فوق كل الحريات»

- حرية التعبير عن الرأي: وهي متممة لحرية الفكر وهي حرية التعبير نطقاً وكتابة و يجب أن لا تكون منافية للأخلاق والأدب العامة أو منطلقاً للمبادئ الهدامة وخلق المشاكل بين المجتمع بل حرية النقد الهاذف والحججة الدامغة لأي جهة كانت حاكمة أو محكومة.

ثانياً: الحرية السياسية، ولقد عرفت بأنها: أن يكون المرء عضواً فعالاً في الهيئة ذات السيادة، وفي الهيئة الداخلية بحيث تكون الفرصة متاحة له لأن تكون إرادته مسموعة، وأن يكون له أثر على سن القوانين ورسم سياسة الدولة، وذلك باستعمال حقوقه في حرية الكلام وحرية اقتراح القوانين، وينتشر منها:

- حرية المجتمع، ولقد ندب إليه الإسلام ما دام في مصلحة المجتمع، وكما كفله إعلان حقوق الإنسان الدولي في الفقرة «١» من المادة الحادية والعشرين من نصه «إن لكل انسان الحق في حرية المجتمع وتكوين الجمعيات السلمية»

- تأليف الجمعيات: يشجع الإسلام على تأليف الجمعيات التعاونية والخيرية التي فيها مصلحة للناس وللمجتمع.

ثالثاً: الحرية المدنية، وهي إعطاء الفرد حرية اختيار مجال العمل والسكن والزواج، وهي:

- الحرية الشخصية، وهي اختيار نوع العمل الذي يتلاءم وقدراته ومؤهلاته

على أن لا يكون محراً، كما أن له اختيار الزوجة التي يرغب الإرتباط بها على أن لا تكون من المحارم.

- حرية السكن، كما أن له الحرية في اختيار المكان والبلد ونوع السكن الذي يرغب فيه على أن لا يكون مغصوباً.

رابعاً: الحرية الاقتصادية، وهي إباحة حرية تصرف الفرد في ملكه كيفما شاء، ومنه تتفرع الملكية الفردية ونعني بها حرية الشخص في استغلال ملكه والتصرف فيه أى له شاء وذلك في حدود حرية التملك التي أباحها له الإسلام.

بعد هذه المقدمة عن سياسة تحرير العبيد في الإسلام، وما أتاح لهم من حريات مساواة لهم بسائر الناس، وكما عرفنا بأنهم لم يتركوا هملاً بل قد اعتنى بتربيتهم وإرشادهم وتعليمهم وتوجيههم بل وإعطائهم الأموال والأراضي لكي يكتفوا ذاتياً ولا يكونوا عالة على المجتمع، وحيث أن هذه العطاء يمثل جميع أنواع النعم (نعمه النفقة والمعيشة، ونعمه العلم والأدب، ونعمه الأبوة، ونعمه الولاء، كان حري بهذا الملوك شكر مالكه والنعم عليه بل هو يأقي في المرتبة الثانية بعد أولي الأرحام، بل أكثر من ذلك بأن لا يؤثر عليه نفسه ما احتاج إليك، وكل أقسام النعم يرأسها المنعم الحقيقي، والسبب التام في كل نعمة وهو موجدها وهو الله تبارك وتعالى.

(لا يؤثر عليه نفسه ما احتاج إليك).

من هذا المنطلق أحيبنا أن نبين معنى الشكر ومبانيه مع تبيان بعض الأمثلة العملية على ذلك.

وردت كلمة الشكر بمختلف صيغها في القرآن الكريم ٨٨ مرة، بينما وردت كلمة شكور (١٤) وكثرة التكرار يدل على أهمية الشكر والعمل به وقد قيل أن الشكر نصف الإيمان، وأما النصف الآخر فهو الصبر، كما ورد في بعض الروايات.

تعريف الشكر في اللغة:

مادة (ش كر) تدل في اللغة على الثناء على المحسن، والمجازاة، وعرفان الإحسان، يقال: شَكَرْهُ وشَكَرْ له يَشْكُرْ شَكَرْأً وشُكُورًا وشُكْرانًا.

فالشُّكْرُ بالضم: عِرْفَانُ الْإِحْسَانِ وَنَسْرَهُ أَوْ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ يَدِهِ وَمِنْ اللَّهِ: أَمْجَازَهُ وَالثَّنَاءُ الْجَمِيلُ شَكَرَهُ وَلَهُ شُكْرًا وَشُكُورًا وَشُكْرَانًا.

وَالشُّكْرُ الشَّاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِمَا أَوْلَاكُهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ يُقَالُ شَكْرُتُهُ وَشَكْرُتُ لَهُ
يُقَالُ شَكْرَتُ اللَّهُ وَشَكْرَتُ اللَّهِ وَشَكْرُتُ بِاللَّهِ وَكَذَلِكَ شَكْرَتُ نِعْمَةَ اللَّهِ وَتَشَكَّرَ لَهُ بِلَاءُهُ
كَشَكَرَهُ وَتَشَكَّرَتُ لَهُ مِثْلُ شَكْرَتُ لَهُ، وَأَنْشَدَ احْدَهُمْ:

إِنَّمَا لَتَّيْكُمْ تَشَكُّرَ مَا مَضَى مِنَ الْأَمْرِ وَاسْتِيْجَابَ مَا كَانَ فِي الْغَدِ
أَيْ لِتَشَكُّرِ مَا مَضَى وَأَرَادَ مَا يَكُونُ فَوْضَعُ الْمَاضِي مَوْضِعُ الْآتِيِّ، وَرَجُلٌ شَكُورٌ
كَثِيرُ الشُّكُورِ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإِسْرَاء: ٣]، وَفِي الْحَدِيثِ
هِينَ رُؤْيَاً ﷺ وَقَدْ جَهَدَ نَفْسَهُ بِالْعِبَادَةِ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ
لَكَ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ؟ أَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟». وَكَذَلِكَ
الْأُنْثَى شَكُورَاتٍ بَغْرِيْبَ هَاءِ.

والشُّكْرَانُ خلاف الْكُفْرَانِ والشَّكُورُ من الدَّوَابِ ما يكفيه العَلَفُ الْقَلِيلُ، وقيل الشَّكُورُ من الدَّوَابِ الَّذِي يسْمَنُ عَلَى قَلَةِ الْعَلَفِ كَأَنَّهُ يَشْكُرُ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الإِحْسَانُ قَلِيلًاً، وَشُكْرُهُ ظَهُورُ نُمَائِهِ وَظُهُورُ الْعَلَفِ فِيهِ. فَأَصْلُ الشَّكُورِ ظَهُورُ أَثْرِ الْغَذَاءِ فِي أَبْدَانِ الْحَيَّانِ، ظَهُورًا بَيْنَا يُقَالُ: شَكَرَتِ الدَّابَّةُ شَكَرَ شَكَرًا عَلَى وَزْنِ سَمْنَتِ سَمْنَةٍ إِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا أَثْرُ الْعَلَفِ وَدَابَّةُ شَكُورٍ: إِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا مِنَ السَّمْنَةِ فَوْقَ مَا تَأْكُلُ وَتَعْطِي مِنَ الْعَلَفِ، وَفِي السَّنَةِ: «هَنَىءَ إِنَّ الدَّوَابَ لَتَشَكَّرَ مِنْ لَحْوِهِمْ أَيِّ لَتَسْمَنَ مِنْ كَثْرَةِ مَا تَأْكُلُ مِنْهَا».

فمن خلال ما سبق يمكن القول أن الشكر على جملة من المعاني :

- بمعنى الثناء على المحسن بما قام به من المعروف.
- الرضا بالقليل ومنه الدواب الشكور التي يكفيها العلف القليل.
- ويأتي بمعنى الظهور يقال دابة شكور: إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تأكل وتعطى من العلف.

والشّكُور: من صفات الله جل اسمه: معناه أنه يذكر عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء وسُكْرُه لعباده مغفرته لهم، قال تعالى ﴿لِيُوْفِيْهِمْ أَجُوْرَهُمْ وَيَرِيْدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ عَفُوْرُ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٣٠)، وقيل: الشّكُور في أسمائه هو معطي الثواب الجزيل بالعمل القليل فالشّكُور من أبنية المبالغة.

وأما الشّكُور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظّفَ عليه من عبادته وقد قال الله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوَدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِي الشّكُور﴾ (سبأ: ١٣).

يقول الجرجاني: (النحوي المعروف مؤسس علم البلاغة): والشكر اللغوي هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتجليل على النعمة من اللسان والجنان والأركان.

الشكر في الاصطلاح:

وبسبق وذكرنا أن الشّكُور هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف، وعبارات أهل العلم في تعريف الشكر كثيرة دارت معظمها بين الثناء والاعتراف والمشاهدة.

فقد قيل في تعريفه هو الاعتراف بنعمة النعم على وجه الخصوص.

وقيل: الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فالعبد يشكر الله أي يبني عليه بذكر

إحسانه الذي هو نعمة والله يشكر العبد أى يثنى عليه بقوله إحسانه الذي هو طاعته.

وقال بعضهم: هو عُكُوفُ القَلْبِ على محبةِ المنعمِ والجوارحِ على طاعتهِ وجريانِ اللسانِ بذِكرِهِ والثناءِ عليهِ، وهذا تعريف للشکر بضر وبه الثلاثةِ كما سيأتي.

وقيل: هو مشاهدة الملة وحفظ الحرمـة، وقال الجنيد «وهو عالم متصوف» الشكر
أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمـة. وقال: «كنت بين يدي سري ألعـب، وأنا ابن سبع
سنـين، وبين يديه جماعة يتكلـمون في الشـكر؛ فقال لي: «يا غلام! ما الشـكر» قـلت:
«الـشـكر ألا تعصي الله بنعـمه». فقال لي: «أخـشـى أن يكون حظـك من الله لسانـك!» قال
الـجنـيد: «فلا أزال أبـكي على هذه الكلـمة التي قالـها لـي السـري».

وقيل: هو إضافة النعم إلى موالها، وقال بعضهم: الشُّكْرُ: اسْتِفْراغ الطاقة يعني في الخدمة.

وقالوا: الشكر عبارة عن معروف يقابل النعمة سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب.

ويقول الجرجاني: والشکر العرفی هو صرف العبد جمیع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله.

والشکر علی ثلاثة أنواع هي:

وقد جمعها الشاعر في قوله:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولسانى والضمير المحجا

١- شكر القلب: وهو تصور النعمة.

٢- وشكر اللسان: وهو الثناء على المنعم، ومنه قوله - ﷺ : «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»، ومن الشكر باللسان التحدث بنعمة الله تعالى عليك فعن النعمان بن بشير، قال قال النبي - ﷺ - على المنبر: «من لم يشكر القليل

لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله - عز وجل - والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب».

٣- وشكر الجوارح: وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه بمعنى استعماها فيما خلقت له.

ومنه قوله تعالى: ﴿اَعْمَلُوا آلَ دَاؤِدَ شُكْرًا﴾ (سما: ١٣)، يقول القرطبي - رحمه الله - قال الزهرى: اعملوا آل داود شكرًا أي قولوا الحمد لله، وشكراً نصب على جهة المفعول أي اعملوا عملاً هو الشكر، وكأن الصلاة والصيام والعبادات كلها هي في نفسها الشكر إذا سدت مسدده، فحقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة للمنعم، واستعماها في طاعته، والكفران استعماها في المعصية، بمعنى أن العبادات وخاصة البدنية هي شكر الجوارح.

مبني الشكر:

يبنى الشكر على خمسة قواعد يدور عليها الكلام في الشكر:

وأول هذه القواعد هي خضوع الشاكر للمشكور.

والثانية: الحب للمشكور.

والثالثة: اعتراف الشاكر بنعمة المشكور.

الرابعة: ثناء الشاكر عليه.

والخامسة: استعمال هذه النعم فيما يرضيه، وعدم استعماها فيما يكره.

وعن عمار الذهني قال: سمعت علي ابن الحسين عليه السلام يقول: إن الله يحب كل قلب حزين، ويحب كل عبد شكور، يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عباده يوم القيمة: أشكرت فلانا؟ فيقول: بل شكرتك يا رب فيقول: لم تشkenي إذ لم تشكره،

أشكركم الله أشكركم للناس.

وفي هذه المقطوعة الحقوقية الرائعة ضرب لنا الإمام زين العابدين أروع أنواع الشكر العملي وذلك بإنفاق ماله على هؤلاء الملوكين بل وإعطاهم وإعطائهم حرياتهم وفكهم من أسار الربق والعبودية بل وأعطائهم الأموال، انظر إلى قوله ﷺ ودفع عنك العسر ليس فقط العسر المادي بل العسر المعنوي وبسط لك لسان الإنصاف». وأجمل من ذلك «أوجدك رائحة العز» و«اباحك الدنيا كلها فملكك نفسك وحل آسرك».

ثم انه ﷺ أبان له كيف يشكر المنعم الحقيقي وهو الله سبحانه شكر ا عمليا «وفرغك لعبادة ربك»، ومن ثم يشكر المنعم عليه وأحق الناس به في حياته وموته بعد أقاربه وبنصره ومعونته في ذات الله، حتى ولو أدى ذلك إلى بذل نفسه لو دعت الحاجة إليه.

هكذا يرينا الإمام زين العابدين، ويبيّن لنا مكارم الأخلاق التي بعث من أجلها رسول الله، ولو بالتلزيم اليسير.

وهذا ما يستفاد من قول مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام «حق على من انعم عليه أن يحسن مكافأة المنعم، فإن قصر عن ذلك وسعه فعليه أن يحسن الثناء، فإن كُلَّ عن ذلك لسانه فعليه بمعرفة النعمة ومحبة المنعم بها، فإن قصر عن ذلك فليس للنعمـة بأهل».

وما أروع ما قاله الشاعر إيليا أبو ماضي، في قصيده حول المحبة والشكـر:

كن بـلـسـماً إن صـار دـهـرـك أـرـقـما	وـحـلاـوة إن صـار غـيرـك عـلـقاـما
إنـ الحـيـاة حـبـتك كـلـ كـنـوزـها	لاـ تـبـخـلن عـلـىـ الـحـيـاة بـعـضـ ما
أـحـسـنـ وإنـ لـمـ تـجـزـ حـتـىـ بـالـثـنـاـ	أـيـ الجـزـاءـ الغـيـثـ يـبـغـيـ إـنـ هـمـاـ؟
مـنـ ذـاـ يـكـافـيـ زـهـرـةـ فـوـاحـةـ؟	أـوـ مـنـ يـثـبـ الـبـلـبـلـ المـتـرـنـاـ؟

لولم تفح هذى وهذا ما شدى
 يا صاح خذ علم المحبة عنهمَا
 أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا
 أحباب فيغدو الكوخ كوناً نيرَا

عاشت مذممة وعاش مذمماً
 أني وجدت الحب علماً قيماً
 لولا شعور الناس كانوا كالدمى
 وأبغض فيمسي الكون سجناً مظلماً





حق مولاك

رحلة حقوقية

يقول مهيار الديلمي:

قد قبست المجد من خير أب
وقبست الدين من خيرنبي
وضممت الفخر من أطرافه
سُؤدد الفرس ودين العرب

لقد أعطى الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين الدروس في معاملة العبيد «الخدم»
وعلموا الناس كيف يسلكوا معهم طرق التربية والتهذيب والتعليم والتأديب، فهذا
الإمام زين العابدين بينما الجارية تسكب الماء على يديه إذ يسقط الإبريق منها فيشج
رأس الإمام فيرفع رأسه إليها.

قالت: والكافرين الغرض:

قال: الإمام كظمت غضبي.

قالت: والعافين عن الناس.

قال: عفا الله عنك.

قالت: والله يحب المحسنين.

قال: اذهبني فأنت حررة لوجه الله.

هذه صورة من أروع صور الحلم والغفو المحمدي والعلوي.

وجاء في نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لأبنه الإمام الحسن عليه السلام: واجعل لكل إنسان من خدمك عملاً تأخذ به، فإنه أحرى أن لا يتواكلوا في خدمتك.

رحلتنا الحقوقية تسير وتجذب السير ذيلاً فتحط على شواطئ حقوق العبيد «الخدم» وهذا الحق المهم من رسالة الحقوق:

حق مولاك

وَأَمَّا حَقُّ مَوْلَاكَ الْجَارِيَةِ عَلَيْهِ نِعْمَتُكَ فَأَنْ
تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ حَامِيَةً عَلَيْهِ، وَوَاقِيَةً
وَنَاصِرًا وَمَعْقِلًا، وَجَعَلَهُ لَكَ وَسِيلَةً وَسَبِيلًا
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِي الْحُرْبِيِّ أَنْ يَحْجُبَكَ عَنِ النَّارِ
فَيَكُونَ فِي ذَلِكَ ثَوَابٌ مِنْهُ فِي الْآجِلِ، وَيَحْكُمُ
لَكَ بِمِيرَاثِهِ فِي الْعَاجِلِ إِذَا مَا يَكُنْ لَهُ رَحْمٌ،
مُكَافَأَةً لِمَا أَنْفَقْتَهُ مِنْ مَالِكَ عَلَيْهِ وَقُمْتَ بِهِ مِنْ
حَقِّهِ بَعْدَ إِنْفَاقِ مَالِكَ، فَإِنْ لَمْ تَقْضِ بِحَقِّهِ خِيفَ
عَلَيْكَ أَنْ لَا يَطِيبَ لَكَ مِيرَاثُهُ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا

بِاللهِ.

معنى مولاك: عبده - خادمه، ومعنى حامية: حماية، ومعنى معقل: ملجاً،
ومعنى، فبالحربي: بالأولى والأجر.

لقد سطرت يدا الإمام الذهبية وعقله الرباني مفردات فذة تتسامى فوق عقول
البشر.

وهذه وما قبلها من النفحات المختصة بهذه النسمة تعيد الروح لهذا الكائن الحي الذي يسمى عبداً أو أمة.

لقد كانت الأمم السابقة وحتى ما قبلبعثة النبي تذل العبيد والخدم بل لا ترى لهم أية كرامة، وما قرأناه من سيرة قريش إبان الأيام الأولى من بعثة النبي ﷺ من اضطهاد الموالي وحتى منعهم من التفكير وحرية الرأي والعقيدة والإختيار لخیر دليل. ولكن ما جاء به النبي ليترجم قوله تعالى ﴿وَيَاضِعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ جاءت ليست لتفضي على كل هذه الإنحرافات فحسب بل لتضع لهذا العبد حقاً على مولاه.

ففي وصية النبي ﷺ اتقوا الله فيما ملكت أيديكم أطعمونهم مما تأكلون وأكسوهم مما تلبسون ولا تكفلوهم من الأمر ما لا يطيقون.

فهذه الوصية وما ذكره الإمام عليه السلام من حق تضع لنا النظام الذي يجب أن نتعامل به مع الخدم وسوف نتطرق إلى شيء منه.

ولقد طبق أصحاب النبي ﷺ هذه الوصايا تطبيقاً عملياً، فهذا هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يعطي غلامه دراهم ليشتري بها ثوبين متفاوتين القيمة، فلما أحضرهما أعطاه أرقاًهما نسيجاً وأغلاًهما قيمة، وحفظ لنفسه الآخر وقال له: «أنت أحق مني بأجودهما، لأنك شاب تميل نفسك للتجمل، أما أنا فيكيفني هذا».

لقد كان الأولى يهتمون بالخدم والماليك إلى درجة الوجد ولنا في قصة ابن منير وغلامه «تر» وما ححدث من موقف مع الشريف المرتضى ما يدل على ذلك، لقد أرسل ابن منير «أحد شعراء أهل البيت» إلى الشريف المرتضى الموسوي بهدية مع غلام أسود له، فكتب إليه الشريف: أما بعد، فلو علمت عدداً أقل من الواحد أو لوناً شرائعاً من السواد بعثت به إلينا والسلام. فحلف ابن منير أن لا يرسل إلى الشريف هدية إلا مع

أعز الناس عليه فجهز هدايا نفيسة مع مملوک له يسمى (تر) وكان يهواه جداً ويحبه كثيراً ولا يرضي فراقه، حتى أنه متى اشتد غمه أو عرضت عليه محنّة نظر إليه فيزول ما به، فلما وصل المملوک إلى الشريف توهّم أنه من جملة هداياه تعويضاً عن العبد الأسود، فأمسكه وعزّت الحالة على ابن منير، فلم ير حيلة في خلاص مملوکه من يد الشريف إلا إظهار النزوع من التشيع إن لم يرجعه إليه، وإنكار ما هو المتسالم عليه من قصة الغدير وغيرها، فكتب إليه بهذه القصيدة:

عذبت طرفي بالسهر
وأذبّت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي
من بعد بعده بالكدر
ومنحت جثمانی الضنى
وكحلت جفني بالسهر
وجفوت صباحاً ماله
عن حسن وجهك مصطبر
يا قلب ويحك كم
تخادع بالغرور وكم تغر
والى ماتكلف بالاغن
من الظباء وبالاغر
لئن الشريف الموسوي
ابن الشريف أبي مضر
أبدي الجحود ولم يرد
إلي مملوكي تر
والسيّت آل امية الطهر
الميامين الغرر

والقصيدة رائعة جداً نقلنا جانباً منها، ومنها أيضاً :

وحلقت في عشر المحرم ما استطاع من الشعر
ونويت صوم نهاره وصيام أيام آخر
للمواسم يدخر ولبست فيه أحجل ثوب
وسهرت في طبخ الحبوب من العشاء إلى السحر

فلما وصل إلى الشريف تبسم ضاحكاً وقال: قد أبطأنا عليه فهو معذور، ثم
جهز الملوك مع هدايا نفيسة ورده إليه.

هذه القصة من التراث وغيرها تبين شدة العناية بالخدم والإهتمام بهم.

وما بينه الإمام هنا من حق يعتبر ضرباً من ضروب الرحم وربما يلحق به وحيث أنها علاقة متبادلة بين العبد ومولاه حيث أن المولى ينفق ويعطي ويقوم بجميع الواجبات التي عليه تجاه هذا الخادم، لذلك فإن عمله هذا يكون واقياً له وحامياً له وحاجباً له من النار، كما أنه يعد من عمل العقلاة، وكمكافأة لذلك فإنه يتحقق للمولى أن يرث هذا العبد أو الخادم شريطة أن لا يكون له رحم، وهذا هو السبب الذي جعل هذا الحق يلحق بحقوق الرحم. وفي المقابل إن أهمل هذا المولى وقصر في ما وجب عليه من حقوق تجاه هذا الخادم فإنه ينحاف على المولى ولا يطيب له أن يرثه وإن لم يكن له رحم.

واليوم نرى جانباً من عدل الإسلام مع الخدم وإنصافهم وجعل حقوقهم واجبات شرعية يجب أن تؤدي إليهم. ومن هذه الحقوق التي اشرنا إليها سوف نطرق إلى بعضها:

١- الحق في الإكرام والتكريم :

جاء عن المعمور بن سعيد قال: رأيت أبي ذر الغفارى رضي الله عنه وعليه حلة،

وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: سايت رجلاً فشكاني إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: أغيرته بأمه إنك أمرؤ فيك جاهلية، ثم قال: خولكم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعینوهم.

ففي هذا الم Heidi العلمي الاجتماعي الإنساني جعل المصطفى ﷺ تعير الخادم من الجahiliyah، وحفظ كرامته من الإسلام، وقد جاء الإسلام ليقضي على العصبية الجahiliyah. كما أوصى ﷺ بهذه الوصية التي رفعت من شأن الخدم إلى درجة المخدومين والساسة، وبين ﷺ أن الخدم إخوان لمخدوميهם ولباقي المجتمع في الدين والإنسانية، وكان الظاهر أن يقول خولكم (أي خدمكم) إخوانكم ولكن قدم الأخوة على الخدمة، فالخدمة إعانة فكيف نجعلها سبب تحقر واهانة؟!

إن الأخوة وحدها داعية التجليل والاحترام، فكيف إذا اضمنت إليها الخدمة والمعونة والمساعدة؟

والخادم يقوم لنا بأمور نعجز عن معالجتها، والقيام بها فهو يكمل نقصاناً ويوفر علينا وقتنا ويحقق أغراضنا، ولينظر كل منا حاله في حال غياب خادمه وخادمته وكيف تتقطع الحياة، وتتعسر الحاجات فالذى يتحقق مصالحتنا خلائق بإكرامنا ورعايتنا.

كما يستفاد منه انه إذا كلف بالعمل والخدمة وجب إن يكون ذلك في طاقتهم وإلا وجب إعانتهم.

٢- الحق في العناية والرعاية:

فقد جعل رسول الله ﷺ في الحديث السابق للخادم الحق في العناية والرعاية، العناية الصحية والرعاية الإجتماعية والقناعة والتفسية فنطعمهم من جنس ما نطعم، فلا نعد لهم طعاماً دون طعامنا، ولا عيشاً دون عيشنا، فإن كان طعامنا لحم وأرزاً

و خضاراً و فاكهة و حلوى و شراباً لذياً فلنبق له من كل، ولا نحرمه من بعضه، قال ﷺ : (إذا أتيت أحدكم خادمه ب الطعام فإنه لم يجلسه معه فليتناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولی علاجه (أي طبخه وأعده)).

بل و رد في بعض الروايات استحباب الجلوس والأكل معهم كما كان يصنع ﷺ . وقد نهانا ﷺ أن نكلفهم من الأعمال ما يشق عليهم، ويستفرغ جهدهم و طاقتهم ويسئمهم فإن كلفناهم بالمشقة وجب علينا أن نعينهم بأنفسنا أو بخدم آخرين. كما يجب علينا مواساتهم في الشدة وعياداتهم عند المرض، ودعاء الطبيب لهم إذا ساءت حالتهم.

٣- الحق في الاحترام والتجليل:

للخادم الحق في الاحترام والتجليل وعدم الإهانة والازدراء فعن أبي سعيد الخدري أن شاباً أسود كان يقم المسجد (ينظفه) ففقده رسول الله ﷺ ، فسأل عنه، فقالوا: مات، قال: أفلأ كنتم آذتموني به، فكأنهم صغروا أمره، فقال: (دلوني على قبره)، فدلوه عليه ثم قال: (إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله تعالى ينورها لهم بصلاتي عليهم).

وبهذا نرى عنانية الإسلام للخدم واحترامهم ورفع شأنهم وقال الله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨) وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدِينِ﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ * وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ (الماعون: ٣ - ٢ - ١) والرسول ﷺ يقول: (هل تنصرون و ترزقون إلا بضعفائكم).

٤- الحق في التربية والتعليم:

لقد جعل الإسلام الحق في التعليم واجب على كل مسلم و مسلمة، وقد خصص رسول الله ﷺ للخدم والقراء والعبيد وقتاً يجتمع فيه و يعلمهم، وقد أستاء سادة

فريش من ذلك، وطلبوا منه أن يبعد هؤلاء عنه حتى ينضموا إليه، فقال الله تعالى:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٢).

وقد أمر صلى الله عليه وسلم زيد أن يتعلم السريانية كما جعل الإسلام تعلم العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة والخدم من المسلمين ومن العجيب أن رواة القرآن وقراءه جلهم من الموالى والعبيد وهذا يدل على المكانة العالية التي أولاها المخدومون لخدمتهم وحرصهم على تعليمهم ما يعلمون، كما أن حضور الصلاة يساوهم مع مخدوميهم أمام الله، كما يجب أن يكون المخدوم خير مثال يحتذيه الخادم في القول والعمل.

٥ - بعض الوصايا التي تختص بالمعاملة الطيبة:

- شكرهم عند الإحسان وتعنيفهم عند التقصير.
- إعطائهم أجراً لهم كاملاً وفي زمنه المحدود، وإعطائهم مكافأة من حين لآخر.
- السماح للخادم بساعة في النهار يتزوج فيها ويقوم فيها بشؤونه، وقد كان آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال في شأن الخدم:

«اتقوا الله فيما ملكت أيانكم: أطعموه مما تأكلون واكسوه مما تلبسون، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فيبعوا، ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم». وقال ﷺ للمملوك طعامه وشرابه وكسوته بالمعروف، ولا يكلف من العمل ما لا يطيق». وقال: لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة».

ورد أنه جاء رجل فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه ثم قال أعف عنه كل يوم سبعين مرة.

إن مثل هذه الروايات في بيان السير والسلوك مع التربية الإسلامية في المسيرة مع الخدم والعبيد للتدليل على السماح والرحمة والصبر وحسن المعاملة وأن يكون التقابل بين الطرفين من المولى والعبد ومن الخادم والمخدوم وأن لا يكون الإنسان في صدد إظهار العظمة والكبرياء والجبروت.

وتلخصاً لما ذكرنا من مسألة الحقوق بين المولى والعبد فإنه يمثل عدة أدوار:

١ - دور الواجب الشرعي فإنه على المولى أن يوفّي تفاصيل حق العبد أو الخادم في مقام الاستئجار فلا يفترط كل منها في مسألة الحق كما جرى عليه وظيفة شروط العبد والسيد والمؤجر المستأجر.

٢ - دور الواجب الأخلاقي وهو أن يقوم العبد بالإخلاص والأمانة والمعاضدة التامة لسيده كما أن دور السيد أن يقوم بالإنفاق واللطف والمحبة مع عبده وخدمه وقد ورد إذا كفى الخادم أحدكم طعامه فليجلسه ليأكل معه.

٣ - الدور الاجتماعي بأن يجعل العبد مرتبًا بالهيئة الاجتماعية ولا ينفصل عن المجتمع حتى يكون لا مغلقاً معقداً اجتماعياً وإنما يزوجه بالروابط الاجتماعية أيضاً غير منفصل عنها.

٤ - السماح للخادم بساعة في النهار يتروح فيها ويقوم فيها بشؤونه، وقد كان آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال في شأن الخدم :

«اتقو الله فيما ملكت أيهانكم : أطعموهم مما تأكلون، واسكروهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم من العمل مما لا يطيقون، فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فيبعوا، ولا تعذبو خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكتهم إياكم».

وبقدر ما حاول الخلفاء من بنى أمية من بعد الخلفاء الراشدون اذكاء العصبية في النفوس المريضة التي كانت العرب لا زالت حافلة بها وحققوا لـ محمد وآل محمد،

بقدر ذلك نرى رسول الله ﷺ يقول: «سلمان منا أهل البيت».

هذا الدستور العظيم هل هو معمول به الآن. فها نحن نرى اليوم وحتى في من تعد نفسها من أعظم الأمم، الولايات المتحدة الأمريكية فيها من العنصرية بين السود والبيض والغني والفقير ما تندى له جبين الإنسانية، نعم نحن نقدر لها رقيها العلمي واحتراعاتها وتطورها شرط أن تكون في خدمة العائلة الإنسانية.





حق ذي المعروف

رحلة حقوقية

قال أمير المؤمنين:

الفضل من كَرَمِ الطَّبِيعَةِ
وَالْمَنُّ مَفْسَدَةُ الصَّنِيعَةِ
وَالخَيْرُ أَمْنَعُ جَانِبَا
وَمِنْ قَمَمَةِ الْجَبَلِ الْمَنِيعَةِ
وَالشَّرُّ أَسْرَعُ جَرِيَّةً
مِنْ جَرِيَّةِ الْمَاءِ السَّرِيعَةِ
تَرْكُ التَّعَاهُدِ لِلصَّدِيقِ
يَكُونُ دَاعِيَةً لِلْقَطِيعَةِ

المعروف والفضل والكرم من طبيعة الإنسان، وهو كل ما يسديه المرء لأخيه أو صديقه من خدمة بمال أو عمل أو نصيحة، واداء حق ذي المعروف من اوجب الواجبات بل من مكارم الأخلاق وقد ورد في الأثر «من لا يشكر المخلوق لا يشكر الخالق»، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ﴾ وجاء في مجمع الحمام في حكم الإمام أمير المؤمنين «الشكرا زينة الغنى». وقد يأتي الشكر احيانا على قدر المعروف.

ونحن لو شرقنا أو غربنا وبحثنا في آثار الحضارات الماضية كالإغريق والرومان

والهند وفارس وما جاء عنها من فلسفة ووضع الأسس والدستير عن المدينة الفاضلة والأخلاق الفاضلة وتطبيقاتها على ارض الواقع «على اننا نكبر ما جاء فيها» فإننا لن نراها واقعا عمليا إلا في تراث المسلمين وتحديدا في تراث أهل البيت.

هـ نحن نصل إلى الحق الثالث من حقوق الآخرين وهو حق ذي المعروف

حق ذي المعروف

«وَأَمَّا حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ عَلَيْكَ فَأَنْ تَشْكُرَهُ
وَتَذْكُرَ مَعْرُوفَهُ وَتَنْسُرَ لَهُ الْمَقَالَةَ الْحُسْنَةَ،
وَتُخْلِصَ لَهُ الدُّعَاءَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ،
فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً ثُمَّ إِنْ أَمْكَنَ مُكَافَأَتَهُ بِالْفِعْلِ كَافَأَتَهُ
وَإِلَّا كُنْتَ مُرْضِدًا لَهُ مُوْطَنًّا نَفْسَكَ عَلَيْهَا»

وردة كلمة معروفة في القرآن الكريم «٣٧» مرة أما كلمة الشكر في القرآن الكريم وردة بمختلف صيغها «٨٨» مرة، وكلمة شكور «١٤» مره، وما هذا التكرار الا لأهمية هاتين الصفتين والتحلي بها، على اننا لو راجعنا الكثير من آيات الشكر لوجدنا ان منافع الشكر تعود علينا وهذا كله من كرم نعم الله اذا يعطي فإذا شكر زاد واعطى.

وجاء في المنجد للأعلام واللغة في معنى كلمة شكر:

شكـر - شـكـرا وـشـكـورا وـشـكـرانـا الرـجـل وـله «وبـالـلام اـفـصـح» أـثـنـى عـلـيـه لـما اوـلاـه مـعـرـوفـاـ وـيـقـال شـكـرـا اللـهـ سـعـيـكـ، أـيـ اـثـابـكـ، «وـشـكـرـتـ لـفـلـانـ نـعـمـتـهـ»، وـ«شـكـرـ اللـهـ وـلـهـ وـبـالـلهـ» وـ«نـعـمـةـ اللـهـ وـبـنـعـمـةـ اللـهـ» فـهـوـ شـاكـرـ وـجـمـعـهـ شـاكـرـونـ وـشـكـرـ.

وـالـمعـرـوفـ كـمـاـ قـالـ الرـاغـبـ فـيـ المـفـرـدـاتـ: «اـسـمـ لـكـلـ فـعـلـ يـعـرـفـ بـالـعـقـلـ اوـ الشـرـعـ حـسـنـهـ»، وـقـالـ اـبـنـ مـنـظـورـ: «هـوـ اـسـمـ جـامـعـ لـكـلـ مـاـ عـرـفـ مـنـ طـاعـةـ اللـهـ وـالتـقـرـبـ إـلـيـهـ»،

والإحسان إلى الناس؛ وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسّنات والمُقْبَحات، وهو من الصفات الغالبة، أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرون، المعروف النّصفة وحسن الصّحبة مع الأهل وغيرهم من الناس والمنكر ضد ذلك جميعه.

أي دستور وآية أخلاق يضعها لنا هذا الإمام العظيم في رسالته حقوقه، انه الشكر العملي الذي لا يتوقف على لقلة اللسان فقط بل يتعداه الى الشكر الفعلي العملي الذي يترجم المحبة والمؤاخات بين الشاكر والمشكور. فما هي هذه الأسس التي وضحتها لنا ﷺ:

- ان تشكره وتذكر معروفة

- تنشر له المقالة الحسنة

- تخلص له الدعاء

- مكافأته بالفعل

وإذا ما ادينا هذه كنا قد شكرناه سراً وعلانية.

ان تراث أهل البيت مليء بالآحاديث والحكم التي تؤطر لكل خلق وصفة حسنة، وما صفة الشكر وأداء حق ذي المعروف إلا واحدة منها، ولقد ذكر مولانا أمير المؤمنين «١٥» حكمة في المعروف وشكره وردت كلها في كتاب «غر الحكم ودرر الكلم» لعبدالوحيد الأ Amendi ، وسنذكر شيئاً من تلك الآحاديث والحكم في طيات حديثنا إن شاء الله.

مقدمة في المعروف:

لقد حض الله عز وجل في كثير من الآيات على قول المعروف و فعله، فقال عز من قائل في جانب القول: ﴿قُولُ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَبَعَّهَا أَذْى﴾ (البقرة: ٢٦٣)، وقال: ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ (محمد: ٢١، ٢٠)، وقال في جانب الفعل: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّ حُوْنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (البقرة: ٢٣١)، وقال: ﴿وَمَنْ

كَانَ فَقِيرًا فَلَمْ يَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴿النساء: ٦﴾، وقال:

﴿وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩)، وقال: ﴿وَأَتَيْرُوا يَنْكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ (الطلاق: ٦)؛ وأمر نبيه ﷺ أن يأمر بالمعروف كما في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعُفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (آل عمران: ١٩٩).

وجعل الأمر به أو الأمر بضده عالمة فارقة بين المؤمنين والمنافقين، فقال في حق المؤمنين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (التوبه: ٧١)، وقال على الطرف الآخر في حق المنافقين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ (التوبه: ٦٧)، وأخيراً، جعل الأمر بالمعروف من علامات خيرية هذه الأمة على غيرها من الأمم فقال: ﴿كُتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وهذا الذي سبق - وغيره كثير - يدل على أهمية قول المعروف و فعله.

ومن ألطاف ما جاء في نفع المعروف لصاحب في الدنيا قوله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء» وكم اجاد هذا الشاعر في تمثيل هذا الحديث:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَّهُ لَا يَذَهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

مكانة المعروف وأهله:

يمتاز أهل المعروف بمعروفهم، و لهم مكانة معروفة، وفي الحديث الشريف:

«من بذل معروفه آتاه الله جزاء معروفه (وفيه) أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة.

وفي حديث ابن عباس قال: « يأتي أهل المعروف يوم القيمة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم تامة فيعطونها من زادت سيئاته على حسناته فيغفر له، فيدخلون الجنة، فيجتمع لهم الإحسان إلى الناس في الدنيا والآخرة».

وفي الحديث: «ليش شيء أفضل من المعروف إلا ثوابه» وفيه «ليس كل من يحب أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه، وليس كل من يرغب فيه يقدر عليه، ولا كل من يقدر عليه يؤذن له فيه، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن تمت السعادة للطالب والمطلوب إليه، وصنائع المعروف تدفع ميتة السوء، وتقي مصارع الهاون». ويشير هذا الحديث على أن الأعمال الخيرية تحتاج إلى التوفيق من الله سبحانه وتعالى بعد الرغبة والقدرة.

وقال عليه السلام «أول من يدخل الجنة المعروف وأهله وأول من يرد على الحوض» وقوله عليه السلام «إن البركة أسرع إلى البيت الذي يمتاز فيه المعروف من الشفارة في سلام الجزور أو من السيل إلى منتهاه».

ومن حكم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في المعروف:

- المعروف أشرف سيادة
- المعروف أفضل الكنزين
- المعروف حسب
- المعروف رق
- المعروف غل لا يفكه إلا شكر أو مكافأة
- المعروف كنز فانظر عند من تودعه
- المعروف لا يتم إلا بثلاث «بتضيئره، وتعجيله، وستره، فإنك إذا صغرته فقد عظمته وإذا عجلته هنأته وإذا سترته فقد تمته».
- المعروف يكدره تكرار المثل به.

وعن الإمام الباقر عليه السلام «إن من أحب عباد الله إلى الله لمن حبب إليه المعروف وحبب إليه فعاله» وقوله «إن من بقاء المسلمين وبقاء الإسلام أن تصير الأموال عند من يعرف الحق ويصنع المعروف، إن من فناء الإسلام وفناء المسلمين أن تصير الأموال

في أيدي من لا يعرف فيها الحق ولا يصنع فيها المعروف».

إن مما يندى له الجبين أن نرى اليوم أموال وثروات المسلمين بأيدي أناس كتلك التي أشار لها الحديث أعلاه ينفقونها في شهواتهم وملذاتهم وأمورهم الخاصة.

وعنه عليه السلام مخاطبا زراراً: «ثلاثة إن تعلمهم المؤمن كانت له زيادة في عمره، وبقاء لنعمته عليه».

فقلت: وما هن؟ فقال: تطويله في ركوعه وسجوده في صلاته، وتطويله بجلوسه على طعامه إذا أطعم على مائده، واصطناعه المعروف إلى أهله».

أنواع المعروف

الأول - معروف عام، وهذا النوع من المعروف يقتضي الجهر به والإعلان عنه. قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدِوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفَّرُ عَنْكُمْ مَّنْ سَيِّئَتْكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾، لأن في إعلانه المجد والشرف مثل غنائم الجيوش ومكافأة الملوك على الأعمال الصالحة وصدقات الفرائض.

الثاني - معروف خاص، وهذا النوع من المعروف يقتضي الإخفاء والكتمان، كالعطایا التي من شأنها سد الحاجة ودفع العوز وهذا يجب فيه الكتمان وجوبا محتوما، والا يعلم بالصنيع احد سوى المقصود وحده بها.

قال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله عليه السلام: «صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا، وصدقه الفريضة علانيتها أفضل من سرها بسبعين مرة».

وقوله عليه السلام: «ورجل تصدق بصدقه فأخفها حتى لا تعلم شمالي ما صنعت يمينه».

ونحن اذا اردنا ان ندلل على واقع عملي وتطبيق حي لصدقه السر فسوف نراها جليلة واضحة في سيرة أهل بيته، فقد نقل معلى بن خنيس وكان من

أصحاب الأئمّة الصادق عليه السلام ومحبيه، أَنَّه رأى الأئمّة خارجاً في الليل قاصداً ظلة بني ساعدة، فتساءل في نفسه: أين يريد الإمام في هذا الليل يا ترى؟ والله لا أدعه وحده في ظلمة الليل الموحشة، فمشى خلف الإمام يراقبه والإمام لا يعلم به. وبينما هو يقتفي أثر الإمام إذ سمع فجأةً أن شيئاً سقط من كتف الإمام وتبعثر على الأرض، وسمع الإمام يقول: بسم الله اللهم ردْه إلينا، فتقدم من الإمام وسلم عليه فعرفه الإمام الصادق عليه السلام من صوته فقال له: أَمْعَلْتَ أَنْتَ؟ وحانَتْ منه التفاتة إلى الأرض، فإذا هو بخبز كثير قد تناشر عليها، فقال الإمام: إِلْتَمَسْتُ بِيْدِكَ الْأَرْضَ فَمَا وَجَدْتُ مِنْ شَيْءٍ فِيهَا.. وَبَعْدَ أَنْ جَمَعْتُ مَعْلَى الْخَبْزِ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ وَنَوَّلْتُهُ إِلَيْكَ، عَلِمْتُ أَنَّ الْإِمَامَ عَذَّبَ عَنْ حَمْلِ جَرَابِ الْخَبْزِ فَسَقَطَ مِنْهُ عَلَى الْأَرْضِ، لِذَلِكَ اسْتَأْذَنْتُ مِنَ الْإِمَامِ أَنْ يَحْمِلَ الْجَرَابَ بَدْلًا عَنْهُ، فَقَالَ الْإِمَامُ: لَا، أَنَا أَوْلَى بِهِ مِنْكَ، وَلَكِنْ تَعَالَى مَعِي، سَارَا مَعَا وَالْإِمَامُ يَحْمِلُ الْجَرَابَ عَلَى كَتْفِهِ حَتَّى بَلَغَا ظَلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ، إِنَّهُمْ بِقَرَاءَ نَيَامٍ، لَأَنَّ الظَّلَّةَ كَانَتْ مَلْجَأَ الْفَقَرَاءِ وَمَأْوَى الْمَسَاكِينِ وَالْمُسْعَفَاءِ. فَجَعَلَ الْإِمَامُ يَدِسُ الرَّغِيفَ وَالرَّغِيفَيْنِ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِمْ فَانْصَرَفَ هُوَ وَمَعْلَى، قَالَ الْإِمَامُ لَمَعْلَى: صَدَقَةُ اللَّيْلِ تَطْفَئُ غَضَبَ الْرَّبِّ وَتَحْوِي الدَّنْبَ وَتَهُونُ الْحَسَابَ.

الثالث - الإحسان

قال مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام:

أَحْسَنْ إِلَى مَنْ شَئْتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ، وَاسْتَغْنَ عَمَّنْ شَئْتَ تَكُنْ نَظِيرَهُ، وَاحْتَجْ إِلَى مَنْ شَئْتَ تَكُنْ أَسِيرَهُ.

من أنواع المعروف، الإحسان، والمحسنون في نظر الإسلام أحباب الله يرعاهم، وأن رحمته ترعاهم قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقد عرف لغة الإحسان ضد الإساءة. مصدر أحسن أي جاء بفعل حسن.

معنى الإحسان اصطلاحاً: الإحسان نوعان:

- إحسان في عبادة الخالق: بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.
وهو الحد في القيام بحقوق الله على وجه النصح، والتكميل لها.

- وإحسان في حقوق الخلق، هو بذل جميع المنافع من أي نوع كان، لأي مخلوق يكون، ولكن يتفاوت بتفاوت المحسن إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب الإحسان، وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسبب الداعي له إلى ذلك.

وقال الراغب: (الإحسان على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير، والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم عملاً حسناً أو عمل عملاً حسناً).

قال أبو الفتح البستي:

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِدْ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ

صور الإحسان:

قبل أن نفصل في صور الإحسان نذكر هذه الصور على جهة الإجمال، والتي منها الإحسان في العبادات، والإحسان في المعاملات، والإحسان إلى الحيوانات، والإحسان في الأعمال البدنية، فـ(الإحسان في باب العبادات أن تؤدي العبادة أياً كان نوعها؛ من صلاة أو صيام أو حجٍ أو غيرها أداءً صحيحاً، باستكمال شروطها وأركانها، واستيفاء سنتها وأدابها، وهذا لا يتم للعبد إلا إذا كان شعوره قوياً بمراقبة الله عزَّ وجلَّ حتى كأنه يراه تعالى ويشاهده، أو على الأقل يشعر نفسه بأنَّ الله تعالى مطلعاً عليه، وناظراً إليه، فبهذا وحده يمكنه أن يحسن عبادته ويتقنها، فيأتي بها على الوجه المطلوب، وهذا ما أرشد إليه الرَّسُول ﷺ في قوله: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)).

وفي باب المعاملات فهو للوالدين ببرهما بالمعروف، وطاعتهما في غير معصية

الله، وإيصال الخير إليهما، وكف الأذى عنهما، والدُّعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما.

وهو للأقارب ببرهم ورحمتهم والعطف عليهم، وفعل ما يجُمل فعله معهم، وترك ما يسيء إليهم.

وهو لليتامى بالمحافظة على أموالهم، وصيانة حقوقهم، وتأديبهم وتربيتهم بالحسنى، والمسح على رؤوسهم.

وهو للمساكين بسد جوعهم، وستر عورتهم، وعدم احتقارهم وازدرائهم، وعدم المساس بهم بسوء، وإيصال النفع إليهم بما يستطيع، وهو لابن السبيل بقضاء حاجته، وسد خلته، ورعاية ماله، وصيانة كرامته، وبإرشاده إن استرشد، وهدايته إن ضل.

وهو للخادم بإتيانه أجره قبل أن يجف عرقه، وبعدم إلزامه ما لا يلزم، أو تكليفه بها لا يطيق، وبصون كرامته، واحترام شخصيته.

وهو لعموم الناس بالتَّلَطُّف في القول لهم، ومجاملتهم في المعاملة، وبإرشاد ضالهم، وتعليم جاهم، والاعتراف بحقوقهم، وإيصال النفع إليهم، وكف الأذى عنهم.

وهو للحيوان بإطعامه إن جاع، ومداواته إن مرض، وبعدم تكليفه ما لا يطيق، وحمله على ما لا يقدر، وبالرُّفق به إن عمل، وإراحته إن تعب.

وهو في الأعمال البدنية بإجاده العمل، وإتقان الصنعة، وبخلص سائر الأعمال من الغش، وهكذا. وإليك تفاصيل هذه الصور:

١- الإحسان في عبادة الله:

(والإحسان في عبادة الله له ركن واحد بينه النبي ﷺ بقوله: (بأن تعبد الله كائناً تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك). فأخبر النبي ﷺ أنَّ مرتبة الإحسان على

درجتين، وأنَّ المحسنين في الإِحْسَان على درجتين متفاوتتين، الْدَّرْجَةُ الْأُولَى: وهي (أن تعبد الله كأنك تراه). الْدَّرْجَةُ الثَّانِيَةُ: أن تعبد الله كأنه يراك، والمعنى إذا لم تستطع أن تعبد الله كأنك تراه وتشاهده رأي العين، فائز إلى المرتبة الثانية، وهي أن تعبد الله كأنَّه يراك. فال الأولى عبادة رغبة وطمع، والثانية عبادة خوف ورهب).

٢- الإِحْسَانُ إِلَى الْوَالِدِينَ:

جاءت نصوص كثيرة تُحثُّ على حقوق الوالدين وبرّهما والإِحْسَانُ إِلَيْهِمَا قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَاّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْعَنَنَّ عِنْدَكُمُ الْكَبِيرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقْلِيلَ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذُلُّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإِسْرَاء: ٢٣-٢٤).

قال العلماء: فاحقُّ النَّاسَ بعْدِ الْخَالِقِ الْمَنَانُ بِالشُّكْرِ وَالإِحْسَانِ وَالتَّزَامِ الْبُرُّ وَالطَّاعَةِ لِهِ وَالإِذْعَانِ مَنْ قَرِنَ اللَّهَ إِلَيْهِ بِعِبادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَشُكْرُهُ بِشُكْرِهِ، وَهُمَا الْوَالِدَانِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَنِ اشْكُرْنِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (الْقَمَان: ١٤).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتُلُّ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا﴾ (الأنعام: ١٥١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (سألت رسول الله ﷺ أيُّ العمل أفضَّل؟ قال: الصَّلاة لوقتها. قال قلت: ثمَّ أي؟ قال: بُرُّ الْوَالِدِينِ. قال قلت: ثمَّ أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله).

وأجمع أكثر العلماء على أنَّه يجب تعظيم الوالدين والإِحْسَانُ إِلَيْهِمَا إِحْسَانًا غير مقيَّد بكونهما مؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة: ٨٣).

٣- الإِحْسَانُ إِلَى الْجَارِ:

عن أبي شريح الخزاعي أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلِيقلُ خَيْرًا أَوْ لِيُسْكِنْ).

ويكرم جاره بالإحسان إليه وكف الأذى عنه، وتحمل ما يصدر منه، والبشر في وجهه، وغير ذلك من وجوه الإكرام.

٤- الإحسان إلى اليتامي والمساكين:

وَمِنَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ: الْمَحَافِظَةُ عَلَى حُقُوقِهِمْ وَالْقِيَامُ بِتَرْبِيَتِهِمْ، وَالْعَطْفُ عَلَيْهِمْ، وَمَدْيُدُ الْعُونَ لَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيشَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَبْعَدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتُّوِّلُوا الزَّكَاهُ ثُمَّ تَوَلَّتِمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة: ٨٣).

فَإِنَّ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ وَالبَرَّ بَهُمْ وَكِفَالَةُ عِيشَهُمْ وَصِيَانَةُ مُسْتَقْبِلِهِمْ مِنْ أَزْكَى الْقَرَبَاتِ، بل إنَّ الْعَوَاطِفَ الْمُنْحَرَفَةَ تَعْتَدُ فِي هَذَا الْمُسْلِكِ وَتَلْزِمُ الْجَاهَدَةَ، وَفِي الْأَثْرِ أَنَّ رَجُلًا شَكَّا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ: (امْسِحْ رَأْسَ الْيَتَيمِ وَأَطْعِمْ الْمَسْكِينَ). وفي رواية: أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ يَشْكُو قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: (أَتَحْبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ وَتَدْرِكَ حَاجَتَكَ، ارْحَمْ الْيَتَيمَ وَامْسِحْ رَأْسَهُ وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، يَلِينَ قَلْبُكَ وَتَدْرِكَ حَاجَتَكَ). وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ يَتَبَلَّدُ فِي الْمُجَمَعَاتِ الَّتِي تَضُجُّ بِالْمَرْحَ الدَّائِمِ، وَالَّتِي تَصْبِحُ وَتَمْسِي وَهِي لَا تَرَى مِنَ الْحَيَاةِ غَيْرَ آفَاقَهَا الْزَّاهِرَةُ وَنَعْمَهَا الْبَاهِرَةُ، وَالْمَرْفُونُ إِنَّمَا يَتَنَكَّرُونَ لِلآلَمِ الْجَاهِيرِ؛ لِأَنَّ الْمَلَذَاتِ -الَّتِي تُيَسِّرُ لَهُمْ- تُغْلِفُ أَفْئَدَهُمْ وَتَطْمَسُ بَصَائِرَهُمْ، فَلَا تَجْعَلُهُمْ يَشْعُرُونَ بِحَاجَةِ الْمُحْتَاجِ وَأَلَمِ الْمَتَّلِمِ وَحَزْنِ الْمَحْزُونِ، وَالنَّاسُ إِنَّمَا يُبَرِّزُونَ الْأَفْئَدَةَ النَّبِيلَةَ وَالْمَشَاعِرَ الْمَرْهُفَةَ عِنْدَمَا يَنْقُلُونَ فِي أَحْوَالِ الْحَيَاةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَيُبَلَّوْنَ مَسَّ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، عِنْدَئِذٍ يَحْسُسُونَ بِالْوَحْشَةِ مَعَ الْيَتَيمِ وَبِالْفَقْدَانِ مَعَ الشَّكْلِيِّ وَبِالْتَّعْبِ مَعَ الْبَائِسِ الْفَقِيرِ.

٥- الإحسان في العاملات التجارية:

قد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً، والعدل سبب النجاة فقط، وهو

يجري من التجارة مجرى سلامة رأس المال، والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة، وهو يجري من التجارة مجرى الربح، ولا يُعد من العقلاة من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله، فكذا في معاملات الآخرة. ولا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واحتساب الظلم، ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: ٧٧)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦)، وينال المعامل رتبة الإحسان بوحدٍ من عدة أمور:

الأول: في المغابنة، فينبغي أن لا يغبن صاحبه، وأن يقنع بربح ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته، واستفاد من تكررها ربحاً كثيراً، وبه تظهر البركة.

الثاني: في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه مرّة بالمساحة وحده البعض، ومرّة بالإمهال والتأخير، ومرّة بالمساهلة في طلب جودة النقد، وكل ذلك مندوب إليه ومحثوث عليه، وفي الخبر: (من أقرض ديناً إلى أجل، فله بكل يوم صدقة إلى أجله، فإذا حل الأجل فأنظره بعده، فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة).

الثالث: في توفية الدين، ومن الإحسان فيه حسن القضاء، وذلك بأن يمشي إلى صاحب الحق، ولا يكلّفه أن يمشي إليه يتقاده، فقد قال ﷺ: (خيركم أحسنكم قضاء)، ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته، وإن عجز فلينبو قضاءه مهما قدر، ومهما كلّمه مستحق الحق بكلام خشن، فليتحمّله وليراقبه باللطف اقتداءً برسول الله ﷺ لما ردّ عليه كلام صاحب الدين، فهم به أصحابه، فقال: (دعوه؛ فإنَّ لصاحب الحق مقالاً). ومن الإحسان أن يميل الحكم إلى من عليه الدين لعسره.

الرابع: أن يُقيل من يستقيله؛ فإنه لا يستقيل إلا متندّم مُستضرِّ بالبيع، ولا ينبغي أن يرضي لنفسه أن يكون سبب استضمار أخيه، وفي الخبر: (من أقال نادماً صفقته، أقال الله عثرته يوم القيمة).

٦- الإحسان إلى المسيء:

(وَمِنْ أَجْلِّ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ: الْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُ بِقَوْلٍ أَوْ فَعْلٍ). قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْيَنُكَ وَبَيْنَهُ عَدَاؤُهُ كَانَهُ وَلِيُّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥).

ومن كانت طريقة الإحسان، أحسن الله جزاءه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا إِحْسَانٌ﴾ (الرحمن: ٦٠).

قال الشاعر:

إِذَا مِرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيَكُمْ وَنَعْتَذِرُ
وَمَنْ أَرَادَ فِيهِمْ هَذِهِ الدَّرْجَةَ كَمَا يَنْبَغِي فَلِيَنْظُرْ إِلَى سِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَعَ النَّاسِ يَجْدِهَا بَعْنَاهَا).

٧- الإحسان في الكلام:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا أَتَيْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٥٣).

وفي الأثر أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطبهم ومحاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة؛ فإنهم إذا لم يفعلوا ذلك، نزع الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والخصومة والمقاتلة.

٨- الإحسان في الجدال:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النَّحْل: ١٢٥).

وفي الميزان: الجدال هو الحجة التي تستعمل لقتل الخصم عمما يصر عليه وينازع فيه، وفيه المجادلة منقسمة إلى حسنة وغير حسنة ثم الحسنة إلى التي هي أحسن وغيرها والمأذون فيها منها التي هي أحسن.

٩- الإحسان إلى الحيوان:

ومن الإحسان إلى الحيوان، إطعامه والاهتمام به، وحد الشفرة عند ذبحه، وأن لا يحد الشفرة أمامه، وعدم الحمل عليه أكثر من طاقته.

قال ﷺ: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلت فأحسنوا القتلة)، وروى أنَّ النَّبِيَّ ﷺ رأى رجلاً أضجع شاة، فوضع رجله على عنقها، وهو يحد شفنته، فقال له ﷺ: (ويلك، أردت أن تحيتها موتات؟ هلا أحدثت شفترتك قبل أن تضجعها)، وقال ﷺ: (في كل كبد رطبة أجر).

وروي عن رسول الله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلت فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، ولديد أحدكم شفترته وليرح ذبيحته»، بناء على ذلك فإن الإحسان مطلوب في كل شيء، حتى في حالة ما إذا اراد الإنسان أن يذبح ذبيحة فإنه لا ينبغي له أن يتخل عن فضيلة الإحسان، وعليه أن يسوقها إلى الموت سوقاً رفياً، ويجد السكين ليجهز عليها في سرعة فيريحها وينخفف آلامها.

الإحسان في الشعر:

قال أبو الفتح البستي:

زيادةُ المرءِ في دنياه نقصانُ
أحسِنْ إلى النَّاسِ تُسْتَعِدُّ قلوبَهُمْ
مَنْ جادَ بِالْمَالِ مَا النَّاسُ قاطبَةً
أَحْسِنْ إِذَا كَانَ إِمْكَانُ وَمَقْدِرَةً
حِيَاكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَحِيَّتَهُ

وربُّهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ خَسْرَانُ
فَطَالَمَا اسْتَعْدَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ
إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَانُ
فَلن يَدُومَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِمْكَانُ
لَوْلَا الدِّرَاهِمُ مَا حَيَاكَ إِنْسَانُ

وقال أبو العتاهية:

لا تمش في النَّاسِ إِلَّا رحْمَةً لَهُمْ
وَاقْطَعْ قَوَى كُلَّ حَقِّدِ أَنْتَ مُضْمِرُهُ

وَلَا تَعْامِلْهُمْ إِلَّا بِإِنْصَافِ
إِنْ زَلَّ ذُو زَلَّةٍ أَوْ إِنْ هَفَّا هَافِ

وارغب بنفسك عمّا لا صلاح له وإن يكن أحد أولاك صالحة ولا تكشف مسيئاً عن إساءته وأوسع الناس من بِرٍ وإلطف فكافه فوق ما أولى بأضعاف وصل حبال أخيك القاطع الجافي

المعنى:

أحسن وجه في الورى وجه محسن وأيمان كف فيهم كف منعم ومن المعروف

الرابع - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا يرتاب ذو مسكة بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الفرائض لأن فيه حفظ النظام بين الناس وإقامة السنن ودرء المفاسد، ولرب أمر بمعرف أو نهي عن منكر فعلت فعلها في هداية إنسان وتهذيبه وتحسين أخلاقه وذلك خيرا له من إعطائه مبلغا جزلا أو سد عوزه ببعض الطعام.

ولقد وردت الآيات الكثيرة في الحث على اداء هذه الفريضة ولو لم يكن إلا هذه الآية لكتفى: ﴿وَلْتُكُنْ مِّنْكُمْ أَمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمُعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (آل عمران: ١٠٤).

كذلك جاءت الأحاديث الكثيرة في الحث على العمل بهذه الفريضة وما أثر عن ذلك، عن رسول الله ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء».

وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: في وصيته للحسنين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي عليكم أشراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم».

وهذا هو الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية عند خروجه من مكة يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وانـي ما خرجت أـشرـأـ ولا بـطـرـأـ ولا ظـلـمـأـ ولا مـفـسـدـأـ وإنـما

خرجت أريد الإصلاح في أمة جدي»، أي أريد الثورة لأجل الإصلاح لا للوصول إلى الحكم حتىًّا أو للشهادة حتىًّا، والإصلاح ليس بالأمر الهين، فقد تكون الظروف بصورة بحيث يصل الإنسان إلى سدة الحكم ويمسك بزمام السلطة وقد لا يمكنه ويستشهد، وفي كلتا الحالتين فالثورة تكون لأجل الإصلاح، ثم يقول عليه السلام: «أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي». والإصلاح يتم عن هذا الطريق، وهو هذا مصدق الأمـر بالـمعـرـوف والنـهـي عـنـ المـنـكـر.

وقال مولانا الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إن الأمـر بالـمعـرـوف والنـهـي عـنـ المـنـكـر سـبـيلـ الـأـنـبـيـاءـ، وـمـنـهـاجـ الـصـلـحـاءـ، فـرـيـضـةـ عـظـيمـةـ، بـهـاـ تـقـامـ الـفـرـائـضـ، وـتـأـمـنـ الـمـذاـهـبـ، وـتـخـلـ الـمـكـاـسـبـ، وـتـرـدـ الـمـظـالـمـ، وـتـعـرـمـ الـأـرـضـ، وـيـتـصـفـ مـنـ الـأـعـدـاءـ، وـيـسـتـقـيمـ الـأـمـرـ، فـأـنـكـرـ وـأـبـلـوـبـكـمـ وـفـظـواـبـأـلـسـتـكـمـ، وـصـكـواـبـهـاـ جـاهـهـمـ، وـلـاـ تـخـافـواـ فـيـ اللـهـ لـوـمـةـ لـائـمـ.

ولقد لخص هذا الحديث على اقتضابه فوائد الأمـر بالـمعـرـوف والنـهـي عـنـ المـنـكـر وبين مراتب آدائها.

غير أن الأمـر بالـمعـرـوف والنـهـي عـنـ المـنـكـر مـسـؤـولـيـةـ كـبـيرـةـ وـتـكـلـيفـ شـاقـ؛ لـأـنـهـ ليس مجرد ألفاظ تردد أو كلام يقال، وليس مجرد أمر ونهي، وإنما هو اصلاح وتغيير للمحتوى الداخلي للإنسان، وصياغة جديدة للأفكار والعواطف والسلوك.

ولهذا فلابد أن يتّصف الآمرون بالـمعـرـوف والنـهـي عـنـ المـنـكـر بـخـصـائـصـ وـصـفـاتـ مـتـمـيـزةـ، تـؤـهـلـهـمـ لـخـوضـ غـمـارـ الـمـسـؤـولـيـةـ إـلـىـ نـهـاـيـةـ الشـوـطـ فيـ تـغـيـيرـ ذـهـنـيـةـ الـجـمـعـيـهـ إـلـىـ ذـهـنـيـةـ اـسـلـامـيـةـ، وـتـغـيـيرـ سـلـوكـهـ إـلـىـ سـلـوكـ إـسـلـامـيـ.

وبما إنّ الأمـر بالـمعـرـوف والنـهـي عـنـ المـنـكـر هو تـكـلـيفـ شـرـعيـ فيـجـبـ أنـ يـكـونـ المـكـلـفـ فيـ جـمـيعـ أـحـوالـهـ وـفيـ جـمـيعـ مـراـحـلـ الـمـسـؤـولـيـةـ مـخـلـصـاـ اللـهـ تـعـالـىـ، وـانـ يـتـوـكـلـ

عليه، ويستمد العون والنصرة منه وحده، وان يستخدم الأساليب المشروعة في أدائه للتكليف والمسؤولية، وان يكون متفائلاً بالنجاح، وان يندفع ذاتياً للعمل لا ينتظر أجرًا ولا جزاءً بشرياً من أحدٍ، وإنما أجراه على الله تعالى.

ويمكن تصنيف الخصائص والصفات إلى خصائص وصفات ذاتية، خصائص وصفات عملية أو سلوكية.

أولاً: خصائص وصفات ذاتية:

١- العلم والمعرفة:

من أهم الخصائص والصفات أن يكون الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر عالماً بقواعد وأسس المنهج الإسلامي؛ ليصلاح ويغير على ضوئها، والحد الأدنى من العلم أن يكون مطلعاً اطلاقاً إجمالياً على أصول العقيدة الإسلامية، وأصول العقائد السائدة في المجتمع، وان يكون على علم بالاحكام الشرعية التي تصنف إلى معروف ومنكر، وتصنف أيضاً إلى واجب ومستحب، وحرام ومكروه، ومحظوظ، والحد الأدنى أن يكون على علم بمسائل ينتلي بها أفراد المجتمع.

قال رسول الله ﷺ: «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلاّ من كان فيه ثلات: عالماً بما يأمر به عالماً بما ينهى عنه».

وقال الإمام الصادق ع: «إياك وخلطتين فيهما هلك من هلك: إياك أن تفتني الناس برأيك أو تدين بما لا تعلم».

وينبغي أن يطلع المكلف على السيرة النبوية وسيرة أهل البيت ع وسيرة المصلحين؛ ليكون أكثر خبرة في أداء العمل.

وأن يكون على معرفة بأحوال المجتمع وخصائص أفراده من حيث أفكارهم وعواطفهم ومارساتهم العملية، وأن يكون مطلعاً على الأحداث والمواقف ليتخد الأسلوب الأنفع في حركته الإصلاحية، وأن يكون قادرًا على تشخيص ما ينبغي أن

يعمله تبعاً للظروف من حيث اللين والشدة، أو الحيطة والحذر، أو الإسراع والتأني. وأن يكون مطلعاً على الفوارق الطبيعية بين بلدٍ وآخر، أو قوم وآخرين.

وعدم المعرفة بالأوضاع الاجتماعية والفردية، أو بعدم استخدام الأسلوب الأنجح، أو عدم الاطلاع على أساسيات المفاهيم والقيم الإسلامية، قد تؤدي إلى نتائج عكسية ومنها النفور من الإسلام أو من الداعين له.

قال رسول الله ﷺ: «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح».

وقال الإمام جعفر الصادق ع: «العامل على غير بصيرة كالسائل على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلاّ بعدها».

٢ - القدوة:

إن لم يكن الأمر بالمعروف والنافي عن المنكر قدوة لغيره فإنّ عمله لا يثمر، ولا يستطيع أن ينفذ إلى القلوب لتتبناه الجوارح في ممارسات عملية، فالناس ينظرون إلى شخصية من يريد اصلاحهم وتغييرهم ومدى تجسيده للمفاهيم والقيم التي يدعوهם إلى التمسك بها، ومقدار ابتعاده عن النواهي التي يدعو للإنتهاء عنها.

قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «يا بن مسعود لا تكوننَّ مِنْ يهدي الناس إلى الخير ويأمرهم بالخير وهو غافل عنه».

وقال ﷺ: «أيها الناس إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأنناهى قبلكم عنها».

ودعا أمير المؤمنين علي ع إلى تجسيد المفاهيم والقيم في النفس والارادة والسلوك العملي قبل دعوة الناس إليها، فقال ع: «اتمروا بالمعروف وأمراوا به، وتناهوا عن المنكر وانهوا عنه»، كما قال «احصد الشّرّ من صدر غيرك بقلعه من

صدرك»، «كفى بالمرء غواية أن يأمر الناس بها لا يأمر به، وينهاهم عما لا ينتهي عنه».

وقال أبو الأسود في قصيدة له :

لَا تَنْهِ عَنْ خَلْقٍ وَتَأْتِي مُثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمًا
وَعَدْمُ الْإِلْزَامِ بِمَوَارِدِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ قَبْلِ الْأَمْرَيْنِ بِهِ
وَالنَّاهِيْنِ عَنِهِ يَكُونُ حَجَّةً عَلَيْهِمْ، وَلَا يَتَفَعَّلُ النَّاسُ بِهِمْ، قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
«مَنْ لَمْ يَنْسُلِخْ عَنْ هَوَاجِسِهِ، وَلَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْ آفَاتِ نَفْسِهِ وَشَهْوَاتِهَا، وَلَمْ يَهْزِمْ الشَّيْطَانَ،
وَلَمْ يَدْخُلْ فِي كَنْفِ اللَّهِ وَأَمَانَ عَصْمَتِهِ؛ لَا يَصْلَحُ لَهُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ؛
لَاَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهِذِهِ الصَّفَةِ، فَكُلُّمَا أَظْهَرَ أَمْرًا كَانَ حَجَّةً عَلَيْهِ، وَلَا يَتَفَعَّلُ النَّاسُ بِهِ».

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إِنَّ مَثَلَ الْوَاعِظِ وَالْمَتَعَظِ كَالْيَقْظَانِ وَالرَّاقِدِ، فَمَنْ اسْتِيقَاظَ عَنْ رِقْدَتِهِ وَغَفَلَتِهِ وَمَخَالِفَتِهِ وَمَعَاصِيهِ، صَلَحَ أَنْ يَوْقَظَ غَيْرَهُ مِنْ ذَلِكَ الرِّقَادِ».

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «كُونُوا دُعَاءً لِلنَّاسِ بِغَيْرِ أَسْتِكْنَمْ؛ لِيَرَوْا مِنْكُمُ الْوَرَعَ وَالْجَهَادَ وَالصَّلَاةَ وَالْخَيْرَ، إِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةً».

وقد جسد أهل البيت ع دور القدوة في حركتهم الإصلاحية والتغييرية، قال الإمام أمير المؤمنين ع : «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحْثَكُمْ عَلَى طَاعَةِ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ إِلَّا وَأَتَنَاهُ قَبْلَكُمْ عَنْهَا».

وحيثما دعا الإمام الحسين ع إلى الجهاد تجسيداً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقدم بنفسه وأهل بيته وعياله، فكان قدوة لأصحابه في جميع قيم الأیثار والتضحية، والإخلاص لله تعالى.

٣ - البشاشة وطلافة الوجه ولين الكلام:

البشاشة وطلافة الوجه ولين الكلام تساعده على جذب الناس وامتلاك عواطفهم ومشاعرهم، وتوجيهها توجيهاً رسالياً؛ لأنّ الناس غالباً ما يتأثرون بالأشخاص قبل التأثر بالأفكار والقيم.

وفي ذلك قال إمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام: «طلاقه الوجه بالبشر والعطية و فعل البر وبذل التحية داع إلى محبة البرية، عليك بالبشاشة فإنها حبالة المودة».

ثانياً : خصائص وصفات عملية وسلوكية:

١ - المداراة

يجيد الآمر بالمعروف والنافي عن المنكر أصنافاً من الناس يختلفون في طاقاتهم وأمكانياتهم الفكرية والعاطفية والسلوكية، فلابد وأن يتصرف بالمداراة ليستطيع التأثير على تعدد أصناف الناس المتميّز إلى مدارس عقائدية وفكّرية متنوعة، والموزعين على ولاءات متعددة قبليّة وقوميّة وطائفية. ومداراة الناس من أولويات العمل في أوساطهم، كما أكدّ رسول الله عليهما السلام على ذلك بقوله: «أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض».. و«رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك الحق»... و«رأس العقل المداراة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة».

وقال الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام: «من سالم الناس كثراً صدقاً وقل أعداؤه. المداراة أحمد الخلال. رأس الحكمة مداراة الناس».

وتتمثل المداراة بتكليم الناس على قدر عقولهم، قال رسول الله عليهما السلام: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم». وأن يتحدث المكلف بكلام مفهوم من قبل الجميع بلا حاجة إلى استخدام العبارات الغامضة، والمصطلحات غير الواضحة، قال أمير المؤمنين عليهما السلام: «أحسن الكلام ما زانه حُسنُ النّظام، وفهمه الخاص والعام».

٢- الرفق

الإنسان غالباً ما يأنس بآرائه وأفكاره وموافقه حتى تصبح جزءاً من كيانه، يرى فيها كرامته وكبرياته، ولا يتنازل عنها أحياناً؛ لأنّه يرى في ذلك تنازلاً عن كرامته، وهذا فالتعامل مع هكذا إنسان يجب أن يكون برفق وهدوء، لذا كان الرفق صفة وخاصية مستحسنة لدى المكلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرفق ييسّر الصعب ويذلل الشدائد، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الرفق ييسّر الصعب ويسهل شديد الأسباب. من استعمل الرفق لأن له الشديد».

٣- الإحسان

الإحسان صفة محمودة يستطيع بها الإنسان أن يؤثر على عواطف الآخرين ومن ثم عقوتهم وسلوکهم؛ لأنّ النفس الإنسانية محبولة على حب من أحسن إليها. والإنسان يؤدي إلى كسب ود الآخرين وثقتهم فالإحسان الذي يرافق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يساعد في استهواء الآخرين وشدّهم إلى ما يملئه عليهم من أفكار وقيم، ومن نصائح وارشادات، ويدفعهم لراجعة نفوسهم وسلوکهم، واصلاحها حياءً أو قناعة في مقابل الإحسان إليهم. فقد استطاع رسول الله ﷺ أن يؤثر على الكثيرين ويووجههم للإنتماء إلى الإسلام بالإحسان اليهم، فقد أسلم مالك بن عون كبير هوازن لاحسان رسول الله ﷺ إليه وأسلم عدي بن حاتم واخته بسبب الإحسان إليهم.

٤- التعايش مع الناس

من أهم الصفات التي تجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قادراً على الإصلاح والتغيير هي عدم الانزعال عن الناس؛ لأنّ التكليف وأداء الواجب لا يقتصر على إلقاء الخطب في مجالس محدودة، وإنما هو حركة وعمل دؤوب في وسط

الناس، يشاركونهم في أعمالهم، ويعيشون معهم كواحد منهم يفرح لأفراحهم ويحزن لأحزانهم، ويكون شريكاً لهم في آمالهم وألامهم، وهذه الصفة تجعله قادرًا على التأثير على أفكارهم وعواطفهم وممارساتهم العملية.

٥- الصبر والحلم

إن طريق الدعوة والإصلاح والتغيير طريق طويل مليء بالمعوقات والعرقل، فلا بد وأن يتخلّى من تبنّاه بصفة الصبر، ولا بدّ وأن يتحمل التكاليف المترتبة عليه، وان يصبر على ردود الأفعال الإجتماعية والدفاع النفسية التي تدعوه إلى الراحة والمهدوء. فعليه يجحب أن يكون الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر صابرًا على طول الطريق، رغم كثرة المعوقات والمشكلات؛ يصبر على التكذيب والإستهزاء والأذى المادي والمعنوي، ويصبر أمام ضغط النفس التي تروم حب الراحة والسكينة، وان يصبر على الوحشة في حالة فقدان الناصر والمعين. قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزِّ الْأُمُورِ﴾. ولا بدّ من صبر على الشدائيد المحيطة بالمصلح والمغير وينبغي هنا أن يكون الصابر حليماً حتى ينال احترام وتقدير الآخرين، ويملك قلوبهم بحلمه.

٦- عدم الانشغال في امور هامشية

من الخصائص التي ينبغي أن يعتمدتها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر هي الإستمرار في أداء التكليف والمسؤولية، وعدم الانشغال بأمور هامشية تقضي على الوقت وتصرف العمل عن هدفه، وتحرره عن مساره، وهو مدعو مع هذا للإعراض عن الأشخاص والمواقف التي تشغله عن أداء الواجب. قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. والإعراض هو الترك والإهمال، وعدم الدخول في

جدال يضيع معه الوقت والجهد دون أن يحقق شيئاً في طريق الواجب.

وقال الفقهاء إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يأتي على ثلاث صور، وكما جاء عن منهاج الصالحين، جزء العادات:

الأولى: أن يأتي بعمل يظهر به انجاره القلبي وكراهته للمنكر أو ترك المعروف، كإظهار الإنذار من الفاعل، أو الإعراض والصد عنه، أو ترك الكلام معه، أو نحو ذلك من فعل أو ترك يدل على كراهة ما وقع منه.

الثانية: الأمر والنهي باللسان والقول، بأن يعظ الفاعل وينصحه، ويدرك له ما أعد الله سبحانه للعاصين من العقاب الأليم والعذاب في الجحيم، أو يذكر له ما أعده الله تعالى للمطاعين من الثواب الجسيم والفوز في جنات النعيم، ومنه التغليظ في الكلام والوعيد على المخالفه وعدم الإقلال عن المعصية بما لا يكون كذباً.

الثالثة: إعمال القدرة في المنع عن ارتكاب المعصية بفرك الأذن أو الضرب أو الحبس ونحو ذلك، وفي جواز هذه المرتبة من غير إذن الإمام عليه السلام أو نائبه إشكال، ولكل واحدة من هذه المراتب مراتب أخف وأشد، والمشهور الترتيب بين هذه المراتب، فإن كان إظهار الإنكار القلبي كافيا في الزجر اقتصر عليه، وإنما أنكر باللسان، فإن لم يكف ذلك أنكره بيده، ولكن الظاهر أن القسمين الأولين في مرتبة واحدة فيختار الأمر أو الناهي ما يتحمل التأثير منها، وقد يلزم الجموع بينهما. وأما القسم الثالث فهو مترب على عدم تأثير الأولين، والأحوط بل الأقوى في الأقسام الثلاثة الترتيب بين مراتبها فلا يتنتقل إلى الأشد إلا إذا لم يكف الأخف إيزاءً أو هتكاً، وربما يكون بعض ما تتحقق به المرتبة الثانية أخف من بعض ما تتحقق به المرتبة الأولى، وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: « وإنكار المنكر يكون بالأنواع الثلاثة التي ذكرناها، فاما باليد: فهو أن يؤدب فاعله بضرب من

التأديب، وأما الجراح أو الألم أو الضرب غير أن ذلك مشروع بالإذن من جهة السلطان حسب ما قدمناه، فممتى فقد الإذن من جهته اقتصر على الإنكار باللسان والقلب».

حقوق صاحب المعروف:

عوداً علىبدأ لما ذكره مولانا زين العابدين من حقوق صاحب المعروف، غير أن للشكك أنواع ومقامات تختلف بإختلاف صاحب المعروف وبحسب الفعل والعمل، فمنه ما يكون:

اولاً: علنا خاصة اذا كان صاحب المعروف موجوداً بالمجلس وذلك باحترامه وتقديمه وتعظيمه وذكر معروفه ونشر مقالته.

ثانياً: وإن كان غائباً فالواجب ذكره من أهل الخير والإحسان والمعروف إن ذكرها، وذكر فضائله ومجهوداته ومدحه بما يليق بإسمه، لأن في عمل هذا فوائد جليلة تعود على المجتمع والأفراد ومنها:

أ - ذكرك لصاحب المعروف وذكر معروفه ونشر مقاله بين شكرك العملي ويكشف عن ارومة اصلك وطيب معدنك وحسن نيتك وطهارة قلبك ورفعه أخلاقك وما إلى ذلك من الصفات الحميدة وذلك ما عناه الإمام زين العابدين «وأما حق ذي المعروف عليك، فأأن تشكره وتذكر معروفه».

ب - أنك أهل للمعروف ومن مستحقيه وان المعروف غير ضائع في حرقك، فبذلك تكسب سمعة حسنة فيزيد صاحب المعروف بإحسانه إليك وسوف يشجع الآخرين للإحسان إليك.

فعن الإمام الصادق عليه السلام «لعن الله قاطعي سبيل المعروف، قيل: وما قاطعوا سبيل المعروف؟ قال عليه السلام: الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره، فيمتنع صاحبه من

أن يصنع ذلك إلى غيره»، وعنه عليهما السلام «أحسنوا جوار النعم، قيل وما حسن جوار النعم؟ قال الإمام عليهما السلام الشكر لمن أنعم بها، وأداء حقها».

ج - : كسب رضاء الله سبحانه وتعالى حيث أنك اتصفت بصفة أولياء الله حيث ذكرت صاحب المعرفة واشتدت به في المجالس ليقتدي الناس به، وبذكرك أيه الدعاء له ولأهلها وذويه وأصحابه سراً وعلانية ليلاً ونهاراً حياً كان أو ميتاً.

«وتخلص له في الدعاء فيها بينك وبين الله سبحانه، فإنك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية».

ثالثاً : مكافأة ذي المعروف : يؤكده الإمام زين العابدين عليهما السلام على مكافأة صاحب المعرفة بالفعل والقول، فإن أمكن مكافأته الآن وفي الحاضر لزم التعجيل بذلك وإن لم توجد الإمكانية فيجب توطين النفس متى ما أمكن ذلك، وهذا ما عنده إمامنا عليهما السلام، «ثم إن أمكن مكافأته يوماً كافأته، وإن لا كانت مرصداته موطننا نفسك عليها».

قال يحيى بن زياد الحارثي بن كعب:
فمن شكر المعروف يوماً فقد أتى
أخاه العرف من حسن المكافأة من عل
وقال الشرييف الرضي:

أَلْبَسْتَنِي نَعْمَا عَلَى نَعْمٍ
وَعَلَوْتُ بِي حَتَّى مَشَيْتُ عَلَى
فَلَأْشَكْرُنَّ يَدِيكَ مَا شَكْرْتَ
فَالْحَمْدُ يَبْقَى ذَكْرُ كُلِّ فَتَّيٍّ
وَالشَّكْرُ مَهْرٌ لِلصَّنْيَعَةِ إِنْ
عَلَى أَنْ إِتِيَانَ الْمَعْرُوفِ يَجْبُ أَنْ يَكُونَ بِغَيْرِ مَنْهُ عَلَى هَذَا الْفَقِيرِ وَالْمُحْتَاجِ لِأَنْ

ذلك يذهب ببهاء المعروف ويسبب الألم والكرب والأذى لهم، ويبطل عمل العامل،
قال تعالى:

﴿قُولُّ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمُنْ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالُهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَأَبْلَى فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٦٣-٢٦٤).





حق المؤذن

رحلة حقوقية

الله اكبر

نشيد الروح: من روائع الأستاذ شاعر الطبيعة «السيد احمد الصافي النجفي»:
أفكـر بالـسـفـاسـفـ فـيـ الـحـيـاـةـ
وأـحـسـبـهـ حـقـائـقـ رـاهـنـاتـ
فـيـقـطـعـ لـيـ سـلاـسـلـ تـرـهـاتـيـ
هـتـافـ مـؤـذـنـ : اللهـ اـكـبـرـ

وأضـرـبـ سـادـرـاـبـينـ الـهـمـوـمـ
وأـسـعـىـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ النـعـيمـ
فيـهـدـيـنـيـ إـلـىـ النـهـجـ القـوـيـمـ
هـتـافـ مـؤـذـنـ اللهـ اـكـبـرـ

وأـفـنـىـ فـيـ الرـقـادـ ثـمـيـنـ عـمـريـ
كـائـيـ مـيـتـ فـيـ جـوـفـ قـبـرـ

فيوقظني لأحشر كل فجر
صياغ مؤذن الله أكبر

وتبهرنني أحاديث العظام
وماتحويه من حكم سوام
سينفذ في غد كل الكلام
ولا يبقى سوى : الله أكبر

المؤمنون يقيمون الأذان للتذكير بالصلوة أو لأداء الفرائض أو للإستعداد لحرب الأعداء، أما أعداء الله من الفاسقين فإنهم يستخدمون الأذان لطمس الحقائق والتدلیس على الناس.

خطب الإمام زين العابدين خطبته الشهيرة بمجلس يزيد خلال السبي وأبان للناس حقيقة أهل البيت، وحقيقة يزيد. فخشى يزيد أن تكون الفتنة وانقلاب الأمر عليه فأمر المؤذن أن يؤذن ليقطع على الإمام خطبته، فلما قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر قال علي ابن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ : لا شيء أكبر من الله كبرت كبر لا يقايس، فلما قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله قال علي بن الحسين: شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي . فلما قال المؤذن: أشهد أن محمدا رسول الله التفت الإمام زين العابدين وهو بعد على المنبر إلى يزيد، فقال محمد هذا جدي أم جدك يا يزيد، فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت وأثمت، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت ذريته وسببت نسائه.

وهذا هو إمامنا زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ قائد موكب الأحزان والإباء والعزم والإرادة والوفاء عندما دخل إلى المدينة وسألها شامت وقال له: من الغالب؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ ما مضمونه: إذا سمعت الأذان عرفت من الغالب، إذا سمعت الأذان يصدق بـ«أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله» عَلَيْهِ السَّلَامُ عرفت من هو الغالب.

لأهمية الأذان رئينا إمامنا زين العابدين يفرد لمن يقوم بهذه الشعيرة حقا خاصا

تحت عنوان حقوق الآخرين وهو الحق التاسع والعشرون من رسالة الحقوق:

«حق المؤذن»

وَأَمّا حَقُّ الْمُؤْذِنِ فَإِنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مُذَكَّرٌ بِرَبِّكَ
وَدَاعِيكَ إِلَى حَظْكَ وَأَفْضَلُ أَعْوَانِكَ عَلَى
قَضَاءِ الْفَرِيَضَةِ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ
فَتَشْكُرُهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرَكَ لِلْمُحْسِنِ إِلَيْكَ وَان
كُنْتَ فِي بَيْتِكَ مُتَهِّمًا لِذَلِكَ لَمْ تَكُنْ اللَّهُ فِي أَمْرِهِ
مُتَهِّمًا، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ، لَا
شَكَّ فِيهَا، فَأَخْسِنْ صُحبَةَ نِعْمَةِ اللَّهِ بِحَمْدِ
اللَّهِ عَلَيْهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

«الله أكبر... الله أكبر» لحن من الحان السماء يرتله الإنسان على هذه الأرض فينساب داخل القلوب المؤمنة فينعيشها ويحرك فيها الصلة بالله التي قد يكون انتهى إليها شيئاً من النسيان والخفو.

الأذان بفصوله وقفه إقرار وإعتراف وتصميم على المضي في درب السماء، كل فصل منه يدعوك إلى المبادرة نحو هدف معين ومحدد لك، «الله أكبر» بهذا الشعار سقطت السلطات الفاجرة وتحطمت دول الظلم والجور وقضى على الفراعنة الذين عبدوا الناس لهم واستذلوهم لصالحهم...

بنداء «الله أكبر» تصاغر كل شيء في أعين المجاهدين الأبطال فساروا والنصر يرفف فوق رؤوسهم وبين أيديهم حتى فتحوا الدنيا وهدوا العالم ووفروا له السعادة والرفاية...

«الله أكبر» من أن يحد، وأكبر من أن يوصف، وأكبر من أن يتناهى في كبرياته، وأكبر من أن يقايس بكثير، أو أن يقايس به كبير.

«أَللّٰهُ أَكْبَرُ» من أَن يغفل عنْه، أو تصدّيـ الحوادث عن ذكره أو تشغـل عن امـثال أمرـه.

ولسـنا نقصد في ذكرـنا لـلـاذانـ الحـكمـ الفـقـهيـ بلـ إـلـىـ ماـ اـنـطـوىـ عـلـيـهـ مـنـ الـقيـمـ العـلـيـاـ.

لا شـكـ أنـ لـكـ إـنـسـانـ فـيـ هـذـهـ الـحـيـاـةـ نـفـسـ وـأـهـلـ وـمـالـ وـجـاهـ.

فـالـاذـانـ بـمـفـرـدـاتـهـ «أَللـٰهـ أـكـبـرـ». أـكـبـرـ، أـكـبـرـ، أـكـبـرـ... أـكـبـرـ مـنـ نـفـسـ الـإـنـسـانـ فـمـهـاـ دـارـ الـأـمـرـ بـيـنـ أـنـ تـذـهـبـ كـلـمـةـ اللـهـ أـوـ أـنـ تـزـهـقـ النـفـسـ فـالـلـهـ أـكـبـرـ. بـلـ يـجـبـ تـقـدـيمـ النـفـسـ ضـحـيـةـ فـيـ سـبـيلـ إـبـقاءـ الـإـسـلـامـ وـالـدـيـنـ.

وـهـكـذـاـ فـالـلـهـ أـكـبـرـ مـنـ أـهـلـيـ وـأـهـلـكـ إـنـ كـانـ وـلـاـ بـدـ مـنـ التـضـحـيـةـ بـالـأـهـلـ، وـلـنـاـ فـيـ مـوـقـعـ الـإـمـامـ الـحـسـيـنـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ وـتـضـحـيـتـهـ بـأـهـلـهـ وـصـحـبـهـ وـمـالـهـ أـسـوـةـ حـسـنـةـ كـمـاـ مـرـ عـلـيـنـاـ مـنـ مـوـقـعـ الـإـمـامـ زـيـنـ الـعـابـدـيـنـ مـعـ ذـلـكـ الشـامـتـ.

وـأـلـلـٰهـ أـكـبـرـ مـنـ مـالـ الـشـخـصـ إـذـاـ تـوـقـفـتـ سـلـامـةـ الـدـيـنـ عـلـىـ بـذـلـ المـالـ إـنـ لـزـمـ ذـلـكـ لـأـنـ اللـهـ أـكـبـرـ.

وـالـلـهـ أـكـبـرـ مـنـ جـاهـ الـفـرـدـ وـمـنـصـبـهـ، فـإـذـاـ تـوـقـفـتـ سـلـامـةـ الـدـيـنـ عـلـىـ التـخـلـيـ عـنـ الـمـنـصـبـ وـجـبـ لـأـنـ اللـهـ أـكـبـرـ.

فـذـاـ هـوـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ فـيـ مـوـقـعـهـ مـنـ قـضـيـةـ الـشـورـىـ حـيـثـ رـفـضـ الـإـمـبرـاطـورـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـمـتـرـامـيـةـ الـأـطـرافـ الـفـتـيـةـ الـقـوـيـةـ بـإـقـتـصـادـهـاـ وـرـجـاـلـهـاـ الـمـغـرـيـةـ بـجـاهـهـاـ، كـلـ ذـلـكـ فـيـ كـفـةـ أـخـرـىـ كـذـبـةـ بـسـيـطـةـ يـقـولـهـاـ الـإـمـامـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ لـيـنـيـالـ هـذـاـ مـنـصـبـ الـحـطـيرـ، وـهـيـ «نـبـاـيـعـكـ عـلـىـ كـتـابـ اللـهـ وـسـنـةـ نـبـيـهـ وـسـيـرـةـ الشـيـخـيـنـ»ـ وـلـكـنـ عـلـيـاـ الـذـيـ يـقـولـ لـإـبـنـ عـبـاسـ وـقـدـ دـخـلـ عـلـيـهـ بـذـيـ قـارـ وـوـجـدـهـ يـخـصـفـ نـعـلهـ فـيـقـولـ لـهـ وـقـدـ نـبـذـهـاـ إـلـيـهـ يـاـ اـبـنـ عـبـاسـ مـاـ تـسـاـوـيـ هـذـهـ النـعـلـ قـالـ لـاـ تـسـاـوـيـ شـيـئـاـ، قـالـ عـلـيـ إـنـهـ

أهم عندي من خلافتكم إلا أن أقيم حقاً أو ادفع باطل، ولكنه عليه السلام صح بكل ذلك الجاه والخلافة الظاهرية وقال أما كتاب الله وسنة نبيه فنعم وأما سيرة الشيوخين فلا، كان بإمكانه فعل ذلك ولكن كلمة «الله أكبر» عنده أهم.

وخلالص القول فـ«الله أكبر» هذا النشيد الذي لم يحمل بريد السماء إلى أهل الأرض، ولم يلق لسان الزمان في أذن الدنيا، نشيداً مثله، حربياً إن شئت للحرب، عاطفياً إن شئت للقلب، صوفياً إن أردته للصفاء.

«أشهد أن لا إله إلا الله»، «أشهد أن لا إله إلا الله»

«أشهد أن محمداً رسول الله»، «أشهد أن محمداً رسول الله»

«أشهد أن علياً ولي الله»، «أشهد أن علياً ولي الله»

هذه الفصول الثلاثة، لقوية صلات المسلم بإلهه الواحد، الذي ليس له شريك: مادة كانت، أو صنها أو إنساناً أو جماداً أو حيواناً أو نباتاً أو نحوها، إنها شهادة وجданية تتجسد في رفض كل الآلهة البشرية، رفض كل الآلهة ما عاد الله، وجعلت بعد التكبير لأن أول الإيمان هو التوحيد والإقرار لله تبارك وتعالى بالوحدانية.

وبنبيه العظيم: عليه السلام ليس نبياً كاذباً ولا مرمياً بما هو برع منه كالأنوثانية التي تزعمها النصارى للنبي عليه السلام، وهي شهادة إقرار وإذعان أنه الرسول من الله المبلغ لكلامه المتلقي منه الوحي والبيان، سفير الله إلى أهل الأرض عنه يؤخذ الأمر والنهي وعن طريقه يكون القانون والدستور وشرعية الحياة.

وبإماماة خليفة رسول الله عليه السلام: علي أمير المؤمنين.

فقد اشتملت هذه الفصول الثلاثة على ثلاثة من أصول الدين، التوحيد والنبوة والإمامية.

ولقد اتفق المسلمون في أن التكبير أربع مرات، وشهادة التوحيد، وشهادة الرسالة للنبي ﷺ.

واختلفوا في شهادة الولاية لأمير المؤمنين علي علیه السلام، وملخص الحديث في هذه المسألة:

أجمع فقهاء الشيعة من الأولين والآخرين «ره» بأن «أشهد أن علياً ولي الله» في الأذان والإقامة لم تعد من أجزاء فضول الأذان والإقامة، بل هي من باب الاستحباب المطلق، والرجحان الذاتي الذي أفادته الأخبار المتضمنة للدعوة إلى ولاية أمير المؤمنين علي علیه السلام على اختلاف ألفاظها، وعلى هذا الرأي شيوخ الطائفة كالشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي، والشهيد الثاني.

وقال علماء الشيعة وفقهائهم «أنها من مكملات الشهادة لله تعالى بالولاية، ولم يرد بالرسالة، بدليل الآية الكريمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائد: ٤).

وقد جرت سيرة العلماء الأبرار على الشهادة بالولاية في الأذان والإقامة، لا بقصد الجزئية، منذ عهد بعيد من دون نكير من أحدهم، حتى أصبح ذلك شعاراً للشيعة.

«حي على الصلاة، حي على الصلاة»

«حي على الفلاح، حي على الفلاح»

«حي على خير العمل، حي على خير العمل»

وإنما جعل بعد الشهادتين الدعاء إلى الصلاة، لأن الأذان إنما وضع لوضع الصلاة، وإنما هو نداء إلى الصلاة في وسط الأذان، ودعاء إلى الفلاح، وإلى خير العمل، وجعل فتح الكلام باسمه كما فتح بإسمه».

وهذه الفضول دعوة إلى الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه، «حي على الصلاة» التي ترتفع بهذا الإنسان إلى مراقي الكمال والفضيلة وتجعله إنساناً صالح يتوجه إلى خير الإنسان ورفاهيته. هذه الصلاة التي تنهي عن الفحشاء والمنكر وتبني الجيل الرباني الذي يقود الحياة إلى العز والرفة والسمو والعظمة. هذه الصلاة التي عرفها أسلافنا فأبدعوا من خلالها واتوا بالمعجزات والخوارق واستطاعوا أن يحولوا كل كلمة منها إلى ثورة وكل حرف إلى بركان.

وإلى «الفلاح»: بما تشتمل عليه هذه الكلمة من معنى فلاح الدنيا وفلاح الآخرة، فلاح عن الجهل والفقر والمرض، فلاح عن القلق والخوف والإنهيار. «حي على الفلاح» الذي يريد الله لعباده أنه يحثهم عليه في اليوم خمس مرات ويدفعهم نحوه كي يتسلّموا مقاليد الحياة ويقودوا العالم نحو الخير والصلاح.

وإلى «حي على خير العمل»، وأي عمل خير من عمل يصلاح الجهاز النفسي عامة الذي هو مصدر الخير والشر في العالم، والذي يجعلك تلتقي بالله وتفاعل مع أحكامه وتأخذ منه القوة والعزّم وسلامة المسيرة الحياتية كلها وهل هناك أفضل من لقاء الله الذي وقته لنا بنفسه وضربه لنا موعداً واستقبلنا به تكرماً وإحساناً.

كذلك اتفق المسلمون في «حي على الصلاة» مرتين و«حي على الفلاح» مرتين، واختلفوا في «حي على خير العمل» فعلماء الشيعة يعتبرونها جزءاً من الأذان والإقامة بالأدلة العامة، بخلاف كلمة «الصلاحة خير من النوم»، حيث روى العلامة الحلبي في باب بدأ الأذان ومشروعيته أن الإمام زين العابدين عليه السلام وعبد الله بن عمر كانوا يقولان في الأذان بعد حي على الفلاح: حي على خير العمل.

وهذا هو الثابت من طريق أهل البيت عليهم السلام أنها «أي على عهد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم» كما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى.

وقال الإمام الباقي عليه السلام: وكانت هذه الكلمة «حي على خير العمل» في الأذان،

فأمر عمر بن الخطاب أن يكفوا عنها مخافة أن تثبط الناس عن الجهاد، ويتكلوا على الصلاة.

وحكى سعد الدين التفتزاني «في حاشيته على شرح العضد» عن ابن عمر أنه كان يقول: ثلث كن على عهد رسول الله ﷺ أنا أحرمهن، وأنه عنهم: متعة الحج، ومتعة النكاح، وحي على خير العمل.

وروى المحب الطبرى في أحكامه عن زيد بن أرقم: أنه أذن في حي على خير العمل.

وروى محمد بن منصور في كتابه «الجامع» عن أبي محدور أحد مؤذني رسول الله ﷺ أنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقول في الأذان حي على خير العمل» وعن علي عليه السلام أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن خير أعمالكم الصلاة» وأمر بلال أن يؤذن حي على خير العمل.

والخلاصة أن الشيعة قد أجمعوا على لزوم الإتيان بلفظ حي على خير العمل لأنها ثابتة على عهد الرسول الأعظم ﷺ وقد أمر أهل البيت عليهما السلام أتباعهم بذلك، فكانت شعارهم في جميع أدوار التاريخ.

أما كلمة «الصلاحة خير من النوم» فالشيعة لا يحizون ذلك وذهب الشافعى في قوله إلى الكراهة. إذ من المعلوم أن هذه اللفظة لم تكن على عهد رسول الله ﷺ وأول من جعلها في الأذان عمر بن الخطاب.

جاء في موطأ مالك أن المؤذن جاء عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائما، فقال المؤذن : الصلاة خير من النوم فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصبح.

وقال علي عليه السلام عندما سمع ذلك: لا تزيدوا في الأذان ما ليس منه.

«الله أكبر الله أكبر»

«لا إله إلا الله»

عود على بدأ، توثيق الصلة بالله الواحد الذي هو أكبير من كل شيء وإرساء لدعائم الإيمان في قراره النفس حتى لا تتزعزع بالرياح الهوجاء التي تهب من اليمين والشمال لتكسح نبات الإيمان المزيف من أصله.

إن فصول الأذان حيث يرفعها المؤذن في أو قاتها وخصوصاً عند الفجر تحرك الإنسان وتوجهه نحو الله وتثبت فيه القوة والعزمية وتجعله ينظر إليه في كل أمر ومع كل ومح كل أمر فوق كل أمر، هذا اللحن السماوي يشد هذا الإنسان المتشاغل بالحياة وما فيها إلى الله كي يرفعه قليلاً عن صخب الدنيا وضجيجها، وصفوة القول - إن - حكم الأذان هي في أمور ثلاثة:

١- تذكر الإنسان بدخول وقت الصلاة إذ كان من دأبه مزاولة أعماله وتعاطي أسباب الكسب. وهي تشغله وتنسيه دخول وقت الصلاة فتفوته صلاة الجماعة ذات الخير الكثير، أو خشية خروج الوقت فتفوته صلاة الأداء.

٢- حيث أن الصلاة من أجل النعم، إذ تقرب العبد وهذا هو الفلاح بعينه، كان الأذان بصفته دعوة خير حتى لا تفوت المسلم هذه النعمة الكبرى، فهو يدعوه لإنعام الفرصة واكتساب النعمة.

٣- هو إظهار عظمة الدين الحنيف لغير المسلمين، وباعثاً للمشركين على الترغيب في الدخول فيه.

فضل الأذان والمؤذن وفوائده

بعد هذه الرحلة الإيمانية والروحية في معاني مفردات الأذان، ننتقل لنبين فضل المؤذن ومنافع الأذان وأرباحه العائدة إلى المؤذن في العاجل والأجل:

- عن رسول الله ﷺ «لو يعلم الناس ما في التأذين لتضاربوا عليه بالسيوف».

- وعنـه ﷺ «المؤذن يغفر له مدى صوته، ويصدقـه كل رطب ويابـس».
- وعنـه أـيضاً ﷺ «يد الرـحـمان فوق يـد المؤذـن، وإنـه ليـغـفـر لـه مـدى صـوـته أـيـن بلـغ».
- وعنـه أـنـه قال «الـإـمـام ضـامـن، وـالـمـؤـذـن مـؤـتـمـن، اللـهـم أـرـشـدـاـلـأـئـمـةـ، وـاـغـفـرـلـلـمـؤـذـنـيـنـ».
- وعنـه ﷺ «المـؤـذـن أـطـولـالـنـاسـ أـعـنـاقـاـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ».
- وعنـه أـيـضاـ اـنـه قال «ثـلـاثـةـ عـلـىـ كـثـبـانـ الـمـسـكـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، يـغـبـطـهـمـ الـأـولـونـ وـالـآخـرـونـ: عـبـدـ أـدـىـ حـقـ اللهـ وـحـقـ مـوـالـيـهـ، وـرـجـلـ أـمـ قـومـ وـهـمـ بـهـ رـاـضـوـنـ، وـرـجـلـ يـنـادـيـ بـالـصـلـوـاتـ الـخـمـسـ فـيـ كـلـ يـوـمـ وـلـيـلـةـ».
- وعنـه ﷺ «إـذـاـ أـذـنـ فـيـ قـرـيـةـ أـمـنـهـ اللـهـ سـبـحـانـهـ مـنـ عـذـابـهـ ذـلـكـ الـيـوـمـ».
- وعنـه أـيـضاـ «إـذـاـ كـانـ الرـجـلـ بـأـرـضـ قـيـ - يـعـنيـ قـفـرـاءـ - فـحـانـتـ الصـلـاـةـ فـلـيـتوـضـأـ، فـإـنـ لـمـ يـجـدـ مـاءـاـ فـلـيـتـيـمـمـ، فـإـنـ أـقـامـ، صـلـيـ مـعـهـ مـلـكـاـهـ، وـإـنـ أـذـنـ وـأـقـامـ، صـلـيـ خـلـفـهـ مـنـ جـنـودـ اللـهـ مـاـ لـاـ يـرـىـ طـرـفـاهـ».
- وعنـ سـعـدـ اـبـنـ طـرـفـ عـنـ أـبـيـ جـعـفـرـ عـلـيـهـ السـلـامـ قـالـ: مـنـ أـذـنـ عـشـرـ سـنـينـ مـحـتـسـبـاـ يـغـفـرـ اللـهـ لـهـ مـدـ بـصـرـهـ وـمـدـ صـوـتـهـ فـيـ السـمـاءـ، وـيـصـدـقـهـ كـلـ رـطـبـ وـيـابـسـ سـمـعـهـ، وـلـهـ مـنـ كـلـ مـنـ يـصـلـيـ مـعـهـ فـيـ مـسـجـدـهـ سـهـمـ، وـلـهـ مـنـ كـلـ مـنـ يـصـلـيـ بـصـوـتـهـ حـسـنـةـ».
- وعنـ الصـادـقـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـيـ المـؤـذـنـيـنـ: «إـنـهـ الـأـمـنـاءـ».
- وجـاءـ رـجـلـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ، فـقـالـ لـهـ عـلـمـنـيـ، أـوـ دـلـنـيـ عـلـىـ عـمـلـ يـدـخـلـنـيـ الـجـنـةـ، فـقـالـ ﷺ كـنـ مـؤـذـنـاـ، قـالـ لـاـ اـسـتـطـيـعـ قـالـ ﷺ كـنـ إـمـامـاـ، قـالـ لـاـ اـسـتـطـيـعـ قـالـ ﷺ فـقـمـ بـإـزـاءـ الـإـمـامـ».

هذا ولا تقتصر فوائد الأذان على المؤذن بل تعم على كل الناس كما مر علينا في الآحاديث الآنفة الذكر، وأما فوائده ومنافعه في هذه الحياة الدنيا فهي فوائد عظيمة، إذ أن من عباد رواج الشيء وقوامه والميل إليه والإرادة المقدمات المشوقة إليه، وإن الأذان من أعظم المقدمات للصلوة والعروج إلى الله سبحانه والتشويق إليها وتهيئة النفس لحضور القلب ومشاعره للدخول في الصلاة، ولا ريب أن تلك المقدمات تعين على تحصيل أفضل التتائج وأحسنها.

إما من الفوائد والتي بإمكاننا إدراكها وهي لا تقتصر على:

- الأذان أفضل الأعون والمساعدين والمهيئين لقضاء الفريضة التي افترضها الله تعالى، سواء الصلاة الواجبة: كالصلاحة اليومية المفروضة وصلاة الآيات أو غيرها، أو الصلاة المستحبة: كصلاة الجمعة والعيدين.

- أن الأذان دافع للبلايا والخطايا والأقدار، ودافع للأسمام والأمراض والعلل، ففي الأثر أن هشام بن إبراهيم شكى إلى الإمام الرضا عليه السلام سقمه وأنه لا يولد له، «فأمره أن يرفع صوته بالأذان في منزله، قال ففعلت ذلك فأذهب الله عنني سقمي وكثرو ولدي».

- أن الدوام عليه موجب لنزول البركة وحلول الرحمة، جالبا للرزق، منجي من الهملة، حيث أن مقدمه خير، وأوله خير، ووسطه خير، وأخره خير.

- مذكر بالله وداعي إليه، وإلى حظك العظيم ونصيبك الوافر من الدنيا والآخرة، بسبب حثه للقيام بطاعة الله سبحانه.

في هذه الأجواء الملوكية التي يردد فيها المؤذن فصول الأذان ويستمر يواли هذه الإيقاعات الجميلة الرائعة بشهادة أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله، ليستفيق الضمير من رقاده ويعرف بشارة السماء إلى الأرض، وإتباع دعوة

رسول الهدى ﷺ ليخفووا إلى الصلاة وسط هذا الجو الروحي العبق.

وفي هذه اللحظات الجليلة التي تفتح أبواب السماء، لتستمع إلى الدعاء، دعاء المظلومين والملهوفين والمستغفرين والتائبين، فيستجاب الدعاء وتكتشف الهموم ويرفع البلاء وتدفع البلاء ويكثر العطاء، في ظل كل هذا العطاء غير المحدود الذي يذكرنا به المؤذن كان لزاما علينا شكره شكر المحسن والمنعم علينا وصحبته» قال زين العابدين: «أشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك»، هذه هي وصية إمامنا زين العابدين وشنان بينها وبين من بعض الضالين المنحرفين الذين يتاؤون من هذا الصوت السماوي ويتحجون عليه بالإزعاج خاصة عند الفجر لئلا يقوموا الله في تلك الأوقات العظيمة.

متى شرع الأذان

والاذان بما أنه نداء للأمة ودعوة للإنقیاد إلى الله سبحانه وبه التأهب لما هو «معراج الأمة» لا يعدوه الوحي الإلهي، مضافا إلى وقوف الرسول الأعظم ﷺ عليه ليلة الإسراء التي صلّى فيها بالأنبياء والملائكة، غير أن تدرج التشريع في الأحكام أرجأ الأمر به إلى ما بعد الهجرة كغيره من الفرض والمندوبات والمكرورات.

وقد أجمعت الإمامية على كون الأذان مما نزل به الوحي كبقية الأحكام حتى عدوه من ضروريات مذهبهم، وإليه تنبه الشهاب الخفاجي، فقال: الظاهر أن الأذان ثبت بحديث الإسراء، ولم يبين زمانه، ولم يكن إعلامه قبل الهجرة فأخر ذلك حتى يستقر ظهور الدين.

ولما استقر النبي بالمدينة هبط جبرائيل على رسول الله يخبره ويعلمه الأذان.

فعن طريق منصور ابن حازم عن أبي عبد الله الصادق ع: «أن جبرائيل هبط بالأذان على النبي ﷺ وكان رأسه في حجر أمير المؤمنين، فأذن وأقام، فلما

انتبه النبي سأله أمير المؤمنين عما سمعه ووعاه من الأذان، فقال نعم قال: علمه بلا.

جاء في رواية محمد ابن الحنفية عن أبيه في حكاية الأذان في المعراج، وخرجه الطبراني من طريق سالم بن عبد الله بن عمر، والدارقطني في الإفراد من حديث أنس وابو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار من حديث زياد بن المنذر عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عن الحسين بن علي بن أبي طالب، والشيخ الكليني من طريق زرارة، والفضل عن أبي جعفر محمد الباقر عليهما السلام قال: لما سري برسول الله ﷺ إلى السماء وبلغ البيت المعمور أذن جبرائيل وأقام وتقى النبي ﷺ فصل بالأنبياء والملائكة.

وقد أنكر الإمام الحسين بن علي عليهما السلام عندما سمع الناس يتحدثون عن رؤيا عبدالله ابن زيد في تشرع الأذان، فغضب وقال: «الوحى يتنزل على الرسول ويزعمون أنه أخذ الأذان عن عبدالله بن زيد ! والأذان وجه دينكم، ولقد سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول: أهبط الله ملكا عرج برسول الله ﷺ إلى السماء... الحديث».

أما القصة التي تروى في مشروعية الأذان عند الطائفة الأخرى من المسلمين من أن النبي ﷺ لما قدم المدينة عسر على المسلمين معرفة أوقات صلاته ﷺ لكثرةهم واتساع دائرةهم، فتشاوروا في أن ينصبو علامة يعرفون بها وقت صلاة النبي ﷺ لئلا تفوتهم الجماعة فأشار بعضهم بالناقوس فقال النبي: هو للنصارى. وأشار بعضهم بالبوق، فقال: هو لليهود. وأشار بعضهم بالدق، فقال: هو للروم. وأشار بعضهم بإيقاد النار، فقال ذلك للمجوس. وأشار بعضهم بنصب راية فإذا رآها الناس أعلم بعضهم بعضا. فلم يعجبه ذلك، وتحير إلى أن كشف هذه الكربة من نام عبدالله بن زيد، فإنهرأى رجلا يحمل ناقوسا فأراد ابتياعه منه ليضرب به النبي ﷺ في الأوقات فأرشده إلى الأذان، وتعلم منه ثم قصه على النبي ﷺ ففرح وأمره أن يعلمه بلا، فلما نادى به بلال خرج عمر يجر رداءه صارخا إني رأيت كما رأى عبدالله.

هذا كل ما في علبة القوم مما هو ملحق بخرافة الغرانيق وأمثالها، المزه عنه جلال النبوة، لوم تكن القصة مدبرة بليل، أرادوا من إثبات التشاور في الأحكام الإلهية بحضره من تنزل عليه، إلى تصحيح الشورى في الخلافة الكبرى.

من هذا يتجل أن الأذان كبقية الأحكام الموحى بها إلى نبى الإسلام، وهو صلوة العصمة وإن كان مسددا بالغرض الأقدس ومستغنى بالإرادة الإلهية عن الإستعانة بأى أحد، فقد صدرت منه المشاورة مع أصحابه لأجل أن يعرفهم خطأ الإستبداد بالرأي، والتعريف بأن الرجل الغير معصوم ومسد من السماء منها بلغ من الرتبة العالية في الإدراك، قد يضل في الرأي، فكانت الصحابة تبصر من أشعة أمره بالاستشارة فوائد مهمة، إلا أن مشاورته مع أصحابه مقصورة على الأمور العادلة وما يتعلق بمصالح الحرب، وأما الأحكام الإلهية الشرعية فلا مجال للتشاور فيها.

شروط الأذان والإقامة

كان رسول الله ﷺ إذا سمع المؤذن يقول: حي على الصلاة، على الفلاح، حي على خير العمل، قال ﷺ «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فإذا انقضت الإقامة، قال ﷺ «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاحة القائمة، أعط محمدا سؤله يوم القيمة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة وتقبل شفاعته في أمته».

إلا أن لهذا النداء المقدس شروطا منها:

- نية القربى لله تبارك وتعالى، لأنه عبادة.

- تقديم الأذان على الإقامة.

- الإلتزام بتسليسل الأجزاء على النحو المحدد في صورة الأذان: التكبير شهادة أن لا إله إلا الله، شهادة أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل، التكبير، لا إله إلا الله.

- التتابع بين أجزاء كل منها مع البعض الآخر.
 - دخول وقت الصلاة.
 - الأذان والإقامة باللغة العربية الفصحى.
 - يشترط في الإقامة الطهارة، القيام، استقبال القبلة، وأما في الأذان فيستحب ذلك.
 - يجب أن يكون المؤذن عاقلاً، مسلماً، مؤمناً، عارفاً.
 - يستحب لمن يصلى الصلوات الخمس اليومية أن يؤذن ويقيم لكل فريضة منها.
 - لا أذان ولا إقامة للنوافل، ولا لغير الصلوات اليومية، كصلاة الآيات، وصلاة العيدين، وصلاة الميت وغيرها.
 - إذا سمع الإنسان أذان آخر أمكنه الإكتفاء به.
 - صلاة المكلف بدون أذان أو إقامة صحيحة.
- هذا الغداء الروحي الذي يقدمه المؤذن، وهذه الترانيم السماوية، وجب أداء شكرها، قال سيدنا زين العابدين عليه السلام: «فتشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك وإن كنت في بيتك متهماً لذلك لم تكن الله في أمره متهماً».
- والمتهم في اللغة: العاجز، قال القاموس «تهم الدهن واللحم أي تغير، وفيه تهمة: بالتحريك - خبث ريح زهوه - وفلان ظهر عجزه.

وعليه فمعنى قول الإمام عليه السلام وإن كنت في بيتك متهماً، أي يجب عليك شكر المؤذن وإن كنت عاجزاً جليس بيتك، حيث أن الذكر وتلك الرعاية تتحقق ولو مع هذا الوصف، فيثبت له حق في عنقك، فيجب شكره على كل حال أنت عليه. والقصد

في التعبير بهذا الرقي ، وتأكيد لزوم شكر المؤذن، إنه لا يسقط عن الإنسان إلا القيام به، وأداء حقه بصورته التامة، فمنه بالدعاء له، والإستغفار له حياً وميتاً، أو الدعاء لأهله وذويه وإكرامهم وذكرهم في كل حال وفي كل ظرف.

وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: كان رسول الله صلوات الله عليه وسلم إذا سمع المؤذن يؤذن قال مثل ما يقول في كل شيء.

غفر الله لكل المؤذنين وأثابهم جزيل الثواب.





حق إمام الجمعة

رحلة حقوقية

يُنْمِي إِلَى ذُرْوَةِ الدِّينِ الَّتِي قَصَرَتْ
عَنْهَا الْأَكْفُونَ، وَعَنْ إِدْرَاكِهَا الْقَدْمُ

الصلوة ترهب الطغاة

عندما استمر موقف الإمام الرضا عليه السلام سليباً تجاه النظام الحاكم بالرغم من توليه ولية العهد وبعد فترة من الزمن، لاحظ المؤمنون أثر موقف الإمام هذا على الناس الذين بدأوا يتكلمون ضد الخليفة ونظامه، فطلب من الإمام أن يشارك على الأقل في صلاة العيد من أجل تهدئة الأوضاع، فامتنع عليه السلام وذكر المؤمنون بالإتفاق والشرط الذي بينهما، ولكن بعد الإصرار الشديد من المؤمنون قال الإمام: إذا كان لا بد من ذلك فعلى شرط أن أعمل كما عمل جدي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لا كما هو المعمول به عندكم، فوافق المؤمنون، وما أن خرج الإمام من بيته لأداء مراسم صلاة العيد، حتى قامت ضجة بين الناس، وأخذ الهياج بين جماهير المسلمين يتضاد بينما كان الإمام يمشي إلى مكان الصلاة بهيئة تنم عن الاحتجاج الصارخ على الأوضاع، مما اضطر السلطة إلى إرجاع الإمام بعد أن وصل إلى منتصف الطريق، تخوفاً من أن يؤدي الأمر إلى ثورة جماهيرية عارمة ضد المؤمنون ونظامه.

إن لصلاة الجمعة والجماعة مقومات ومن أهم هذه المقومات إمام الصلاة،

وحضور الجماهير، وكيفية الأداء وما يصاحبها من خطب ورسائل.

وليس هناك من أئمة على مدى التاريخ كائنة أهل البيت الذين قالت فيهم سيدة النساء فاطمة الزهراء» وطاعتنيا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً من الفرق». ولأن النفعين والظلمة يخافون من مثل هؤلاء الأئمة، أو من تربوا في مدرستهم كالإمام الخميني والسيد الشهيد الصدر، والإمام موسى الصدر وغيرهم، فإنهم يقومون بقتلهم أو بتغييبهم خوفاً منهم.

قال مولانا أمير المؤمنين: الإمامة نظام الأمة، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إمام عادل خير من مطر وابل.

ولما لصلاة الجمعة وإمامها من أهمية، رأينا إمامنا زين العابدين يخصص حقاً في رسالته في هذا السياق والمعنى، ألا وهو «حق إمام الجمعة»، يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ:

حق إمام الجمعة

وأما حق إمامك في صلاتك فأنْ تعلمَ أنَّه قد
تقلَّدَ السفارَةَ في ما بينَكَ وبينَ اللهِ، والوفادة
إلى ربِّكَ، وتتكلَّمَ عنكَ، ولم تتكلَّمَ عنهُ، ودعا
لكَ، ولم تدعُ لهُ، وطلبَ فيكَ، ولم تطلبْ
فيهِ، وكفاكَ همَ المقامَ بينَ يديِ اللهِ، والمسألة
لهُ فيكَ، ولم تكُفِهِ ذلكَ، فإنْ كانَ في شيءٍ من
ذلكَ تقصِّرُ كأنَّهِ دونَكَ،.... فتشكرُ لهُ
على ذلكَ، ولا حُوَلَ ولا قوَّةَ إِلَّا باللهِ.

إن صلاة الجمعة تعد نموذجاً مصغرًا وواقعاً وحيال كل حراك وثورة في المجتمعات الإسلامية، ومكسباً هاماً وظاهرة عامة عظيمة تقام كل أسبوع، ولها فوائد ورموز وقواعد وآداب اجتماعية عديدة.

أما عن الدور الذي تلعبه صلاة الجمعة فيمكن ملاحظته من خلال ما تتركه من أثر بكل مراسيمها - فهي حلقة لقاء إسبوعي بين إمام الصلاة أو قل القائد ومجتمعه أو أفراد شعبه، ودرس إسبوعي يعطيه هذا الجيل إلى الأجيال اللاحقة، وأن تعاقب أئمة الصلاة على إماماة صلاة الجمعة، يوجد تقارباً روحياً في المفاهيم الثقافية والإجتماعية والسياسية بين المصلين والمسئولين، وأن هذه الصلاة الأسبوعية تتيح الفرصة الكاملة للمسئولين لكي يصلوا إلى كل أفراد المجتمع وطبقاته، لكي يعظهم وينصحهم ويتحدث إليهم عن مشكلات المجتمع المسلمين محلياً ودولياً، وأن هذه الصلاة - على الرغم من أنها من الأمور التعبدية - إلا أنها تعد مجالاً من مجالات الإعلام التي تربط القيادة بالقاعدة الشعبية، وأن أي عدد يشارك في صلاة الجمعة سيعكس القاعدة الشعبية لكل منظومة جديدة، وأن المشاركة المستمرة في هذه الصلاة يقوى الأواصر الإجتماعية بين أفراد المجتمع.

ومن هذا المنطلق سيكون بحثنا في فصلين صلاة الجماعة، وصلاة الجمعة.

أولاً: صلاة الجمعة

وهي من المستحبات الأكيدة في الفرائض وخصوصاً اليومية ويتأكد استحبابها في الجهرية كالصريح والعشائين.

فعن رسول الله ﷺ أنه أجاب جماعة من اليهود عن مسائل إلى أن قال: «أما الجماعة فإن صفوف الملائكة، والركعة في الجماعة أربع وعشرون ركعة، كل ركعة أحب إلى الله عز وجل من عبادة أربعين سنة، وأما يوم الجمعة فيجمع الله فيه الأولين والآخرين للحساب، فما من مؤمن مشى إلى الجماعة إلا خفف الله عليه أحواله يوم القيمة، ثم يأمر به إلى الجنة».

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجمعة أفضل من صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة».

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ : ألا أدلكم على شيء يكفر الله به الخطايا، ويزيد

في الحسنات؟ قيل: بلى يا رسول الله ﷺ قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى هذه المساجد، وإننتظار الصلاة بعد الصلاة، وما منكم من أحد يخرج من بيته متظهراً فيصلي الصلاة في الجماعة مع المسلمين ثم يقعد ينتظر الصلاة الأخرى إلا والملائكة تقول: اللهم أغفر له، اللهم ارحمه، فإذا قمت إلى الصلاة فاعدلوا صفوكم وأقيموها وسدوا الفرج.

وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «الصلاۃ فی جماعتہ تفضل علی کل صلاۃ الفرد بأربع وعشرين درجة تكون خمس وعشرين صلاۃ».

وكل تلك الأحاديث تدل على الأجر الكبير في صلاة الجماعة حيث تستفيد الجماعة ببركة أفرادها وتوفيقهم في الصلاة، وهي تعطي شحنة معنوية خاصة، وتحقق عنوان الجسد الواحد.

ولقد قالوا إن في صلاة الجماعة فوائد عظيمة، عاجلة وآجلة، فأما العاجلة: فالرزق والبركة والنجاة وإستجابة الدعاء وقضاء الحاجات. وأما الآجلة: فالثواب العظيم والأجر الجسيم والقرب من الله تعالى.

ومن عظم ثواب صلاة الجماعة إذ أن المكلف لو صلى الفريضة منفرداً سقط وجوبها، ولكن يستحب للمصلي أن يعيدها جماعة، إماماً كان أو مأموماً.

ويمكن تلخيص فوائدها فيما يلي:

- ظهور جماعة المسلمين بمظهر القوة والشوكه، وتنبيههم إلى الإنظام في أمورهم وطاعة للإمام في الصلاة، أو القيادة في الأمور الأخرى.

- الإهتمام بالصلاة لأنها عمود الدين.

- تعلم من لا يحسن الصلاة بدخوله مع الجماعة، وتعلمها لأحكام دينه وما يجري في المجتمع من خلال ما يلقى من خطب وكلمات أثناء الصلاة.

- اجتماع الأخوان فيما بينهم وإفشاء السلام وإظهار الأخوة والعطف.

وحيث أن الإمام زين العابدين وصف إمام الجماعة بالسفير «وأما حق إمامك في صلاتك، فأن تعلم أنه قد تقلد السفارة بينك وبين الله»، والسفير هو الماشي بين الناس بالصلح وقد ورد في معنى - السفارة بالكسر أنها الرسالة - لذلك وجب أن ننظر كيف هو حال سفيرنا بینا وبين الله سبحانه وما يجب عليه، وما يجب له وأي شخص نختاره ليكون سفيراً بینا وبين الله تبارك وتعالى، وليس كل ما هب ودب بل يجب أن تكون له صفات خاصة ومميزات منفردة فعليه يجب أن يختص إمام الجماعة من بين الناس بمزيد من صفاء القلب وإقباله على الله، والخشوع له، وينبغى ألا يكون باعثه وتحركه إلى المسجد لإمامة الناس إلا القربى ورجاء الشواب، فلو كان في بعض زوايا قلبه باعث خفي من حب الشهوة والمتزلة في القلوب، أو الوصول إلى ما ينتظم به معاشه، فيكون من ضل وأضل وهلك فأهلك.

شروط الإمام:

أولاً: الإسلام والبلوغ والعقل، فلا يصح الصلاة جماعة وراء الصغير غير البالغ ولو كان ممِيزاً.

مسألة: يجوز الإقتداء في صلاة الجماعة بأهل السنة إن كان لأجل الوحدة معهم ولكن لا يجوز التكتم في الصلاة إلا إذا كانت هناك ضرورة تقتضي ذلك.

ثانياً: طهارة المولد، فلا تصح إماماة ابن الزنا وهو المتولد من غير عقد شرعي.

ثالثاً: العدالة، وهي الحالة النفسانية الباعثة على ملازمة التقوى المانعة من ارتكاب المحرمات الشرعية، ويكتفي في إثرازها حسن الظاهر الكاشف عنها.

مسألة: يجوز الإقتداء بإمام الجماعة من دون معرفة واقعه إذا أحرز المكلف عدالته بأي طريق كان.

رابعاً: الذكورة.

مسألة: لا تصح إماماة المرأة للرجل وأما إمامتها للنساء فلا بأس به.

خامساً: سلامة مساجده السبعة، فلا تصح إمامه فاقد أحد المساجد للواجد لها.

سادساً: سلامة نطقه، فلا تصح الجماعة وراء من لا يُخرج الحروف بشكل يعده أهل اللسان أنه قد أخرج الحرف بشكله الصحيح.

على أن هذه الشروط موضع خلاف بين المسلمين، فالشيعة الإمامية يرونها واجبة ملزمة، ولا تصح صلاة الجماعة بدونها، مستندين على أحاديث النبي ﷺ والأئمة الأطهار علیهم السلام. وأما باقي المسلمين، فلا يشترطون من ذلك شيئاً، وعندهم من تقدم للصلوة - على علاته - يؤمهم.

شروط المأمور:

مسألة: تجب نية الجماعة عند المأمور حتى تصح صلاته، فلو لم ينوي الإقتداء بصلوة الجماعة فلا تصح جماعته بل تقع صلاته فرادى.

مسألة: يجب تحديد الإمام في صلاة الجماعة من قبل المأمور وأنه يصلي وراء فلان مثلاً أو وراء هذا الشخص الذي يعلم عدالته وإن كان لا يعرف إسمه.

مسألة: يجب وحدة إمام الجماعة بأن ينوي المصلي الإقتداء بإمام واحد فلا تصح صلاته وجماعته إن نوى الإقتداء باثنين مثلاً.

شروط صلاة الجماعة:

أولاً: تقدم الإمام على المأمور: يجب تقدم الإمام على المأمور في صلاة الجماعة.

ثانياً: عدم البعد بين موقف الإمام وموضع سجود المأمور أكثر من خطوة متعارفة، وكذلك الأمر بين المأمورين أنفسهم من جهة الطول والعرض.

ثالثاً: عدم علو الإمام عن المأمورين بل يجب أن يكون مساوياً لهم أو أدنى منهم من العلو، وأما علو المأمور عن الإمام أو المأمورين فلا إشكال به رجالاً ونساءً بشرط عدم كون العلو مفرطاً وغير متعارف.

رابعاً: عدم وجود حائل بين الإمام والمأمورين أو بين المأمورين أنفسهم إن كانوا رجالاً، وأما الحائل بين الرجال والنساء في صلاة الجماعة فلا إشكال به، إلا بين النساء أنفسهم فإنه لا يصح ذلك.

أحكام صلاة الجمعة:

- أن لا يقل عدد الجماعة عن إثنين (الإمام والمأمور).

ثانياً: صلاة الجمعة:

تحتزن الأمة الإسلامية من أسباب القوة في داخلها الشيء الكثير بحيث لو أنها استفادت من بعضها لأصبحت ليس في مصاف الأمم المتقدمة فحسب بل لفاقت عليهم وقادتهم إلى خير الإنسانية بل وخير الكون أيضاً.

وأسباب القوة هذه أخذت بعداً معرفياً ومنهجياً في شتى المجالات التي تختص إنسانية الإنسان، وبعداً تطبيقياً يتمثل في مجموعة كبيرة من البرامج أو الطقوس والشعائر التي تراعي تطبيق المنهج وتحويله إلى واقع حي يتحرك في واقع الناس، وتراعي أيضاً إذابة العوالق الدنيوية التي تبعد الإنسان عن إنسانيته.

ومن المؤكد أن أسباب القوة لدى أمتنا بل القوة التي لا تضاهيها قوة أخرى، يتمثل في الكتاب العزيز والرسول العظيم ﷺ، والأئمة الأطهار علية السلام والذى ما أن تمسكنا بهم لن نصل أبداً.

فالحج مثلاً نقطع بأنه سبب من أسباب قوة الأمة حيث يتجلّ في التسلیم المطلق للمولى عز وجل ، وتنصهر الألوان والأعراق والقوميات لتقف بمظاهر وحدوي رائع، وتتبليور فيه الكثير من الرؤى، ويحدث فيه التعارف والتآلف بين كثير من المسلمين، وغير ذلك.

الزكاة والأحسان والصدقات فإنها من الروافد الاقتصادية المهمة للدولة والمؤسسات الإجتماعية وتدل على تماسك المجتمع وإيمانه وتكافله.

وصلة الجماعة سبب من أسباب القوة حيث تتجسد فيها النظام والوحدة والتآلف، وغيرها.

وصلة الجمعة هي الأخرى سبب من أسباب القوة عند المسلمين حيث إنها تمثل التجسيد الوعي للحضور الإسلامي، وبالشعائر الإسلامية، ودورها البناء في واقع المسلمين ومستقبلهم.

وهكذا بقية الشعائر والعبادات والطقوس الدينية.

الجمعة لغة وأصطلاحاً:

وإنما سمي الجمعة لأنها فرع فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لأنها تجتمع فيه الجماعات، وعن أبي جعفر ع ع قَالَ «قَالَ لَهُ رَجُلٌ كَيْفَ سُمِّيَتِ الْجُمُعَةُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمَعَ فِيهَا خَلْقَهُ لِوَلَايَةِ مُحَمَّدٍ وَوَصِيَّهِ فِي الْمِثَاقِ فَسَمِّاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِجَمِيعِهِ فِيهِ خَلْقَهُ».

الجمعة «بضم الميم وهو المشهور «أو الجمعة» بتسكين الميم لغتان وجمعها جمع وجمعات قال الفراء وفيها لغة ثالثة الجمعة بفتح الميم كضحكه وهمزة، مأخوذه من الاجتماع كالفرقه من الافتراق.

ويوم الجمعة هو أحد أيام الأسبوع، سمي بذلك لاجتماع الناس فيه لصلة الجمعة أو مطلقاً، وتسمية هذا اليوم المبارك بهذا الاسم من التسميات الإسلامية، وقيل غير ذلك، وقد كان يسمى قبل الإسلام بيوم «العروبة»، وقيل إن أول من سماها الجمعة كعب بن لؤي وهو أول من قال أما بعد.

مشروعية صلاة الجمعة:

لا شبهة ولا خلاف في مشروعية صلاة الجمعة فهي واجبة في الجملة، بإجماع الأمة، بل إنها تعد من ضروريات الدين، وعليها دل الكتاب العزيز والروايات المروية عن النبي ع وأهل بيته العصمة ع.

وإنما الخلاف في بعض شرطها كحضور الإمام وإذنه وبسط يده أو بسط يد نائبه العام «الفقيه»، بعد الاتفاق على أغلىها كالعدد والمسافة الفاصلة بين جمعتين وغيرهما.

صلاة الجمعة في القرآن الحكيم :

من الواضح أن الآيات الثلاث الأخيرة (١١، ١٠، ٩) من سورة الجمعة تتحدث عن صلاة الجمعة وبعض أحكامها:

الآية الأولى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

١ - ظاهر الآية في قوله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** متوجه إلى المؤمنين، والفاسن مشمول بالخطاب ومتوجه إليه، بلا فرق بينه وبين المؤمن، أما بناءاً على قول من قال: إنه مؤمن مع كونه فاسقاً فواضح، وأما من قال بخلاف ذلك فيكون داخلاً فيه أيضاً على التغليب.

٢ - جاء في تفسير الميزان على أن المراد بالنداء في قوله تعالى **﴿إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾** الأذان كما في قوله سبحانه **﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّحَذُوا هُزُوا وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾**.

٣ - **﴿فَاسْعَوْا﴾** السعي يكون عدواً ومشياً وقصدًا وعملاً، ويكون تصرفًا في الصلاح والفساد».

وفي الميزان عن تفسير القمي، في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾** يقول اسعوا امضوا ويقال اسعوا اعملوا لها وهو قص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظافر والغسل ولبس أفضل ثيابك وتطيب للجمعة فهي السعي يقول الله

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، ومن ذلك يظهر أن المراد بالسعى ليس خصوص الإسراع في المشي، بل يدخل فيه كل ما يرتبط بالتهيئة وتحصيل جميع المقدمات اللاحقة بها.

٤- جاء في مجمع البيان وفي الميزان على أن المراد بـ ﴿ذِكْرِ اللَّهِ﴾ هي صلاة الجمعة أو الخطبة التي تتضمن ذكر الله والمواعظ، وإنما عبر عنها بالذكر لأنها تشتمل على الصلاة والخطيبين المشتملتين على الحمد والثناء والدعاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلها تذكرنا بالله وكلها ذكر الله.

٥- ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أمر بترك البيع والشراء، فالآية وإن لم تذكر الشراء وغيره من سائر الأعمال التي تحول دون أداء هذه الفريضة بتهاها إلا أن النهي على ما يفيده السياق شامل لكل عمل يشغل عن صلاة الجمعة سواء كان بيعاً أو غيره وإنما علق النهي بالبيع لكونه من أجل المصاديق التي تشغل الإنسان عن الصلاة.

٦- ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تأكيد على حقيقة قد تغيب عن بعض من البشر وهي أن أوامر الله ونواهيه لا يريد منها الباري عز وجل إلا الخير للإنسان لذا يجب عليه التسليم وبالإتّهار بأوامره والانتهاء بنواهيه سبحانه، فحضور الجمعة واستئناع الذكر وأداء الفريضة وترك البيع خير لكم وأنفع عاقبة لكم.

الآية الثانية: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

١- جاء في الميزان أن الأمر بالانتشار في قوله تعالى ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يفيد أمراً واقعاً بعد الحظر فيفيد الجواز والإباحة دون الوجوب وكذا قوله: (وابتغوا، واذكروا).

٢- ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ فضلـه جـلـ وعلـى لا يـعدـ ولا يـحـصـى لـذا يـنـبـغـي

السعى إليه والجذب في طلبه ولا يكون ذلك إلا بفعل الطاعات كالدعاء وعيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة الأخوان في الله وما شابه ذلك، وقيل هذا أمر بزيادة التعقيب الذي يستحب يوم الجمعة. وعلى أي فإن العموم شامل لجميع ما ذكر وما شاكله.

٣- المراد من الأمر بالذكر في قوله تعالى ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أعم من الذكر اللفظي فيشمل ذكره تعالى قلباً بالتوجه إليه باطناً، والفلاح النجاة من كل شقاء، وهو في المورد بالنظر إلى ما تقدم من حديث التزكية والتعليم وما في الآية التالية من التوبية والعتاب الشديد، وذلك أن كثرة الذكر يفيد رسوخ المعنى المذكور في النفس وانتقاشه في الذهن فتنقطع به منابت الغفلة ويوثر التقوى الديني الذي هو مظنة الفلاح. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران - ٢٠٠).

وقيل المراد من ذلك هو ذكر الله في التجارة.

الآية الثالثة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِحْجَارَةً أَوْ هُوَ انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرْكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

١- اتفقت روايات الشيعة والسنّة إجمالاً في سبب نزول هذه الآية، ومن ذلك ما روى جابر بن عبد الله: قال: قدم عير لدحية الكلبي فيها طعام، للمدينة بعدما أصابتهم مجاعة، فاستقبلوه باللهو والمزامير والطبول وكانوا مع النبي ﷺ في الصلاة فلما سمعوا صوت الطبول والمزامير «انفضوا» أي تفرقوا إلى العير وتركوا النبي ﷺ وحده قائماً.

فقال عليه أفضل الصلاة والسلام لو تباعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسؤال بكم الوادي ناراً ولو لا هؤلاء لسموت لهم الحجارة من السماء فأنزل الله الآية.

٢- الفرض، كسر الشيء والتفريق بين بعضه وبعض، وعنه استعير انقضى القوم و«انفضوا» هو من فضضت القوم فانفضوا: أي فرقهم فتقروا، والمعنى تفرقوا إليها.

٣- ﴿تِجَارَةً أَوْ هُوَ انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ التجارة واضحة وأما اللهو فهو استعمال آلات اللهو من المعازف والطرب والزبادي وما شابها للإعلام عن وصول قوافل التجارة، و﴿إِلَيْهَا﴾ أي إلى التجارة، وقيل إليها لأن انفضاض البعض قد يكون للتجارة والبعض الآخر قد يكون لللهو.

٤ - ﴿وَتَرْكُوكَ قَائِمًا﴾ أى تخطب قائماً.

قال جابر بن سمرة: ما رأيت رسول الله ﷺ يخطب إلا وهو قائم فمن حديثه أنه خطب وهو جالس فكذبه.

وفي الدر المنشور، أخرج ابن أبي شيبة عن طاوس قال: خطب رسول الله ﷺ قائماً وأبو Bakr وعمر وعثمان، وإن أول من جلس على المنبر معاوية بن أبي سفيان.

ورواية معاوية بن وهبٍ قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ خَطَبَ وَهُوَ جَالِسٌ مُعَاوِيَةً وَاسْتَأْذَنَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ مِنْ وَجْهِ كَانَ فِي رُكْبَيْهِ وَكَانَ يَخْطُبُ خُطْبَةً وَهُوَ جَالِسٌ وَخُطْبَةً وَهُوَ قَائِمٌ يَجِلسُ بَيْنَهُمَا ثُمَّ قَالَ الْخُطْبَةُ وَهُوَ قَائِمٌ خُطْبَتَانِ يَجِلسُ بَيْنَهُمَا جَلْسَةً لَا يَتَكَلَّمُ فِيهَا قَدْرَ مَا يَكُونُ فَصْلًا مَا بَيْنَ الْخُطْبَتَيْنِ». [1]

صلاة الجمعة في السنة النبوية:

حظيت صلاة الجمعة في السنة النبوية المطهرة باهتمام واسع بلغ حد التواتر الإجمالي، قال بعض الأعلام «ولا يبعد دعوى تواترها بل لا شبهة في تواترها الإجمالي للقطع بصدور بعضها من المعصوم عليه السلام وعدم مخالفة جميعها للواقع، وقد أنهاها بعض الأعلام إلى مائتي حديث، أربعون حديثاً بين، صحيح وحسن وموثق صريح في الوجوب، وخمسون حديثاً ظاهره الوجوب، وتسعون حديثاً يدل على مشروعيتها في الجملة وعشرون حديثاً يستفاد من عمومه وجوبها وإليك بعضها منها:

١- ذكر الشيخ المفید في كتابه «المقنة»: أن الرواية جاءت عن الصادقين علیهم السلام
أن الله جل جلاله فرض على عباده من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة، لم

يفرض فيها الاجتماع إلا في صلاة الجمعة خاصة، فقال جل من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٢ - وجاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام «ما من قدم سعت إلى الجمعة إلا حرم الله جسدها على النار».

٣ - وفي بحار الأنوار وعن علي عليه السلام أنه قال: ليس على المسافر الجمعة ولا جماعة ولا تشريق، إلا في مصر جامع. وعن جعفر عليه السلام أنه قال: أتى رسول الله صلوات الله عليه وسلم بخمس وثلاثين صلاة في كل سبعة أيام، منها صلاة لا يسع أحداً أن يتخلَّف عنها إلا خمسة: المرأة والصبي والمسافر والمريض والمملوك، يعني صلاة الجمعة مع الإمام العدل. وعن علي عليه السلام أنه قال: إذا شهدت المرأة والعبد الجمعة أجزاء عندهما من صلاة الظهر. وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال: تجب الجمعة على من كان منها على فرسخين إذا كان الإمام عدلاً. وعن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: يجمع القوم يوم الجمعة إذا كانوا خمسة فصاعداً، وإن كانوا أقل من خمسة لم يجتمعوا.

٤ - وفي بحار الأنوار عن رسالة الجمعة: للشهيد الثاني في وجوب الجمعة قال: قال النبي صلوات الله عليه وسلم: الجمعة حق واجب على كل مسلم إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة أو صبي أو مريض. قال: وقال صلوات الله عليه وسلم: من ترك ثلات جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه.

٥ - عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «صلاة الجمعة فريضة، والاجتماع إليها فريضة مع الإمام، فإن ترك رجل من غير علة ثلاثة ثلات جمع فقد ترك ثلاثة فرائض، ولا يدع ثلاثة فرائض من غير علة إلا منافق».

٦ - جاء في مجالس الصدوق، عن الصادق عليه السلام عن آباءه عليهم السلام قال «قال أمير المؤمنين عليه السلام الناس في الجمعة على ثلاثة منازل رجل شهدتها بإنصات وسكن قبل الإمام وذلك كفارة لذنبه من الجمعة إلى الجمعة الثانية وزيادة ثلاثة أيام لقول الله عز

وَجَلَ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهِ﴾ وَرَجُلٌ شَهِدَهَا بِلَغْطٍ وَمُلْقٍ وَقُلْقٍ فَذَلِكَ حَظُّهُ وَرَجُلٌ شَهِدَهَا وَالإِمَامُ يُخْطِبُ فَقَامَ يُصْلِي فَقَدْ أَخْطَأَ السَّنَةَ وَذَلِكَ مَنْ إِذَا سُئِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ وَإِنْ شَاءَ حَرَمَهُ.

فتاوي العلماء في صلاة الجمعة:

يرى السيد الخوئي أن صلاة الجمعة واجبة تخييراً، بمعنى: أن المكلف مخير يوم الجمعة بين إقامة صلاة الجمعة إذا توفرت شرائطها وبين الإتيان بصلاة الظهر، فإذا أقام الجمعة مع الشرائط أجزاءً عن الظهر، وإذا أقيمت الجمعة في بلد واجدة لشرائط الوجوب والصحة وجب الحضور على الأحوط «وجوباً».

شروط الوجوب هي:

دخول الوقت، واجتماع خمسة أو سبعة أشخاص عند «الإمام الخميني»، أحدهم الإمام، وجود الإمام الجامع لشرط الإمامة من العدالة وغيرها مما يشترط في إمامية الجماعة بإضافة التمكن من إلقاء الخطيبين، ويرى البعض اشتراط الفقة أو الإجازة من الفقيه بالإضافة إلى ما ذكر.

شرط الصحة هي :

أولاً: الجماعة، وأن لا تكون المسافة بين المكان التي تقام فيه صلاة الجمعة والمكان الآخر أقل من فرسخ، وهي خمسة كيلومتر، وقراءة خطيبين قبل الصلاة.

ويقول الإمام الخميني رضوان الله عليه: تجب صلاة الجمعة في هذه الأعصار مخيراً بينها وبين صلاة الظهر، والجمعة أفضل والظهر أحوط، وأحوط من ذلك الجمع بينهما، فمن صلى الجمعة سقطت عنه صلاة الظهر على الأقوى، لكن الأحوط الإتيان بالظهر بعدها.

ويقول الشهيد السيد محمد باقر الصدر ثالثاً : «تجب على وجه التخيير ابتداءً، وتجب على وجه الحتم انتهاءً، وذلك أن المكلفين في هذه الحالة يجب عليهم أن يؤدوا الفريضة في ظهر يوم الجمعة، إما بإقامة صلاة الجمعة جماعة على نحو توفر فيها الشروط السابقة، وإما بالإتيان بصلاة الظهر، وأيضاً أتى به المكلف أجزاء وكفاه، غير أن إقامة صلاة الجمعة أفضل وأكثر ثواباً، وهذا هو الحكم الثاني لصلاة الجمعة ويعبر عنه بـ«الوجوب التخييري لإقامة صلاة الجمعة».

والسيد القائد الخامنئي «دام ظله» يتفق مع الآخرين في أن صلاة الجمعة واجبة وجوباً تخييرياً إلا أنه يؤكّد على ضرورة الإهتمام بها.

ففي معرض رده على سؤال عن المشاركة في صلاة الجمعة إذا كان هناك أشخاص لا يعتقدون بعدلة إمام الجمعة، فهل يسقط عنهم تكليف المشاركة فيها أم لا؟

فأجاب «دام ظله»: «صلاة الجمعة وإن كانت في الوقت الحاضر واجباً تخييرياً، ولا يجب الحضور فيها، لكن بالنظر إلى فوائد وأهمية الحضور في صلاة الجمعة، فلا ينبغي للمؤمنين حرمان أنفسهم من برkat الحضور في مثل هذه الصلاة مجرد التشكيك في عدالة إمام الجمعة، أو لأعذار واهية أخرى».

وفي جوابه لمن لا يشارك في صلاة الجمعة لعدم المبالغة بها أو لاختلاف وجهات النظر؟

قال سماحته: «ترك الحضور والمشاركة في صلاة الجمعة العبادية السياسية من أجل عدم المبالغة بها مذموم شرعاً، والإبقاء عن المشاركة فيها بصورة دائمة ليس له وجه شرعى». ^(١)

(١) موقع الشيعة.

ثانياً - يجب على المأمور متابعة الإمام في الأفعال، فلا يجوز له التقدم عليه بأي فعل من الأفعال.

مسألة: لو كبر المأمور سهواً قبل الإمام فهو بالخيار فإنما أن يكمل صلاته منفرداً ويتهمها أو يعدل بها إلى النافلة ويقطعها ثم يعاود الدخول في الجماعة.

مسألة: إذا تقدم المأمور على الإمام سهواً، فتارة يكون التقدم في الأجزاء وأخرى في الأركان ما عدا تكبيرة الإحرام، فإن كان في الأجزاء فلا شيء عليه وصحت صلاته ويتبع مع الإمام.

وأما إذا كان التقدم في الأركان كأن يرفع رأسه في الركوع قبل الإمام، فإن كان الإمام لا يزال راكعاً فعليه العودة إلى الركوع ولا تضر الزيادة الركنية في هذه الحالة.

وأما إذا رفع الإمام رأسه من الركوع فيتابع المأمور الصلاة جماعة ولا شيء عليه، وكذلك الحال لو حصل هذا الأمر بالسجدة أو ركع وسجد قبل الإمام فإن عليه العود إلى القيام أو الجلوس ثم السجدة والركوع مع الإمام وتصح صلاته جماعة.

مسألة: لا يتحمل الإمام عن المأمور في صلاة الجماعة إلا القراءة في الركعتين الأوليين وأما كل الأقوال والأذكار في الصلاة فتبقى واجبة على المأمور.

مسألة: لا يشترط اتحاد الصلاة بين الإمام والمأمور من جهة الأداء والقضاء أو القصر والت تمام أو الظهر والعصر، فيجوز لمن يصلي القصر الإقتداء بمن يصلي تماماً وكذلك من يصلي قضاء أن يقتدي بمن يصلي الأداء، وكذا من يصلي الظهر أن يقتدي بمن يصلي العصر، نعم لا يصح الإقتداء بمن يصلي اليومية بمن يصلي صلاة الآيات أو العيد.

مسألة: يجوز للمأمور العدول عن الاتئام إلى الانفراد إلا في صورة إتيانه بشيء يمنع صحة صلاته منفرداً كمن أتى بركن زائد كالركوع في صلاة الجماعة لمتابعة الإمام

فانه لا يصح له بعد ذلك الانفراد عن الجماعة.

عودا على بدأ، ثم يستطرد الإمام علي عليه السلام في الأمور التي يتحملها إمام الجماعة «وتكلم عنك ولم تتكلم عنه، ودعالك ولم تدع له، فإن كان لك في شيء من ذلك وتقدير كان به دونك، وإن كان آثما لم تكن شريكة فيه، ولم يكن لك عليه فضل فوقى نفسك بنفسه، ووقي صلاتك بصلاته».

إضافة إلى تحمله السفارة والوفادة إلى الله تعالى عن جميع المؤمنين فإنه يتحمل القراءة عنهم وذلك بقراءة السورتين في الركعة الأولى والثانية، ودعالك سواء في القنوت أو في موارد الدعاء لأن إمامته تستدعي أن يدعوا الجماعة المصلين ويتحدث عنهم، وحيث أن الدعاء لإخوانك أو جب لاستجابة الدعاء، والأهم من ذلك أنه كفالك هم المقام بين يدي الله والمساءلة له فيك ولم تكتبه ذلك، فأنت مسؤول عن نفسك فقط، ومحاسب على حسن أدائك لصلاتك فقط، وأما هو فمسؤول عن حسن أداء صلاة الجماعة للمؤمنين، وقد وضع نفسه في مقام المسائلة في حدود تكليفه كإمام للجماعة، بأن تتوفر فيه شروط التصدي وإسقاط التكليف عن المؤمنين وعن نفسه، ولو افترضنا انه أخطأ أو قصر فالمسؤولية عليه وحده.

هذه النفحات الإلهية تخرج من مشكاة واحدة حيث أكد أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لـ محمد بن أبي بكر حين لاه مصر: «وانظر إلى صلاتك كيف هي، فإنك إمام لقومك «ينبغى لك» أن تتمها ولا تخففها، فليس من إمام يصلبي بقوم يكون في صلاتهم نقصان إلا كان عليه، لا ينقص من صلاتهم شيء، وتمها وتحفظ فيها، يكن لك مثل أجورهم، ولا ينقص ذلك من أجراهم شيئاً.

وإن ترتب على عمله إثم فلا ينسحب على المؤمنين، لذا «وان كان آثما لم تكن شريكة فيه» بينما ينسحب إيجابيات عمله عليهم، كما يكسب أجرا إضافيا من أجورهم يضاف إليه من دون أن ينقص من أجراهم شيئاً.

إضافة على ذلك «أنه وقى نفسك بنفسه، ووقى صلاتك بصلاته» فحرماك بطاعته لتكسب من خيراتها، وحرماك بصلاته فأحسنت أداء صلاتك فارتحت من الخلل المحتمل أثناء أداء الصلاة، كل تلكم تجعله يستحق الشكر والفضل والمكافأة لا ماديا بل معنويا وكلنا يعرف ما للشكر من فوائد جمة تزيد من ترابط وأواصر الأفراد والجماعات.

ولا يعزب علينا أن صفة الشكر من أخلاقيات الإسلام والإنسان المؤمن وفيه الحث وتشجيع الآخرين على عمل الخير والإحسان.





حق الجليس

رحلة حقوقيه

واخرض على حفظ القلوب من الأذى
فرجوعها بعد التناحر يصعب
إن القلوب إذا تناحر وده
شبه الرجاجة كسرها لا يُسعُب
كن ما استطعت عن الأنام بمعزلٍ
إن الكثير من الورى لا يُصْحِبُ
واجعل جليسك سيداً تحظى به
حبرٌ لبيبٌ عاقلٌ متأدبٌ
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي
فالنصح أغلى ما يباع ويوهب

إن الحديث عن الجليس الصالح حديث ذو شجون، أيا كان هذا الجليس شخصاً حقيقياً أم شخص معنوياً وأعني به الكتاب.

قال الشاعر المتنبي:

أعز مكان في الدنيا سرج سابق وخير جليس في الزمان كتاب

ولن نجد أنا وأنت جليساً خيراً من كتاب الله الكريم، قال أرباب العلم إن انت

اردت أن يكلمك الله فجالس كتابه واقرأه، وإن أردت ان تخاطب الله فبادر بدعائه والإبهال اليه.

ولو لم يكن في كتاب الله عز وجل إلا هذه الآية ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ لكتفى، فهي على إيجازها وقصرها جمعت كل صفات الجليس الحسن، الجليس الصادق في القول، الصادق في الحديث، الصادق في العمل، الصادق في النية، والطلب والتحث والأمر بمحاجسته وصحبته والكون معه. ولا أقول هنا ان تقتصر القراءة على كتاب الله، بل وتشمل كتب علم الأخلاق والعلوم الأخرى والتجارب المنقوله فيها للإستفادة منها.

ما أروع النظام الاجتماعي الذي خططه الإسلام فقد رعى فيه جميع الشؤون الإجتماعية والفردية، وقارب فيه ما بين العواطف والمشاعر، وقضى فيه على جميع ألوان الحrazات التي تباعد بين المسلمين، وتفرق جماعتهم، وكان من بين ما سنه الإسلام في هذا المجال حقوق الجليس، وقد رعى فيها الآداب رعاية كاملة وهي حسب ما أعلنها امامنا زين العابدين علیه السلام في مقطوعته الرائعة حق الجليس. وهو الحق الواحد والثلاثون من رسالة الحقوق والخامس من باب «حقوق الآخرين».

حق الجليس

وَأَمَّا حَقُّ الْجَلِيسِ فَأَنْ تُلِينَ لَهُ كَنْفَكَ، وَتُطِيبَ لَهُ جَانِبَكَ، وَتُنْصِفَهُ فِي مُحَارَةِ الْلَّفْظِ وَلَا تُغْرِقَ فِي نَزْعِ الْلَّحْظِ إِذَا لَحَظَتْ وَتَقْصُدَ فِي الْلَّفْظِ إِلَى إِفْهَامِهِ إِذَا لَفَظَتْ. وَإِنْ كُنْتَ الْجَلِيسَ إِلَيْهِ كُنْتَ فِي الْقِيَامِ عَنْهُ بِالْخِيَارِ وَإِنْ كَانَ الْجَالِسَ إِلَيْكَ كَانَ بِالْخِيَارِ. وَلَا تَقُومُ إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

إن الجليس الحسن له التأثير الإيجابي لسلوك طريق الإستقامة كما الجليس السوء الأثر السلبي للإنحراف، وكما ان للأطباء منهجين في معالجة المرضى: أحدهما إيجابي فيقولون للمريض خذ هذا العلاج، وأ الآخر سلبي، فيقولون له لا تأكل هذا ولا تشرب هذا، فكذلك المنهج الديني يشابه المنهج الطبي تماماً، فيقولون للMuslim أقم الصلاة، ليكن كسبك حلالاً، وتزوج، ومن جهة أخرى يقولون له لا تكذب لا تسرق ولا تظلم زوجتك، وهذا هو الجانب السلبي، وبكلمة أخرى الواجبات هي الجانب الإيجابي، أما المحرمات فهي الجانب السلبي.

وعليه كما حضر على الكون مع الصادقين، كذلك حذر ونمى من الجلوس مع الذين يخوضون في آيات الله بالباطل فقال عز من قائل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ عَيْرِهِ﴾. وهذا ما نعني به العلاج السلبي.

إن للجلوس ادباً وأحكاماً، وللجليس حقوقاً وعليه التزامات وما لا شك فيه أن المرأة تتأثر بجليسه إن سلباً أو إيجاباً ويكتسب من أخلاقه، لذلك اهتم الشارع المقدس، «بل ما تملية الفطرة والعقل السليم والدراسات الحديثة» بموضوع الجليس وما رواه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام انه كان يقول: «جليس الخير نعمة، وجليس الشر نعمة».

قال أبو الوفاء عمر اليافي:

ففيه دليلٌ عنه بالطبع تهتدي
فكل قرينٍ بالمقارن يقتدي
لتصبح في ثوب الكلمات مرتدٍ
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
ولا بدع في وفق الطياع إذا اقتدت
وإن تصطحب قوماً فصاحب خيارهم
وجانب قرين السوء يا صاحب صحبة

وقبل أن نتطرق لحقوق الجليس، يجب علينا أن نعرف من نجالس وما هي المجالس التي يجب أن نؤمها ونرتادها ونذهب إليها، وقد بيّنت لنا الكثير من

الأحاديث والأقوال المأثورة بنوع من التفصيل وأشار إليها:

المجالس:

١ - المجالس بالأمانة: وهي المجالس التي يأمن الناس فيها على دمه وفرجه وماليه وسره، بل على دماء الآخرين وفروجهم وأموالهم.

ورد عن رسول الله ﷺ: المجالس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: مجلس سفك فيه دم حرام، ومجلس استحل فيه فرج حرام، ومجلس استحل فيه مال حرام بغير حقه.

وعنه ﷺ: المجالس بالأمانة، وافشاء سر أخيك خيانة، فاجتنب ذلك، واجتنب مجلس العشيرة.

وعنه ﷺ: المجالس بالأمانة، ولا يحل لمؤمن أن يأثر عن مؤمن أو قال: عن أخيه المؤمن قبيحا.

وعنه ﷺ: إنها يتجلالس المتجلالسان بامانة الله، فلا يحل لأحدهما أن يفضي على أخيه ما يكره.

٢ - مجالس الذكر: وهي المجالس التي يذكر فيها اسم الله عز وجل.

فعن الإمام علي عليه السلام : عليك بمجالس الذكر.

وعن رسول الله ﷺ: ارتعوا في رياض الجنة. قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر.

وعنه ﷺ: ما قعد عدة من أهل الأرض يذكرون الله لا يقعد معهم عدة من الملائكة.

وعنه ﷺ: المجالس ثلاثة: غانم وسالم وشاحب، فاما الغانم فالذي يذكر الله تعالى فيه، واما السالم فالساكت، واما الشاحب فالذي يخوض في الباطل.

و عن الإمام الباقي عليه السلام : المجالس ثلاثة : سالم و غانم و شاجب ، فالسالم الصامت ، والغانم الذاكر ، والشاجب الذي يلفظ ويقع في الناس .

و عن لقمان عليه السلام : اختر المجالس على عينيك ، فان رأيت قوماً يذكرون الله عزوجل فاجلس معهم ، فانك ان تك عالماً ينفعك علمك ويزيدونك علمًا ، وان كنت جاهلاً علموك ، ولعل الله ان يصلهم برحمته فتعملهم معهم .

و عن الإمام زين العابدين عليه السلام - في دعائه - : واجعلنا من الذين اشتغلوا بالذكر عن الشهوات ، حتى جالت في مجالس الذكر رطوبة السنة الذاكرين .

و عن الإمام الصادق عليه السلام : ما اجتمع قوم في مجلس لم يذكروا الله ولم يذكرونا الا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيمة .

و عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه : اذا رأيتم روضة من رياض الجنة فارتعوا فيها . قيل : يا رسول الله ، وما روضة الجنة ؟ فقال : مجالس المؤمنين .

و عن الإمام الرضا عليه السلام : من جلس مجالساً يحيى فيه أمرنا لم يتمت قلبه يوم تموت القلوب .

و عن الإمام الصادق عليه السلام - لفضيل - : تجلسون و تحدثون ؟ قال : نعم جعلت فداك . قال : ان تلك المجالس احبها ، فاحيوا امرنا يا فضيل ، فرحم الله من أحيا امرنا .

٣ - مجالس الخمر : وهي المجالس التي يشرب فيها الخمور والمسكرات ، وتشمل الملاهي الليلية والحوانيت وكل مكان يتواجد فيه هذه الأشياء .

فعن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام : لا تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر ، فان العبد لا يدرى متى يؤخذ .

٤ - المجالس التي نهى عنها الكتاب : وهي المجالس التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وورد النهي عن الجلوس فيها .

- مجالس المنكر قال تعالى :

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَر﴾

- المجالس التي يكفر الله فيها، قال تعالى :

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَكُونُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

المجالس التي يخوضون فيها آيات الله بالباطل ويسب فيها أهل الحق، قال تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنِسِّيَنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وعن الإمام الصادق عليه السلام - في قوله تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ - : انما عنى بهذا « اذا سمعتم » الرجل « الذي » يجحد الحق ويکذب به ويقع في الانئمة، فقم من عنده ولا تقاعده كائنا من كان .

وعن الإمام الرضا عليه السلام - أيضاً - اذا سمعت الرجل يجحد الحق ويکذب به ويقع في اهله، فقم من عنده ولا تقاعده .

وعن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه : من كان يؤمن بالله والله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يسب فيه امام، او يغتاب فيه مسلم، ان الله يقول في كتابه : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنِسِّيَنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

٥ - الطرقات: وقد ورد النهي عن الجلوس فيها واتخاذها مجالس لأنها تؤدي المارة والجيزان وربما يرتاتب منها الآخرون .

عنـه عليه السلام : إياكـ والجلوس في الطرقـاتـ . الإمام علي عليه السلام : منـ كانـ يؤـمنـ بالـلهـ واللهـ والـيـومـ الـآخـرـ فـلاـ يـقـومـ مـكـانـ رـيـبةـ .

ورد عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال : «إياكم والجلوس على الطرقـاتـ» .

قالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها.

فقال عليه السلام: «فإذا أبitem إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها». قالوا: وما حق الطريق؟

قال عليه السلام: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر».

من مجالس :

١ - مجالسة العقلاء: الشورى ضم عقول الناس إلى عقلك «ماندم من استشار»، وقالت الحكماء: العاقل يعرف ويستشير؛ لعله يجد أفضل من رأيه، والجاهل لا يعرف ولا يستشير؛ لفرحه بعقله.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: جالس العقلاء، أعداء كانوا، أم أصدقاء فإن العقل يقع على العقل. وعن رأي الشيخ «بتجاربه وعقله» أحب إلى من جلد الغلام.

٢ - مجالسة أهل العلم: ليس هناك مجالسة أفضل من مجالسة العالم، في أي ميدان كان التخصص فهي أنفع دنياً وآخرة، فعن رسول الله عليه السلام المرأة على دين خليله وقريرته.

وفي غر الحكم ودرر الكلم عن علي عليه السلام جالس العلماء تسعد، وعنده جالس العلماء تزداد علمًا، وعنده أيضاً جالس العلماء يزداد علمك ويسن أدبك وتترك نفسك. وعن رسول الله عليه السلام: قالوا الحواريون لعيسى عليه السلام: يا روح الله، فمن مجالس اذا؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح.

وعنه عليه السلام - في الدعاء - أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتنـي، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيسـتنـي، أو لعلك رأيتني ألف مجالس البطالين فيبني وبينهم خليـتنـي.

و عن لقمان عليه السلام : يا بني ، جالس العلماء وزاحمهم بركتيك ، فان الله عزوجل يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء لا تجلسوا إلا عند كل عالم يدعوكم من خمس إلى خمس : من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الرغبة إلى الرهبة ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن الغش إلى النصيحة .

٣ - مجالسة أهل الورع والحكمة: ان مجالسة أهل الورع والحكمة مما يزيد العلم ويكمel العقل . وقد ورد في غرر الحكم عن امير المؤمنين عليه السلام جالس أهل الورع والحكمة وأكثر مناقشتهم فإنك إن كنت جاهلا علمواك وإن كنت عالماً أزدلت علمـا . وعنـه أيضـا جالـس الحـكماء يـكمل عـقلـك وـتـشـرـفـ نـفـسـكـ وـيـنـتـفـ الجـهـلـ عـنـكـ . وـعـنـهـ»ـمـجـالـسـةـ الحـكمـاءـ حـيـاةـ العـقـولـ وـشـفـاءـ النـفـوسـ .

و عنـ أـحـمـدـ اـبـنـ عـطـاءـ مـجـالـسـةـ الـأـضـدـادـ ذـوـبـانـ الرـوـحـ ، وـمـجـالـسـةـ الـأـشـكـالـ تـلـقـيـحـ الـقـبـولـ ، وـلـيـسـ كـلـ مـنـ يـصـلـحـ لـمـجـالـسـةـ يـصـلـحـ لـمـؤـانـسـةـ ، وـلـاـ كـلـ مـنـ يـصـلـحـ لـمـؤـانـسـةـ يـؤـمـنـ عـلـىـ الـأـسـرـارـ الـأـمـنـاءـ فـقـطـ .

٤ - مجالسة الأبرار: فعن رسول الله عليه السلام : جالس الأبرار ، فانك ان فعلت خيراً حدوك ، وان اخطات لم يعنفك . وعنـهـ عليهـ السـلامـ : يـابـنـ مـسـعـودـ ، فـلـيـكـ جـلـسـاؤـكـ الـأـبـرـارـ وـاخـوانـكـ الـأـتـقـيـاءـ وـالـزـهـادـ ، لـأـنـ اللهـ عـالـىـ قـالـ فـيـ كـتـابـهـ : ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِي عَدُوًّا إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ .

٥ - مجالسة الفقراء والمساكين: إن مجالسة الفقراء والمساكين تذكر الإنسان بنعم الله سبحانه وتعالى شكرها . فعن علي عليه السلام : جالس الفقراء تزدد شكرـاـ .

و ورد عنـ رسولـهـ عليهـ السـلامـ : سـائـلـوـ الـعـلـمـاءـ ، وـخـاطـبـواـ الـحـكـمـاءـ ، وـجـالـسـواـ الـفـقـرـاءـ . وـعـنـ رـسـولـهـ عليهـ السـلامـ : تـمـسـكـنـواـ وـاحـبـوـ الـمـسـاكـينـ ، وـجـالـسـوهـمـ وـاعـيـنـوهـمـ ، تـجـاـفـوـ صـحـبـةـ الـأـغـنـيـاءـ وـارـحـمـوـهـمـ وـعـفـوـاـ عـنـ اـمـوـاـهـمـ .

و عنـ الإمامـ عـلـيـ عليهـ السـلامـ : اـيـهـاـ النـاسـ ، طـوـبـىـ لـمـنـ ، جـالـسـ أـهـلـ الـفـقـهـ وـالـرـحـمـةـ ، وـخـالـطـ أـهـلـ الـذـلـ وـالـمـسـكـنـةـ .

٦- مجالسة أهل الخير: قال أمير المؤمنين جليس الخير نعمة.

من لا ينبغي مجالسته:

ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ «مثـلـ الجـلـيـسـ الصـالـحـ مـثـلـ الدـارـيـ أوـ بـائـعـ الطـيـبـ إـنـ لـمـ يـحـذـكـ مـنـ طـيـبـهـ عـلـقـكـ مـنـ رـيـحـهـ، وـمـثـلـ الجـلـيـسـ السـوـءـ مـثـلـ الـكـيـرـ (نـافـخـ النـارـ) إـنـ لـمـ يـحـرقـكـ بـشـرـارـ نـارـهـ عـلـقـكـ مـنـ نـتـنـهـ».

مثال حـيـ مـحـسـوسـ وـوـاقـعـيـ وـعـمـلـيـ يـنـعـكـسـ فـيـ الـخـارـجـ بـأـوـضـحـ صـورـةـ فـصـاحـبـ الطـيـبـ يـطـيـبـكـ بـرـيـحـةـ زـيـةـ وـاـمـاـ نـافـخـ الـكـيـرـ فـلـنـ تـجـدـ مـنـهـ سـوـىـ الرـوـاـحـ التـنـنـهـ هـذـاـ إـنـ لـمـ يـحـرقـ ثـيـابـكـ، كـذـلـكـ الـقـلـوبـ تـتـأـثـرـ وـيـنـعـكـسـ عـلـيـهـاـ مـجـالـسـةـ الـأـبـرـارـ أوـ مـجـالـسـةـ الـأـشـرـارـ إـمـاـ سـلـبـاـ أوـ إـيجـابـاـ.

قد عرفنا في البند السابق أن الخير كل الخير في مجالسة الصالحين والأخيار والعلماء والحكماء وما ينتـجـ عـنـهـ منـ اـكـتسـابـ الـعـلـمـ وـالـحـكـمـةـ وـالـحـثـ علىـ الـعـمـلـ الصـالـحـ، وـعـكـسـ ذـلـكـ تـامـاـ مـجـالـسـةـ الـفـاسـدـيـنـ وـالـأـشـرـارـ وـالـجـهـاـلـ وـوـ.....ـ فـمـاـ يـنـتـجـ عـنـهـاـ إـلـاـ بـعـدـ عـنـ اللـهـ وـفـسـادـ الإـيمـانـ وـفـسـادـ الـقـلـوبـ. قال أمير المؤمنين عليه السلام مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأختيار و مجالسة الأخيار تلحق الأشرار للفجـارـ تـلـحـقـ الـأـبـرـارـ بالـفـجـارـ فـمـنـ اـشـتـبـهـ عـلـيـكـمـ أـمـرـهـ وـلـمـ تـعـرـفـوـ دـيـنـهـ فـاـنـظـرـوـاـ إـلـىـ خـلـطـائـهـ فـإـنـ كـانـوـاـ أـهـلـ دـيـنـ اللـهـ فـهـوـ عـلـىـ دـيـنـ اللـهـ وـإـنـ كـانـوـاـ عـلـىـ غـيـرـ دـيـنـ اللـهـ فـلـاـ حـظـ لـهـ مـنـ دـيـنـ اللـهـ إـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ كـانـ يـقـولـ مـنـ كـانـ يـؤـمـنـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ فـلـاـ يـؤـاخـيـنـ كـافـرـاـ وـلـاـ يـخـالـطـ فـاجـراـ وـمـنـ آـخـيـ كـافـرـاـ أـوـ خـالـطـ فـاجـراـ كـانـ كـافـرـاـ فـاجـراـ.

وقـالـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ العـافـيـةـ عـشـرـةـ أـجـزـاءـ تـسـعـةـ مـنـهـاـ فـيـ الصـمـتـ، إـلـاـ بـذـكـرـ اللـهـ، وـوـاحـدـ فـيـ تـرـكـ مـجـالـسـةـ السـفـهـاءـ.

وجـاءـ فـيـ غـرـرـ الـحـكـمـ وـدـرـرـ الـكـلـمـ عـنـ أمـيـرـ المـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ «ـمـجـالـسـةـ الـأـشـرـارـ تـوـجـبـ الـتـلـفـ». وـعـنـهـ «ـمـجـالـسـةـ أـهـلـ الدـيـنـ مـنـسـأـةـ لـلـإـيمـانـ وـقـائـدـةـ إـلـىـ طـاعـةـ الشـيـطـانـ».

و فيه أيضاً «مجالسة السفل تضني القلوب».

وعن سيدنا الإمام الصادق عليه السلام: لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم.

فعن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إياكم ومجالسة الموتى».

قيل يا رسول الله من الموتى؟ قال صلوات الله عليه وآله وسلامه: «كل غني أطغاه غناه». فإن المال لا يعطي جاها لـ الإنسان بالمعايير الإلهية بل التقوى هي التي تعطي جاهاً **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾**. فعلـ الإنسان المؤمن أن يحافظ على الموازين الإلهية في علاقاته الإجتماعية.

آداب المجالس والجلوس:

لـ كل مجلس آداب خاصة يجب مراعاتها والأخذ بها فـ هناك مجالس الفرح وهناك مجالس العزاء، وهناك مجالس العلماء، والمجالس الثقافية ومجالس الأدب، وهناك مجالس السوء والبطالين:

١ - التفسح في المجالس: وهو أن توسع لأخيك في المكان ويستحب أن تـ ناديه بالجلوس لأنـه سـ يعتبرها كـ رامة اكرمهـها وـ هو أيضاً من بـاب التـقدير، قال تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسُحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾**

وجاء في تفسير هذه الآية عن الإمام الصادق عليه السلام: «أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: ينبغي للجلساء في الصيف أن يكون بين كل اثنين مقدار عظم الذراع، لـئلا يـشق بعضـهم على بعض»، كذلك الإنتشار والتـفرق عند انتهاء وقت الجلسة، وهذا ما عـني به بالـنشوز.

فـ عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: إذا أخذ القوم مجالسـهم، فـ ان دعا رـجل أخـاه وـ اوسـع لهـ في مجلسـه فـليـاتهـ، فإـنـهاـ هيـ كـ رـامةـ اـكرـمهـ بهاـ اـخـوهـ، وـ انـ لمـ يـوـسـعـ لهـ أحدـ فـلينـظرـ

اوسع مكان يجده فليجلس فيه.

وكان من خلقه ﷺ أنه دخل عليه رجل المسجد وهو جالس وحده، فتر حزح ﷺ له، فقال الرجل: في المكان سعة يا رسول الله.

٢ - الجلوس حيث ينتهي به المجلس: ورد عن رسول الله ﷺ : إذا أتي أحدكم مجلساً فليجلس حيثما انتهى مجلسه.

وعن الإمام الصادق ع: كان رسول الله ﷺ إذا دخل منزله قعد في أدنى المجلس حين يدخل.

٣ - عدم الجلوس في صدر المجلس او ارفع مكان فيه إلا أن يكون مؤهلاً لذلك: إن الجلوس في صدر المجلس أو موقع الصدارة يتطلب أن يكون الجالس مستعداً لجواب أي سؤال والقدرة على ادارة المجلس والجلسة وأن يكون ذو علم وحلم حتى يستوعب جميع الحلسوة.

عن الإمام علي ع: لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه ثلات خصال: يحب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلوس فهو أحمق.

وعنه ع: لا تسرعن إلى ارفع موضع في المجلس، فإن الموضع الذي ترفع إليه خير من الموضع الذي تحط عنه.

٤ - الجلوس حيث يأمر صاحب المنزل: عادة ما يكون للمنازل خصوصية وصاحب المنزل أعرف بشؤونه وحمرته.

فعن إمامنا الباقر ع: إذا دخل أحدكم على أخيه في رحله فليقعد حيث يأمره صاحب الرحل، فإن صاحب الرحل أعرف بعوره بيته من الداخل عليه.

وورد عن رسول الله ﷺ «إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم في بيته فهو أمير عليه حتى يخرج».

٥ - الجلوس تجاه القبلة: فعن رسول الله ﷺ : ان لكل شيء شرفا وان أشرف المجالس ما استقبل به القبلة.

وعن الإمام الصادق ع: كان رسول الله ﷺ اكثراً ما يجلس تجاه القبلة.

٦ - التواضع في الجلوس: وهو أن يجلس في أي مكان متاح بالمجلس. فعن إمامنا العسكري ع: من رضي بدون الشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم.

٧ - كيفية الجلوس: إن كيفية الجلوس تمثل قمة أدب المجالس واحترامه للآخرين، ايضاً الإقتصاد في المكان، بما يتماشى مع عادات المجالس، فعلى سبيل المثال يكره مد الرجلين أو التربع فإنه يشغل مساحة أكبر إلا إذا كان المكان واسعاً أولى للاستراحة وطرد الملل. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يجلس ثلاثة: القرفصاء، وكان يحيثوا على ركبتيه، وكان يثنى رجلاً واحدة ويحيط الآخر، ولم يرى متربعاً قط.

وعن الإمام علي ع في اوصاف النبي ﷺ : وما رأيي مقدماً رجله بين يدي جليس له قط.

٨ - عدم الفحش في المجالس: إن من آداب المجالس أن يتكلم المجالس بالكلام الحسن المفيد الذي يفيد المجالسين وينور عقولهم وبالكلام الذي يفيد الجماعة والمجتمع ككل واستعراض الأولويات والتطرق لأحداث الساعة والمجتمع والنأي الكلام البذئ والفاحش ورفع الأصوات التي يفهم منها التهتك وعدم احترام الآخرين وأن تضبط فيه الإنفعالات

كالضحك مثلاً بلا سبب كما قال المثل «الضحك بلا سبب من قلة الأدب» وقال إمامنا الصادق ع: «إن من الجهل الضحك من غير عجب».

ومن آداب الجلوس ان لا يتناجي اثنان في مجلس خاصة ان كان الجلوس قليلاً ثلاثة او اربعة. ورد عن رسول الله ﷺ : لا تفحش في مجالسك لكي

يحدروك بسوء خلقك، ولا تناج مع رجل وانت مع آخر.

٩ - من آداب المجالس أن يحترم الصغير الكبير وأن يرحم الصغير الكبير وأن يوقر أهل العلم والأدب.

١٠ - ذكر الله حال الجلوس والقيام: ورد عن رسول الله ﷺ : ان كفارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، رب رب علي واغفر لي.

وعن الإمام الباقر ع: من اراد ان يكتال بالمكيال الاواني، فليقل اذا اراد ان يقوم من مجلسه: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

وعن أمير المؤمنين علي ع: من اراد ان يكتال بالمكيال الاواني فليكن آخر قوله: «سبحان ربك رب العزة»، فان له من كل مسلم حسنة.

١١ - إن من اكرام الجلسة ان تعطي كل جليس نصيبا من الكلام والنظره حتى يضنو انهم جميعا كرماء عليك.

١٢ - الضحك والمزاح: إن ادخال الفرح والسرور على قلب الإخوان والجلساء من الأمور المحبوبة، وكذلك المزاح ولكن في الحدود المعقولة بحيث لا يحسب انه اهانة أو من الإستهزاء والسخرية.

وروي ان رسول الله ﷺ يقول: اني لامزح ولا اقول: الا حقا.

وعن الحسن بن علي ع: قال: سألت خالي هندا عن صفة النبي ﷺ فقال: اذا غضب اعرض واشاح، وادافع غض طرفه، جل ضحكه التبس، يفتر عن مثل حبة الغمام.

عن ابي الدرداء قال : كان رسول الله ﷺ اذا حدث بحديث تبس في حديثه.

قالت عجوز من الانصار للنبي ﷺ : ادع لي بالجنة، فقال النبي ﷺ : ان الجنة لا يدخلها العجز، فبكى المرأة، فضحك النبي ﷺ ، وقال: اما سمعت قوله

تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَا هُنَّ إِنْشَاءٌ * فَجَعَلْنَا هُنَّ أَبْكَارًا﴾ . الواقعه

وقال للعجز الاشجعية يا اشجعية لا تدخل العجوز الجنة، فراها بلال باكية، فوصفها للنبي ﷺ ، فقال: والأسود كذلك، فجلسا يبكيان، فراهما العباس فذكرهما له ﷺ ، فقال: والشيخ كذلك، ثم دعاهم وطيب قلوبهم، وقال: ينشئهم الله كاحسن ما كانوا، وذكر انهم يدخلون الجنة شبابا منورين، وقال: ان اهل الجنة جرد مرد مكحلون.

وقال ﷺ لرجل: حين قال له: انت نبي الله حقا نعلمه، ودينك الإسلام دينا نعظميه، نبغي مع الإسلام شيئا نقضمه، ونحن حول هذا ندندن يا علي اقض حاجته، فاشبعه علي عليه السلام واعطاه ناقة وجلة تمر.

وكان النبي ﷺ يرقص الحسن والحسين عليهما السلام ويقول: حزقة حزقة ترق عين بقة، فترقى الغلام حتى وضع قدميه على صدره.

وخلالصة القول ما قاله هند بن ابي هالة التميمي لما سأله الإمام الحسين عن خلق رسول الله في مجلسه وجلسائه:

قال: «كان رسول الله - ﷺ - لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله، ولا يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة صابرها حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرد إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطته وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا في الحق عنده سواء، مجلسه مجلس حلم، وحياة، وصبر، وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تتشى فلتاته، متفضلين، متعادلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقدون الكبار، ويرحمون الصغار، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب».

قلت: كيف كانت سيرته في جلسائه؟

قال: «كان رسول الله دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا

غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا غياب، ولا مداح، متغافل عما لا يشتهي، ولا يوئس منه، ولا ينhib فيه، قد ترك نفسه من ثلات: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلات: كان لا يذم أحدا ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما راجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساً كأنما على رؤسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أوليائهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسأله، حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: «إذا رأيت طالب الحاجة يطلبها فأرشدوه»، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بنهي أو قيام».

اما من الآداب المتبعة مع الجليس فأن يستقبل ويودع من يأتي المجلس، وأن ينادي به بالصافحة وإن لا ينزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده، وأن لا تقدم رجلك أمام جليسك احتراما له، وأن تدعوا جليسك بكنيته ومشاركة الجليس في الحديث منها كان نوعه وكميته فقد نقل زيد بن ثابت «ر» عن رسول الله ﷺ «أن رسول الله ﷺ كنا إذا جلسنا إليه إن أخذنا بحديث فيه ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا.

حقوق الجليس:

حينما تريد الحديث عن دستور أو نظام عن حقوق الجليس وتدقق البحث فستقودك الطرق كلها إلى حق الجليس الذي ذكره الإمام زين العابدين، الذي ذكرناه أنفا، وقد روى فيها الآداب رعاية كاملة وهي حسب ما أعلنها الإمام علي عليه السلام كما يلي:

- ١ - أن يلين الجليس جانبه لجليسه، ولا يستعمل معه الغلظة والشدة التي تنفر منها الطباع.

وجاء في موعظة الله ليعيسى بن مرريم عليهما السلام «يا عيسى لا تكن جليس لك كل مفتون، يا عيسى كن مع ذلك تلين الكلام، وتفشي السلام، يقطنان اذا نامت عيون

الأنام، حذراً للمعد، والزلزال الشداد، وأهواه يوم القيمة، حيث لا ينفع أهل ولا ولد ولا مال.

٢- أن يطيب له جانبه، وذلك بتوقيره وتقديره.

٣- إنصافه إذا خاض معه الحديث، ولا يظهر التكبر والاستعلاء عليه.

٤- عدم المبالغة في أمره.

٥- إذا وجه له الكلام فليقصد به إفهامه.

٦- إذا جاء بعده فهو بالخيار في القيام، ولكن إذا جاء قبله فليستأذن منه إذا أراد القيام.

ومن الطبيعي أن هذه الآداب لو طبقها المسلمون على واقع حياتهم لسادت المحبة والوئام في ما بينهم.

ومن أجمل ما قرأت حديث حسن المعاني حوى ثلاثة خصال إن طبقها الإنسان كان على سبيل نجات:

عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام ليس لك أن تقععد مع من شئت لأن الله تبارك وتعالى يقول: «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين» وليس لك أن تتكلم بها شئت لأن الله عز وجل قال: «ولا تقف ما ليس لك به علم» وأن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «رحم الله عبداً قال خيراً فنعم» وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله عز وجل يقول: «إن السمع والبصر والرؤيا كل أولئك كان عنه مسؤولاً».





حق الجار

رحلة حقوقية

ومن كلام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق. أخذه الشاعر فقال:

يقولون قبل الدار جار موافق
وقبل الطريق النهج أنس رفيق

كانت العرب تفتخر بحماية الجار وأمنه لهم، وقد قال شاعر من العرب يذكر فخر قومه، ويدرك أمن جارهم فيهم، ويمثل ذلك بحاجة مكة في الأمان، فقال:

يَرَى الْجَارُ فِيهِمْ أَمْنًا مِنْ عَدُوٍّ كَمَا أَمِنْتُ عِنْدَ الْحَاطِيمِ حَمَامَةً
ولقد كان العرب يضربون المثل في حسن الجوار بجار أبي دؤاد، وهو كعب بن مامدة، فيقولون في مثلهم السائر: «جار كجار أبي دؤاد».

فإن كعباً كان إذاجاوره رجل فمات بعض أهله ولم يكن لحمته وداه «اي احبه»، وإن هلك له بغير أو شاة، أخلف عليه، فجاءه أبو دؤاد الشاعر مجاوراً له، فكان كعب يفعل به ذلك، فضررت العرب به المثل في حسن الجوار، فقالوا: جار كجار أبي دؤاد.

قال قيس بن زهير:

أطوف ما أطوف ثم آوي إلی جار كجار أبي دؤاد

بل لقد غالى العرب وبالغوا في المحاماة عن الجار؛ إذ لم تتوقف محاماتهم عن الجار الإنسان، بل لقد تعدوا ذلك، فأجاروا ما ليس بإنسان إذا نزل حول بيوتهم، حتى ولو كان لا يعقل ولا يستجير؛ مبالغة في الكرامة والعزّة، وتحدياً لأحد أن يخفر الجوار، مثلما فعل مدلوج بن سويد الطائي الذي نزل الجراد حول خبائه، فمنع أحداً أن يصيده حتى طار وبَعْد عنـه.

وكان كليب يجبر الصيد فلا يعرض له أحدُ.

إن قصص الوفاء فريدة عند أهل الجاهلية، ومن ضرب بوفائه المثل: عمير بن سلمى الحنفي، إذ استجار به رجل منبني عامر بن كلاب، وكانت معه امرأة جميلة، فرأها (قرين بن سلمى الحنفي) أخو عمير، وصار يتحدث إليها، فنهاها زوجها بعد أن علم فانتهت فلما رأى قرین ذلك وثبت على زوجها فقتله، وعمير غائب، فأتى أخو المقتول قبر سلمى وعاذ به، فلما قدم عمير أخذ أخاه وأبى إلا قتله أو أن يغفو عنه جاره، وأبى أخو المقتول أخذ الديمة ولو ضوعفت، فأخذ عندئذ عمير أخاه وقتله لغدره وفأهـ جاره.

لم تعرف الإنسانية مذنثأة أبينا نبي الله آدم سلام الله عليه ولا أضنهـ ستعلم نظاماً أخلاقياً سنهـ رجل الهـي غير نبينا محمد ﷺ، وأهل بيتهـ الكرام، وما رسالة الحقوق لإمامـنا زين العابدينـ التي تنظم حياةـ الإنسان مع خالقهـ ودينهـ ومع نفسهـ، ومع مجتمعـهـ الأصغرـ «عائـلـتهـ» ومجتمعـهـ الأكـبرـ جـيرـانـهـ وأـصـدقـائـهـ بلـ معـ المجتمعـ العـالـيـ الاـدـلـيلـ عـلـىـ كـلـامـنـاـ وـانـعـكـاسـاـ لـخطـابـ اللهـ لـنبـيـهـ الـكـرـيمـ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وـمـصـداـقاـ لـخـلـقـهـمـ «كـلـامـكـمـ نـورـ وـأـمـرـكـمـ رـشـدـ وـوـصـيـتـكـمـ التـقـوىـ، وـفـعـلـكـمـ الـخـيـرـ». لقد رـسـخـ الإـسـلـامـ كـلـ العـادـاتـ الـحـسـنـةـ الـتـيـ كـانـتـ قـبـلـهـ بـلـ وـزـادـ عـلـيـهـ وـنظـمـهـاـ وـحـثـ عـلـيـهـ وـعـمـلـ بـهـ وـلـعـلـ مـاـ أـكـثـرـ مـاـ حـثـ عـلـيـهـ وـجـائـتـ الـرـوـاـيـاتـ فـيـهـ هـوـ الـعـنـيـةـ بـالـجـيـرـانـ وـحـفـظـ حـقـوقـهـمـ وـمـرـاعـاتـهـمـ، حـتـىـ وـرـدـ عـنـهـ ﷺ أـنـهـ قـالـ: «ما زـالـ جـبـرـيلـ يـوـصـيـنـيـ بـالـجـارـ حـتـ ضـنـنـاـ أـنـهـ سـوـفـ يـورـثـهـ».

تصلـ رـحـلـتـنـاـ إـلـىـ الـحـقـ الثـانـيـ وـالـثـلـاثـيـنـ مـنـ رـحـلـةـ الـحـقـ، وـهـوـ الـحـقـ السـادـسـ

من حقوق الآخرين:

حق الجار

وَأَمْا حَقُّ الْجَارِ فَحِفْظُهُ غَائِبًا وَكَرَامَتُهُ
شَاهِدًا وَنُصْرَتُهُ وَمَعْوِنَتُهُ فِي الْحَالَيْنِ كُلِّيًّاً.
لَا تَبْيَغْ لَهُ عَوْرَةً وَلَا تَبْحَثْ لَهُ عَنْ سُوءٍ
لِتَعْرَفَهَا، فَإِنْ عَرَفْتَهَا مِنْهُ عَنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ
مِنْكَ وَلَا تَكْلُفْ كُنْتَ لِمَا عَلِمْتَ حَصْنًا
حَصِينًاً وَسِرْتًا سَتِيرًا، لَوْ بَحَثْتِ
الْأَسِنَةَ عَنْهُ ضَمِيرًا لَمْ تَتَصَلِّ إِلَيْهِ لَانْطَوَائِهِ
عَلَيْهِ. لَا تَسْتَمِعْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ.
لَا تُسَلِّمْهُ عِنْدَ شَدِيدَةِ، وَلَا تَحْسُدْهُ عِنْدَ
نِعْمَةِ. تُقِيلُ عَشْرَتُهُ وَتَغْفِرُ زَلَّتُهُ. وَلَا تَدْخِرْ
حِلْمَكَ عَنْهُ إِذَا جَهَلَ عَلَيْكَ، وَلَا تَخْرُجْ أَنْ
تَكُونَ سُلْمًا لَهُ. تَرُدُّ عَنْهُ لِسَانَ الشَّيْمَةِ، وَتُبْطِلُ
فِيهِ كَيْدَ حَامِلِ النَّصِيحَةِ، وَتُعَاشِرُهُ
مُعَاشَرَةً كَرِيمَةً. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

وردت كلمة الجار في القرآن الكريم اربع مرات بصيغ مختلفة، وتكررت مرتين في آية واحدة لأهمية حق الجار والإحسان إليه، وأشارت إلى أنواع الجيران، وقرنت حق الجار بعبادة الله بدون أي واسطة.

ولقد ذكر أمامنا زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ «١٧» حقاً في هذه المقطوعة الرائعة بالرغم من صغرها.

تعريف الجار:

الجوار: المجاورة، والجار: الذي يجاورك، وجاور الرجل مجاورة وجواراً وجواراً، والكسر أفصح.

وبارك: الذي يجاورك، والجمع: أجوار وجيرة وجيران.

وعن ابن الأعرابي: الجار: الذي يجاورك بيت، والجار النفيح هو: الغريب، والجار: الشريك في العقار.

والجار: المقادم، والجار الخليف، والجار: الناصر، والجار: الشريك في التجارة، والجار: امرأة الرجل، وهو جارها.

قال الراغب: الجار: من يقرب مسكنه منك، وهو من الأسماء المتضادفة» ومعنى متضادفة أن تضيف اسم إلى اسم كأن تقول «وهو العلي الكبير»، فكثير مضاد إلى اسم العلي»؛ فإن الجار لا يكون جاراً لغيره إلا وذلك الغير جار له.

وأما شرعاً: فاختللت عبارات أهل العلم في حد الجوار المعتبر شرعاً، فمما قيل في ذلك ما يلي :

١ - أن حد الجوار أربعون داراً من كل جانب، وقد جاء ذلك عن عائشة - رضي الله عنها، كما جاء عن الزهري والأوزاعي.

٢ - أنه عشرة دور من كل جانب.

٣ - أن من سمع النداء هو جار، وقد جاء ذلك عن علي عليه السلام.

٤ - أن الجار هو الملائق الملائق.

٥ - أن حد الجوار هم الذين يجتمعون مسجد واحد.

والأقرب - والله أعلم - أن حد الجوار يرجع فيه إلى العُرف، فما عُلمَ عرفاً أنه جار، فهو جار.

ثانياً: أنواع الجيران :

ينقسم الجيران من حيث الحقوق الواجبة تجاههم إلى ثلاثة أقسام:

- جار له حق واحد، وهو المشرك، وله حق الجوار.
- جار له حقان، وهو الجار المسلم، له حق الجوار وحق الإسلام.
- جار له ثلاثة حقوق، هو الجار المسلم له رحم، له حق الجوار، وحق الإسلام وحق القربى.

وأخرج البزار في مسنده عن جابر - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو أدنى الجيران، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق».

أما من حيث القرب، فالجار إما يكون قريباً منك، أو بعيداً، ملاصقاً أو غير ملاصق، ورتبة هؤلاء تتفاوت من حيث عدد الحقوق ومدى القرب، والجار الأقرب يقدم على الجار الأبعد، وهو ما استشعره علماء الإسلام، فهذا الإمام البخاري نجده يبوب في كتابه: «الأدب المفرد» باب الأدنى فالأدنى من الجيران، «ص ٣٨» وذلك تنبئها على قدره، ويترتب عليه حُسن المعاملة، والوقوف بجانبه، واجتناب أذيه، وهذا من شأنه أن يكفل التعايش بين الناس في طمأنينة ورحمة.

وحددت الأحاديث الشريفة الجار بنحوين، فُسرت الآية القرآنية في مطلع الكلمة بهما، وهما:

الأول: يتعلق بالمكان، وذلك بتحديد مساحة واسعة يطلق على كل من سكن فيها بأنه جار، فعن رسول الله - ﷺ : «أربعون داراً جار». وعن الإمام علي علیه السلام: «ألا إِنَّ حَدَّ الْجَارِ أَرْبَعُونَ دَاراً».

وقد فُسر قوله تعالى بالجار ذي القربى، والجار الجنب بالجار القريب، والجار البعيد في دائرة هذه المساحة.

الثاني: يتعلّق بالقرابة العقائدية أو النّسبيّة، فعن رسول الله ﷺ: «الجيران ثلاثة»:

فمنهم من له ثلاثة حقوق: حق الإسلام، وحق الجوار، وحق القرابة

ومنهم من له حقان: حق الإسلام، وحق الجوار

ومنهم من له حق واحد، الكافر له حق الجوار»

من هذا المنطلق سيكون حديثاً عن حق الجار ضمن المحاور التالية:

حسن الجوار:

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمُسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

رفض الإسلام صومعة الوحدة، طريقاً للكمال الإنساني، الذي أراده أن يتحقق في قلب المجتمع الإنساني من خلال علاقته مع الوالدين، والزوجة، والأولاد، والرحم، وبعدهم تأتي علاقة أرادها أن تكون غايةً في الإحسان، ألا وهي العلاقة مع الجيران.

الجار الصالح

وقد اعتبرت الروايات الواردة في هذه العلاقة أنّ الجار الصالح هو من موارد التوفيق الإلهي للإنسان، فعن النبي الأكرم ﷺ: «من سعادة المسلم سعة المسكن، والجار الصالح، والمركب الهنيء».

لذا دعا رسول الأعظم ﷺ إلى أن يكون انتخاب المترشّح الذي يريد الإنسان أن يقيم فيه خاضعاً للدراسة حول الجيران، فقد ورد أنّ رجلاً أتى إلى رسول الله ﷺ

وقال: «يا رسول الله، إِنِّي أرددت شراء دار، أين تأمرني اشتري، في جهينة، أم في مُزينة، أم في ثقيف، أم في قريش؟ فقال له رسول الله ﷺ: الجوار ثم الدار».

ومن هذا المنطلق، ورد عن الإمام علي عليه السلام: «سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار».

وقال الشاعر :

اطلب لنفسك جيراناً تجاورهم لا تصلح الدار حتى يصلح الجار
وشيد رجل من المسلمين داراً حسناً، جَلَّها وأحسنها وأباهَا، ثم تعكرت
حياته فباعها بأرخص الأثمان وأبخس الأسعار، نسي جَلَّتها وعافَ حُسْنَها وكره
سكنها وتمنى كل خلاص منها ! ما السبب؟! هل افتقر فأجلأته الحاجة، أم اغتنى
فأطمعته النفس الراغبة؟ كلا، بل أغضب الدار لفعال جاره وأذاه؛ إذ ضاق وسعها
وتکدر حلوها وتغضض صفاوتها وتغيرت أشكالها. زهد الجار الصالح في الدار والمال؛
لأنه لم يهدا له بال، ولم يقرّ له قرار، فباع داره فلامه الناس والعدال:

يلوموني إذ بعت بالرخص منزلًا ولم يعرفوا جاراً هناك ينغض
فقلت لهم كفوا الملام فإنها بجيرانها تغلو الديار وترخص
كان أبو الأسود الدؤلي^(١) صاحب علي من سادات التابعين وأعيانهم، واضع
علم النحو بتوجيه من علي عليه السلام، (من أكمل الرجال رأياً، وأسد هم عقلاً، ويعد من
الشعراء، والمحدثين، والفرسان، والنحوين)، وصاحب ملح ونواذر، من ذلك: أنه
كان له جيران بالبصرة، كانوا يخالفونه في الاعتقاد، ويؤذونه في الجوار، ويرمونه في
الليل بالحجارة، ويقولون له: إنما يرجوك الله تعالى؛ فيقول لهم: كذبتم، لو رجمني الله
لأسباني، وأنتم ترجمونني ولا تصيبونني؟ ثم باع الدار، فقيل له: بعثت دارك؟! فقال:
بل بعثت جاري؛ فأرسلها مثلاً.

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني (٦٩-١٦هـ) من سادات التابعين وأعيانهم.

• منزلة الجار

لاهتمام الإسلام بقيمة الجيرة بين منزلة رفيعة للجار، تتضح من خلال الآتي:

الجار وصيّة جبرئيل عليهما السلام والنبي عليهما السلام

عن الرسول الأكرم ﷺ: «ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظنت أنّه سيورّثه»، وعن الإمام علي عليهما السلام أنّه قال عند وفاته: «الله الله، في جيرانكم، فإنّهم وصيّة نبّيكم، ما زال يوصيني بهم حتى ظننا أنّه سيورّثهم».

الجار كالنفس وبحرمة الأُمّ

ورد في الكافي عن رسول الله ﷺ: «أنّه كتب بين المهاجرين والأنصار، ومن لحق بهم من أهل يثرب أنّ الجار كالنفس، غير مضار، ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أُمّه».

من هنا دعا الإسلام إلى حسن الجوار مبيناً فوائده الآتية:

- ١ - تأكيد الإيمان عن الرسول الأكرم ﷺ: «أحسن مجاورة من جاورك تكون مؤمناً».
- ٢ - زيادة الرزق، عن الإمام الصادق عليهما السلام: «حسن الجوار يزيد في الرزق».
- ٣ - زيادة العمر، عن الإمام الصادق عليهما السلام: «حسن الجوار زيادة في الأعمار».
- ٤ - عمارة الدار، ويكمّل الإمام الصادق عليهما السلام حديثه السابق بقوله: «وعمارة الدار». وعن رسول الله ﷺ: «حسن الجوار يعمر الديار، وينسى في الأعمار».
- ٥ - كثرة من يعينه، ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليهما السلام: «من أحسن إلى جيرانه كثراً خدمه».
- ٦ - الشفاعة، عن الإمام أبي جعفر عليهما السلام: «وإنّ المؤمن ليشفع لجاره، وما له حسنة، فيقول: يا ربّ، جاري، كان يكفّ عنّي الأذى، فيشفع فيه، فيقول الله تبارك

وتعالى: أنا ربك، وأنا أحقّ من كافي عنك، فيدخله الجنة، وما له حسنة»).

كيف نحسن إلى الجار؟

إنَّ الإِحْسَانَ إِلَى الْجَيْرَانِ يَتَحْقِقُ بِعِنَاوِينَ كَثِيرَةَ، رَكَّزَتِ الرِّوَايَاتُ عَلَى بَعْضِهَا، هِيَ:

١- كف الأذى

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من الأنصار فقال له: «إني اشتريت داراً منبني فلان، وإنَّ أقرب جيراني مني من لا أرجو خيره، ولا آمن شره، فأمر رسول الله عليه وسلم وأبا ذر، أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم بأنه: لا إيمان لمن لم يؤمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً»

وعن ابن مسعود أنه أتى إلى السيدة الزهراء عليها السلام، وسألها: هل ترك رسول الله عندك شيئاً تطرفيه «أي تعطيني اياه»، فجاءت عليه السلام بجريدة كتب فيها: «ليس من المؤمنين من لم يؤمن جاره بوائقه، ومن كان يؤمِّن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِي جاره». والبواشق جمع بائقة، ومعناها داهية.

والآذى قد يكون بالتعدي على أرض الجار، وفي هذا ورد عن رسول الله عليه السلام: «من اعتدى على أرض جاره، ولو بمقدار شبر، فإنَّ الله سيطوق به عنقه بطوق من نار ويرمي في جهنم إلا إذا تاب وأرجع الأرض»، وقد يكون الآذى لسانياً، وفيه ورد أنه قيل لرسول الله عليه السلام: «إنَّ فلاناً يصوم النهار، وي العمل، ويتصدق، إلا أنه يؤذِي جاره بلسانه، فأجابهم عليه وقال: إنه لا خير فيه، وإنَّه من أهل النار».

- إزعاجه بالأصوات العالية، لا سيما في الليل.

- وضع النفايات في مكان تفوح رائحتها الكريهة ناحيته.

- رمي الأوساخ في المدخل، أو على الدرج، كما يفعل بعضهم في رمي أعقاب السجائر والتدخين في المرات.
- رمي المياه من الأعلى دون الالتفات إلى ما تحت.

٢- الصبر على الأذى

لم يكتفِ الإسلام في بيان حسن الجوار بالكف عن الأذى، بل ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله: «ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى».

يُروى أن رجلاً جاء إلى عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - فقال له: إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني، ويُضيق عليّ، فقال: اذهب، فإن هو عصى الله فيك، فأطع الله فيه».

نماذج مضيئة للصبر على أذى الجار:

تحمل أذى الناس وبخاصة الجيران درجة رفيعة من درجات الإيمان قال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ (المؤمنون: ٩٦). وقال ﴿وَلَمْنَ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزِّمَ الْأُمُورَ﴾ (الشورى: ٤٣).

ولنا في رسول الله أسوة حسنة، ونعلم قصة اليهودي الذي كانت هديته اليومية لرسول الله ﷺ كيساً من القمامه على باب البيت، فإذا خرج عليه الصلاة والسلام ذات يوم ولم يجد القمامه علم أن جاره المؤذن منعه مانع، فذهب ليطمئن عليه فإذا هو مريض.

يُروى أن مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - كان له جار يهودي، فحول اليهودي مستحمه إلى جدار البيت الذي فيه مالك، وكان الجدار متهدلاً، فكانت تدخل منه النجاسة، ومالك ينظف البيت كل يوم، ولم يقل شيئاً، وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى، فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة، فقال له: يا مالك،

آذيتك كثيراً وأنت صابر، ولم تُخبرني، فقال مالك: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما زال جبريل يوصيني بالجار؛ حتى ظننت أنه سُيورٌ ثِر)، فنَدِم اليهودي وأسلم.

وقال علي بن أبي طالب للعباس: ما بقي من كرم إخوانك؟ قال: الإفضل إلى الإخوان، وترك أذى الجيران، فانظر كيف عَد العباس، ترك أذى الجيران من الكرم.

٣- **تفقد الجار**، عن الإمام علي عليه السلام: «من حسن الجوار تفقد الجار».

ومن صور حسن الجوار:

كما في صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (يا نساء المسلمات، لا تُحقرن جارة بجارتها ولو فِرْسَن شاة).

فرسنُ الشاة هو حافرها، قال الحافظ ابن حجر -: (أي: لا تُحقرن أن تهدي إلى جارتها شيئاً ولو أنها تهدي ما لا يُستفع به في الغالب).

والمقصود أن يتواصل الخير والود والبر بين الجيران، ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلوات الله عليه وآله وسلامه -: (يا أبا ذر، إذا طَبَخت مَرْقة، فأكثِر ماءها، وتعاهَد جيرانك).

وأولى الناس بالإحسان من الجيران، أقربهم منك باباً؛ ففي البخاري من حديث عائشة قالت: (يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال - صلوات الله عليه وآله وسلامه -: إلى أقربهما منك باباً).

حقوق الجار:

ورد عنوان حقوق الجار في أكثر من حديث، وهي عبارة عن جملة من القيم والأداب الرفيعة فعن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «هل تدرُّون ما حقّ الجار؟ ما تدرُّون ما

حق الجار إلا قليلاً، ألا لا يؤمن بالله واليوم الآخر من لا يؤمن جاره بوائقه، وإذا استقرضه أن يقرضه، وإذا أصابه خير هناك، وإذا أصابه شرّ عزّاه، ولا يستطيع عليه في البناء يحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتري فاكهة فليهد له، وإن لم يهد له فليدخلها سرّاً ولا يعطي صبيانه منه الشيء يغايظون صبيانه».

وفي رسالة الحقوق قال الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ، أمّا حق جارك:

- ١ - فحفظه غائباً، حفظ شخصه، حفظ منزله، حفظ شرفه وسمعته.
- ٢ - وإكرامه شاهداً، إبداء الاحترام، تهنته بالمناسبات، تقديم هدية له تعظيمه وذكر جمال سيرته.
- ٣ - ونصرته إذا كان مظلوماً دفع الضرر عنه وكل شر وبلية ونصرته على أعدائه.
- ٤ - ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترت عليه، ولا تطلب له وعورة فلا تتجسس عليه ولا تطلب ما ستر الله عليه، قال رسول الله ﷺ من ستر مسلماً ستره الله يوم القيمة.

في حديث آخر «ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها، فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلف، كنت لما علمت حصيناً حصيناً وستراً وستيراً، لو بحثت عنه ضميراً لم تصل إليه لإنطوائه عليه».

وما أبلغ قول الشاعر، مسكين الداري:

ناري ونار الجار واحدة	وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضر جارا لي أجاوره	أن لا يكون لبابه ستر
حتى تواري جارتني الخدر	أعمى إذا ما جارتني برزت

وقول آخر:

أنت حلبي وأنت حرمة جاري	وحقيق على حفظ الجوار
-------------------------	----------------------

إن للجار إن تغيب عينا حافظ للمغيب والأسرار
ما أبالي إن كان للباب ستر مسبل أم بقى بغير ستار

وقال في ذلك عنترة بن شداد:

وأغض طرفي إن بدت لي جاري حتى يواري جاري مثواها
٥ - وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه.

٦ - ولا تُسلِّمْهُ عند شديدة «أي ان تساعده وتقف معه عند المصائب وال بلايا فإنها من محسن الأخلاق، فقد ورد عن رسول الله ﷺ من سمع مناديا ينادي يا للمسلمين فلم يجده فقد خرج من ملة الإسلام» لا أن يسلمه عند الشدائـ والمصائب فإنها من الأخلاق المذمومة.

٧ - وتقيل أو تقليل عثرته «إإن جائت وتقيل أي تعفو عن خطئه وسقطته وعثرته وترضى عنه وإن جئت بمعنى تقليل أي تصفح عنه وترك ذنبه، أنهضه من سقطته، ساعده في محنته» وقولنا أقال البيع: فَسَخَّهُ، نكثه من أقال نادماً أقاله الله من نار جهنم: وافقه على نقض البيع وأجابه إليه. وقد ورد هذا المعنى في دعاء الإفتتاح فكم يا الهي من كربة قد فرجتها، وهموم قد كشفتها، وعثرة قد أقلتها، ورحمة قد نشرتها.

٨ - وتغفر ذنبه وتعاشره معاشرة كريمة من حق الجار ان يعيش مع جاره بترفع واباء فإذا اساء له او تجاوز حقه، وإذا زلت في مقام او عثر في حديث فليصفح عنه ويعفو ويحمل عليه حتى يرجع الى رشده ويعود عن ضلاله وبعبارة موجزة يعاشره معاشرة كريمة في كل الأمور.

٩ - ولا تدخر حلمك عنه إذا جهل عليك» صفتان واحدة محمودة وهي الحلم والتي يجب أن يتصرف بها كل إنسان لأنها تدل على سعة العقل وسعة الصدر وضبط النفس، وهي من صفات الأنبياء والصالحين، قال الإمام علي زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ «إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه»، أما الصفة الأخرى فهي صفة مذمومة

وهي الغضب وهي ضد الحلم ولا يخفى على القارئ ما لهذه الصفة من مفاسد اجتماعية ويكفي قول رسول الله ﷺ «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل».

فعل الجار ان يحلم وأن لا يغضب على جاره إن رأى منه جهلاً أو تجاوزاً وأن يعفو عنه.

قال الشاعر:

أقول لجاري إذ أتأني معاتبا مدلا بحق أو مدلا بباطل
إذا لم يصل خيري وأنت مجاور إليك فما شري إليك بواسطه
١٠ - وترد عنه لسان الشتيمة وتبطل فيه كيد حامل النصيحة» وهي النصرة
إذا سمع عليه مقالة سوء، فإن الله يكره أن يستمع إلى قوم ينوهون جارهم بالسوء
وفسق اللسان وهو عنهم راض، أو ان يزدريه احد بنقص او شتيمة، وإنما تدل خصلة
الشتم عن سوء الخلق وقلة الحياة والتربية فعن إمامنا الكاظم ع عليه السلام وقد سمع رجلين
يتسابان» البادي منها أظلم، وزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم.

كما انك لا ترضى بشتم جارك والنيل منه بسوء الكلام ايضا يجب عليك أن لا
تقبل فيه كيد كائد او مكر ماكر او نمية نام، فعن رسول الله ﷺ من كان مسلماً فلا
يمكر ولا يخدع، فإني سمعت جبريل يقول: إن المكر والخدعة في النار، ثم قال ﷺ:
ليس منا من غش مسلماً، وليس منا من خان مسلماً.

الجار في دعاء الإمام زين العابدين ع عليه السلام

لم يكتفى إمامنا زين العابدين بذكر حقوق الجار في رسالته بل يأصل هذا المفهوم
ويشدد عليه وهو هو يعلمنا ع عليه السلام حسن الجوار في دعائه في الصحيفة السجادية قائلاً:

(أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَوَلّنِي فِي جِيرَانِي وَمَوَالِيَ وَالْعَارِفِينَ بِحَقِّنَا
وَالْمُنَابِدِينَ لِإِعْدَائِنَا بِأَفْضَلِ وَلَا يَتَكَ، وَوَفَّقْهُمْ لِاقَامَةِ سُنْتِكَ وَالآخِذِ بِمَحَاسِنِ أَدِبِكَ

فِي إِرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَمُنَاصَحةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَتَعَهِيدِ قَادِمِهِمْ، وَكِتَابَانِ أَسْرَارِهِمْ، وَسَرْتُرِ عَوْرَاتِهِمْ، وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنِ مُواسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونَ، وَالْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجَدَةِ وَالْإِفْضَالِ، وَإِعْطَاءِ مَا يَحِبُّهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ وَاجْعَلْنِي اللَّهُمَّ أَجْزِي بِالْأَحْسَانِ مُسِيَّهُمْ، إِلَى أَنْ يَقُولُ : وَاجْعَلْ لِي أَوْقَى الْخُطُوطِ فِيمَا عِنْدَهُمْ، وَزِدْهُمْ بَصِيرَةً فِي حَقِّي، وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي، حَتَّى يَسْعَدُوا بِوَأَسْعَدَهُمْ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمَيْنَ).

وأخيراً إنّ أَهْمَّ جيرة وأعظمها هي جيرة الكمال المطلق غير المحدود بمكان ولا زمان، وإنّما جيرته في جنة الرضوان، ففي الحديث عن الرسول ﷺ: «إذا كان يوم القيمة جمع الله الخلائق في صعيد واحد، وينادي منادٍ من عند الله، أين أهل الصبر؟ ثم ينادي منادٍ آخر، أين أهل الفضل؟ ثم ينادي منادٍ من عند الله عزّ وجلّ يسمع آخرهم كما يسمع أولهم، فيقول: أين جيران الله جل جلاله في داره؟ فيقوم عنقٌ من الناس، فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون لهم: ماذا كان عملكم في الدنيا فصرتم به اليوم جيران الله تعالى في داره؟ فيقولون: كننا نتحاب في الله، ونتباذل في الله، ونتوازرن في الله، فينادي منادٍ من عند الله: صدق عبادي، خلوا سبيلهم لينطلقوا إلى جوار الله في الجنة بغير حساب».

كنا نتحاب في الله ونتباذل في الله ونتوازرن في الله، هذه هي الترجمة العملية لهذه التعاليم وهذا هو ما يريده منا رسولنا الكريم وأهل بيته الطاهرين.

كلمة ختام :

قضت الحياة المدنية على كثير من مظاهر الحياة الإجتماعية الإسلامية الحميّدة ومن هذه المظاهر الإجتماعية السائدّة في مجتمعاتنا الإسلامية والتي بدأت الحياة العصرية تحاصرها وتقضى على كثير من محاسنها ما يعرف بحق الجوار وبصلة المجاورة.

حيث كانت علاقات الجيران وصلاتهم وترابطهم تفوق أحياناً صلات القرابة، ذلك أن الجوار وتقرب المساكن أدى إلى الإشتراك في المصالح وتبادل المنافع مازاد من هذه الصلة وقواها حتى أن بعض البيوت فتحوا باباً بينهم وبين جيرانهم لا يحتاجون معه إلى استخدام الأبواب الخارجية حتى تحولت بعض البيوت إلى بيت واحد.

وكان الجيران يستعينون بجيرانهم على قضاء كثير من الحاجات وسد ما قد يحتاجون إليه من ضرورات الحياة، ولذا كان رب الأسرة لا يقلق من تغييه عن أهله أو تأخره عنهم طالما رزق بجار يقوم مقامه ويسد عند غيابه حاجة أهله.

لكن المجتمع العصري أطفأ هذه الشعلة وقضى على هذه المظاهر أو كاد بحجة استغناه الناس وانشغالهم حتى إنك لتجد بعض الجيران لا يعرف جاره وقدجاوره سنوات.





مصادر ومراجع البحث

- ١ - اخلاق آل محمد، موسى سبتي.
- ٢ - الأدب المفرد، لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري.
- ٣ - المجالس السننية في مناقب و مصائب العترة النبوية، تأليف المجتهد الأكبر السيد محسن الأمين .
ومصائب العترة النبوية الجزء الرابع الطبعة الخامسة - ١٩٧٤ م.
- ٤ - الإمام السجاد جهاد وأبجاد، الدكتور حسين الحاج حسن.
- ٥ - الإمام زين العابدين، مختار الأسدی «مركز الرساله».
- ٦ - الإمام زين العابدين، المجمع العالمي لأهل البيت.
- ٧ - الإنفاق في سبيل الله، عز الدين بحر العلوم.
- ٨ - الكشكوكل الهجري، العالمة الشيخ باقر بوحسين.
- ٩ - الله يتجلّى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأميركيين / ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان.
- ١٠ - الأثر الخالد في حق الولد على الوالد، للسيد علي بن الحسين العلوي.
- ١١ - الطب محراب الإيمان، الدكتور خالص جلبي كنجو.

- ١٢ - الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين.
- ١٣ - اسرار الصلاة، الحاج ميرزا جواد الملكي التبريزی.
- ١٤ - أعمال شعرية، دیوان جاسم الصحيح.
- ١٥ - جامع السعادات، للعلامة محمد مهدي النارقی / ج ١.
- ١٦ - دیوان الإمام علي، شرح الدكتور يوسف فرات.
- ١٧ - حقوق الإنسان، د. كمال سعدي مصطفى.
- ١٨ - حكم واسرار الحج، العالمة الشيخ حسين العايش.
- ١٩ - طريقك الى الصحة والسعادة، د. كليفورد ر. اندرسون» ترجمة شاكر خليل نصار.
- ٢٠ - كتاب الصلاة، للسيد أبي القاسم الخوئي.
- ٢١ - كيف تكسب الأصدقاء، محمد الحيدري.
- ٢٢ - لماذا نقدس القرآن، العالمة الشيخ باقر بوخمسين.
- ٢٣ - مكارم الأخلاق، رضي الدين الطبرسي.
- ٢٤ - منهاج الصالحين، آية الله لسيد أبي القاسم الخوئي جزء العبادات.
- ٢٥ - نهج البلاغة، الإمام علي.
- ٢٦ - سبع الحمام في حكم الإمام أمير المؤمنين علي، علي الجندی / محمد ابو الفضل ابراهيم / الإمام أمير المؤمنين، محمد يوسف المحجوب.
- ٢٧ - سيرة الأئمة الأطهار، الشهید مرتضی المطهری.
- ٢٨ - عبادات الإسلام، آية الله السيد محمد حسن الشیرازی.

- ٢٩ - فلسفة الحج، محمد الصدر.
- ٣٠ - صلاة العارفين، للإمام آية الله الخميني.
- ٣١ - رسالة الحقوق، عباس علي الموسوي.
- ٣٢ - رسالة الحقوق للإمام زين العابدين، الشيخ نعيم قاسم.
- ٣٣ - شرح رسالة الحقوق، السيد حسن القبانجي النجفي.
- ٣٤ - شرح رسالة الحقوق، آية الله الشيخ محمد حسن الرزمي الطبسي.
- ٣٥ - شرح رسالة الحقوق، العالمة الساعدي.
- ٣٦ - تحف العقول، الحسن بن علي بن شعبة الحراني.
- ٣٧ - غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الأدمي التميمي.
- ٣٨ - الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.
- موضع الكترونيه :
- الحقوق الإجتماعية في الإسلام، مركز الرساله.
- المنق卜 القرآني.
- باب من لا ينبغي مجالسته ومصاحبتة، مركز سيد الشهداء للبحوث الإسلامية.
- موقع الدرر السنیه.
- موقع صید الفوائد.
- ويکیپیدیا الموسوعة الحرة.



المحتويات

إهداء	٥
تخميس قصيدة الفرزدق في الإمام زين العابدين	٧
مقدمة الكتاب	١٥
أولاًً: الإنحراف الثقافي: وقد حدث عن طريق	٢٠
ثانياً: الإنحراف الأخلاقي	٢١
حق الله	٢٣
معرفة النفس	٢٦
العبادة التعاملية والعبادة الشعائرية	٣١
العبادة في أدق تعريفها	٣٣
الله الذي نعرفه	٣٥
الماء يروي لك القصة	٣٥
الله الذي نعرفه	٣٩
الله الذي نعرفه	٤١
الله والكون المعد	٤١
حق النفس	٤٥
حق النفس	٤٦
- تعريف (النفس) عند ملا صدرا	٤٧
تذكرة النفس:	٥١
حق اللسان	٥٧

٥٨	حق اللسان
٦٠	أجزاء اللسان
٦٠	سطوح اللسان
٦١	عضلات اللسان
٦١	الدورة الدموية في اللسان
٦٢	أعصاب اللسان
٦٣	وظيفة اللسان
٦٦	حفظ اللسان
٦٨	آفات اللسان
٧٣	حق السمع
٧٤	حق السمع
٧٥	حاسة السمع في القرآن الكريم
٧٦	مقدمة :
٧٧	السمع في القرآن الكريم
٧٨	أهمية السمع
٧٩	نشأة حاسة السمع وتطورها
٨١	قصور الأذن البشرية
٨٣	حاسة السمع أثناء النوم
٨٧	حق البصر
٨٨	حق البصر
٩٠	تركيبة العين
١٠١	حق الرجلين
١٠٢	حق الرجلين
١٠٣	تركيبة رجل الإنسان
١٠٦	الوظيفة :
١٠٩	الهيكل العظمي للقدم
١٠٩	أقواس القدم

الأربطة والعضلات	١١٠
القدم وأمراضها	١١٠
حق اليد	١١٣
حق اليد	١١٤
الإنفاق	١١٨
قرض الحسنة	١١٨
الترجم على الأيتام	١١٨
التقدير	١١٨
طلب الحلال	١١٩
حق البطن	١٢١
حق البطن	١٢٢
حق الفرج	١٢٧
حق الفرج	١٢٨
حق الصلاة	١٣١
ما سر كون رجل مثل علي كله إيمان	١٣١
حق الصلاة	١٣٢
حق الصوم	١٤١
حق الصوم	١٤٣
حق الحج	١٤٧
حق الحج	١٥٠
المصالح الخاصة لأعمال الحج	١٥٤
حق الصدقة	١٥٧
حق الصدقة	١٦٠
حق الهدي	١٦٥
حجّه علیسْلَمَ	١٦٦
حق الهدي	١٦٨
١ - الأبعاد الروحية للهدي	١٦٨

١٧٠	٢- الهدي في بعده الاجتماعي
١٧٣	حق سائسك بالسلطان
١٧٣	موقف الإمام زين العابدين من أعوان الظلمة.....
١٧٥	حق سائسك بالسلطان
١٨١	حق سائسك بالعلم أو حق المعلم
١٨٣	حق سائسك بالعلم أو حق المعلم
١٨٩	حق المالك
١٩٠	حق سائسك بالملك
١٩١	سير الاستعباد في التاريخ.....
١٩٢	أولاً: أسباب الرق:
١٩٤	ثانياً: سياسة معاملة الأرقاء
١٩٦	ثالثاً: وآخيراً سبل تحرير الأرقاء
١٩٩	حق الرعية بالسلطان
١٩٩	موقف الإمام زين العابدين من الظالمين.....
٢٠١	الموقف من أعوان الظلمة
٢٠٤	حق الرعية بالسلطان
٢٠٩	حق الرعية بالعلم
٢٠٩	مكانة الإمام زين العابدين العلمية
٢١١	حق الرعية بالعلم
٢١٧	حق الزوجة
٢١٨	حق الزوجة
٢٢١	حقوق الزوجة في السنة النبوية
٢٢٣	حقوق الزوجة في فكر أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٢٢٤	أن يتعاهد الزوج زوجته بالهدية
٢٢٥	الهدية من الزوج ما يزيد في عفة الزوجة
٢٢٥	الإسراع في التهادي
٢٢٧	الوصية.....

٢٢٨	وختاماً مع وصية رسول الله ﷺ حيث يقول
٢٢٩	حق الرعية بملك اليمين
٢٢٩	التربية العالية والخلق الرفيع
٢٣٠	حق الرعية بملك اليمين
٢٣٧	حق الأم
٢٣٨	حق الأم
٢٤٨	«في ذكرى الرحيل»
٢٤٨	ومن الصور الرائعة ببر الوالدين
٢٤٩	فضل ببر الوالدين
٢٥٠	مظاهر عقوق الوالدين
٢٥٣	حق الأب
٢٥٤	أخلاقه وأدبها عليه مع أبيه
٢٥٥	حق الأب
٢٦٥	حق الولد
٢٦٦	حق الولد
٢٦٩	١ - تعلم المهارات
٢٦٩	٢ - اسم حسن وأدب حسن
٢٦٩	٣ - تعلم القرآن والعقيدة الصّحّحة
٢٦٩	٤ - علمه الصّلاة
٢٧٠	٥ - حق قبل الولادة
٢٧٠	٦ - أعنـه على برّك
٢٧٠	٧ - برّ بولـدك
٢٧٣	أولاً: حق الولد في الاسم الحـسن
٢٧٤	ثانياً: حق التـأديـب والتـعلـيـم
٢٧٧	حق العـدـل والمـسـاـواـة:
٢٧٩	نـماـذـج مـن وـصـاـيـاـ الـآـبـاء
٢٨١	حق الأخ

٢٨٣	حق الأخ
٢٨٣	مفهوم الأخوة، الأخوة في اللغة
٢٨٥	أولاً: أخوة النسب
٢٨٧	ثانياً: أخوة الدين
٢٩٥	حق المنعم على مولاه
٢٩٦	حق المنعم على مولاه
٢٩٧	الجزء الأول
٢٩٧	النظام الإسلامي والرق
٣٠٣	تعريف الشكر في اللغة
٣٠٤	الشكر في الاصطلاح
٣٠٦	مبني الشكر
٣٠٩	حق مولاك
٣١٠	حق مولاك
٣١٣	١ - الحق في الإكرام والتكريم :
٣١٤	٢ - الحق في العناية والرعاية:
٣١٥	٣ - الحق في الاحترام والتبجيل:
٣١٥	٤ - الحق في التربية والتعليم:
٣١٦	٥ - بعض الوصايا التي تختص بالمعاملة الطيبة:
٣١٩	حق ذي المعرف
٣٢٠	حق ذي المعرف
٣٢١	مقدمة في المعرف
٣٢٢	مكانة المعرف وأهله
٣٢٤	أنواع المعرف
٣٢٦	صور الإحسان
٣٢٧	١ - الإحسان في عبادة الله
٣٢٨	٢ - الإحسان إلى الوالدين
٣٢٨	٣ - الإحسان إلى الجار

٤ - الإحسان إلى اليتامي والمساكين:	٣٢٩
٥ - الإحسان في المعاملات التجارية:	٣٢٩
٦ - الإحسان إلى الميء:	٣٣٠
٧ - الإحسان في الكلام:	٣٣١
٨ - الإحسان في الجدال:	٣٣١
٩ - الإحسان إلى الحيوان:	٣٣١
الإحسان في الشعر:	٣٣٢
«ومن المعروف» أولاً: خصائص وصفات ذاتية	٣٣٣
ثانياً: خصائص وصفات عملية وسلوكية	٣٣٥
حقوق صاحب المعروف:	٣٤٢
حق المؤذن	٣٤٥
الله أكابر.....	٣٤٥
«حق المؤذن»	٣٤٧
فضل الآذان والمؤذن وفوائده	٣٥٣
متى شرع الأذان	٣٥٦
شروط الأذان والإقامة	٣٥٨
حق إمام الجماعة	٣٦١
الصلاحة ترحب الطغاة	٣٦١
حق إمام الجماعة	٣٦٢
أولاً: صلاة الجماعة	٣٦٣
ثانياً: صلاة الجمعة:	٣٦٧
صلاة الجمعة في السنة النبوية:	٣٧٢
فتاوي العلماء في صلاة الجمعة:	٣٧٤
حق الجليس	٣٧٩
حق الجليس	٣٨٠
المجالس	٣٨٢

٣٨٥	من مجالس
٣٨٨	آداب المجالس والجلوس
٣٩٣	حقوق الجلisyis
٣٩٥	حق الجار
٣٩٧	حق الجار
٣٩٨	تعريف الجار
٣٩٩	ثانياً: أنواع الجيران
٤٠٠	حسن الجوار
٤٠٠	الجار الصالح
٤٠١	• منزلة الجار
٤٠٢	الجار وصييّة جبرئيل عليه السلام والنبي عليه السلام
٤٠٢	الجار كالنفس وبحرمة الأم
٤٠٣	كيف نحسن إلى الجار؟
٤٠٣	١ - كف الأذى
٤٠٤	٢ - الصبر على الأذى
٤٠٤	نماذج مضيئة للصبر على أذى الجار
٤٠٥	ومن صور حسن الجوار
٤٠٥	حقوق الجار
٤٠٨	الجار في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام
٤٠٩	كلمة ختام :
٤١١	مصادر ومراجع البحث

